الجامع

لِسِيَرِ أَعْلَامِ الشُّهَدَاءِ

اَلْمُؤَلِّفُ: الشَّيْخُ الْمُجَاهِدُ أَبُو حَمْزَةَ الْمُهَاجِرُ

تَقَبَّلَهُ اللهُ تَعَالَى

(كَتَبَ أَبُو حَمْزَةَ 39 عَدَدًا، وَأَكْمَلَهَا

أَبُو عَبْدِ الْمَلِكِ، وَأَبُو عَبْدِ الْأَعْلَى الْمُضَرِيِّ)

الطبعة الأولى

1446 هـ

مؤسسة صرح الخلافة



بسم الله الرحمن الرحيم

الجامع
لِسِيَرِ أَعْلَامِ الشُّهَدَاءِ

(٥١ عددًا)

اَلْمُؤلِّفُ: الشَّيْخُ الْمُجَاهِدُ أَبُو حَمْزَةَ الْمُهَاجِرُ -تَقَبَّلَهُ الله تعَالَى-

(كَتَبَ أَبُو حَمْزَةَ تسعة وثلاثون عَدَدًا، وَأَكْمَلَهَا أَبُو عَبْدِ الْمَلِكِ، وأَبُو عَبْدِ الْأَعْلَى الْمُضِرِيّ)

الطبعة الأولى

١٤٤٦هـ

مؤسسة صرح الخلافة



الفهرس







مقدمة صرح الخلافة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

إن من نعم الله على جند الإسلام، أن أكرمهم بأن جعل النصر حليفهم في حياتهم ومماتهم؛ فإما نصر على الأعداء أو شهادة في سبيل رب السماء. ولكل شهيد قبل أن ينال هذه الكرامة، سيرة تُنير الطريق للتائه عن الدرب، وتحكي صدقه مع العزيز الرحيم، وتلهم اللاحق مسالك النصر ودروب العزة والكرامة. والشهداء في هذه الأمة المباركة كثر، وكثيرٌ منهم لم تكتب سيرهم، ولا يدري عنهم إلا رب العالمين. وما كتبه الشهيد أبي حمزة المهاجر -تقبله الله- إلا غرفةً من بحر، وذكر يسيرًا من حياتهم -تقبلهم الله-.

هذه السير كتبها بكنية (أبي إسماعيل المهاجر) وتعدادها: ٤٧ سيرة في ٣٩ عددًا، ثم أكمل من بعده السير ثلاثة كتاب: أبو الأعلى المضريّ (٧ أعداد)، وأبو عبد الملك (٤ أعداد)، وأبو سهل الأنصاري (عدد). ومن بين هذه السير، ستجد سير وحوادث أخرى؛ مثل: بعضًا من سيرة أبي حمزة، ومعركتي الفلوجة الأولى والثانية، وغيرها. وسيدرك القارئ من أحوال المعارك التي خاضها جند الإسلام في العراق على ثلاث فترات.

في هذا الجامع، تم تصحيح الأخطاء في النسخ المنشورة، وترتيبه حسب الأعداد، وتركت علامات الترقيم كما كتبها الكتاب الأربعة.

نشرت مجلتي دابق ورومية وصحيفة النبأ، سير أخرى للشهداء؛ ففي دابق مثلاً تحت عنوان: {من المؤمنين رجال صدقوا}، وفي النبأ (قصة شهيد).

نسأل الله تعالى أن يكرم الشهيد أبي حمزة الفردوس الأعلى، وأن يبارك في هذا العمل.

إخوانكم في صرح الخلافة



مقدمة سير أعلام الشهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي كتب العاقبة للمتقين، وجعل الخذْلان حظّا للكافرين والمرجفين، والصلاة والسلام على إمام المجاهدين محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين...

زارني شيخ عزيز فاضل في داري، ولما علم أنني كنتُ تشرّفتُ بصحبة عدد من شهداء بلاد الرافدين طلب إليّ أن أسطّر بعض ما يمكن عنهم، وعلى قلّة بضاعتي وعَجْزِ بياني كان لِزاماً عليَّ أن أجيبه لأن مثله لا يُرَد.

وسرد قصص الأبطال وتراجمهم، مَدعاة لرفع الهمّة وتسلية القلوب، ودفع الشباب والتأسّي بكريم صفاتِهم ونبيل فعالهم، من باب:

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم *** إن التشبه بالكرام فلاح

وليعلم الناسُ أن رحِم النساء لا يزال وَلوداً، وأن الأمهات يَلِدنَ أبطالاً يُذَكّروننا بخالدٍ وموسى والمثنى.

وبادئ ذي بَدْءٍ أُحِبُّ أن أقول: إنه خلال عِشرتي لكثير من الشهداء، سواءٌ أولئك الذين قضَوا نَحْبَهم في سوح الوغى، أو ذاك الصنف العجيب من البشر أعني (الاستشهاديين)...



أقول: تبيّن لي أنهم لا يخرجون عن هذه الصفات، فقد تجتمع في أحدهم أو يتميّز بواحدة منها وهو الغالب.

١- اجتهاد عجيب في الطاعات، من كثرةِ صلاة وصيام، وخاصة قيام الليل، وخدمة الإخوان وذلّة لهم {أذِلّةٍ على المؤمِنينَ} وغير ذلك من جميل المحامد ولطيف الصنائع.

٢- سلامَةُ الصدر وسَجِيَّةُ الطبع، وهذا الصنف من الشهداء عجيب إذا رأيته تظنه أنه ولد لتوِّه من صفاء روحه وخِفّة ظله، وجميل عشرته وسهولة صحبته.

وغالب صفات هؤلاء خمول الذكر، إذا سئلوا لم يُعطَوا، وإذا حضروا لم يُعلم بهم، وإذا غابوا لا يُسأل عنهم وعلى الجملة لا يُؤْبه بهم.

٣- عقيدةٌ صافية وعزيمة فولاذية، شعارهم ومبدؤهم في الحياة (أوثق عُرَى الإيمان الحبُ في الله والبغض في الله)، قال لي أستاذهم يوماً: "ينبغي يا أخي أنه كما نتعلم أن نَذِلّ للمؤمنين ونحبّهم ونقرأ في ذلك الكتب، ونطيل في سِيَرَ أولئك كالشهب؛ ينبغي أن نتعلم أيضاً كيف نكرَه الكافر وكيف نَحقد عليه، وكيف تَهون علينا حياتنا ما دامت ستخلص الدنيا من نَتْنِ هؤلاء، لأن ذلك هو الركن الثاني من أوثق عرى الإيمان".



٤- رجل أسرفَ على نفسه فتداركتْه رحمة ربك ببعض ما كان منه من عمل صالح، فجعل شعاره {ففِرّوا إلى الله}، ولم يعلم إلا أن الله مُنْجٍ، فأقبل على الله يطلب الموت مظانَّه.

هذه أربع صفات، حسب ظنّي والله وليُّ التوفيق، وإليك باكورة هؤلاء...



القسم الإعلامي في تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين



أبو أسامة المغربي (١)

ذاك الجبل الصامت، والقلب الدافئ والإيمان الصادق، والجَرد الواضح، كان حبيبي أبو أسامة قليلَ الكلام دائم الصمت، قليل الخلطة حُبّبت إليه العزلة، أنيسُه القرآن، كأنّ بينه وبين الله سر.

من بلاد المغرب، من أقصى الشمال، من مدينة طنجة، شابٌّ في مستهَلّ عمر الزهور، في السادسة والعشرين من العمر -عذراً كان في السادسة والعشرين-، يمتلك مع أبيه مطعماً فخماً يدُرّ دخْلاً لا يقلُّ عن ثلاثة آلاف دولار شهرياً، اشترى قطعة أرض وتزوّج قبل مجيئه إلى أرض الجهاد بست سنوات، لكنه لم يرزق بولد.

سئم القراءة عن الجهاد وعِزِّه، وهو بعدُ لم يفعل شيئاً، قرر الحبيب أن يذهب إلى ساحة من ساحات العز، لكنه لا يعرف أحداً يوصلُه، ولا رفيقاً يساعده ويكونُ معه، باع قطعة الأرض، وحجز تذكرة سفر لدولة عربية، وعزم على السفر وشعاره {عسى ربّي أن يهديَني سواءَ السّبيل}.

وفجأة؛ جاءت إليه أمه وزوجه تزُفّ إليه خبراً طالما حَلُمَ بعزفه وأنشودته، وتمنى سنين أن يسمعه: "زوجتك حامل"، ذُرِفَت دموع الفرح، ثم اختلى بنفسه يحدثُها: "يا ويحك هذا أول البلاء، فامضِ إلى ما عَزَمْت، وإياك من النقمة بعد النعمة"، ومضى في عزمه يعدّ الراحلة ويتزود لسفره، وسافر إلى تلك الدولة، ولا يَعْرِف أحداً وليس معه أحد، وأخذ يدورُ من مسجدٍ إلى

مسجد، ويُطيل الجلوسَ فيها يكثِرُ الدعاء ويذْرُف الدموع إلى الله، عساه يهديه إلى من يوصله إلى طريق من طرق الجهاد، وفي إحدى المرات سمع شباباً يتكلمون بلهجته، فتعارفوا وفاتحهم بعد أن ظن منهم ومن سَمْتِهم أنهم مجاهدون، أو في طريقهم إلى ذلك، وصدقَت فِراسته، واحتملوه معهم إلى بلاد الرافدين، وكان أمير المجموعة (أبو خبّاب الفلسطيني) رحمه الله، الشهيد البطل لعلنا نعود إلى سيرته لاحقاً.

أقول وصلت المجموعة إلى بيتي، وفي ليلة من أجمل ليالي العمر، جلسنا جميعاً وتذاكرنا البيعات، وتذكرنا الصحابي الجليل عكرمة بن أبي جهل، لما بايع أصحابه في معركة اليرموك على الموت فمدَدْنا أيدَينا وتبايعْنا على الموت والجهاد في سبيل الله.

وجاء وقت الوفاء، وطُلب منا عمل ضد مبنى الأمم المتحدة، وإن كان قد ضُرب قبلَها بشهر، إلا أنه ما زال العمل فيه مستمراً، وتَبقّى من موظفيه ما يقارب مائة شخص، يخدمُهم عدد ضخم من مرتدّي الشرطة حديثة التكوين.

وتَمَّت مراجعة المكان وكيفيةُ ضربه، ونوعية السيارة الممكن استخدامها، وكمية المتفجرات اللازمة والطرق البعيدة عن السيطرات وإلى غير ذلك.

وكان -أبو أسامة- أصدق المتابعين، وأكثرهم إلحاحاً على سرعة التنفيذ، وكان قد كلّفَنا الاتصال بأهله، وإذا بأمه تبشّرنا أن ابنها رُزِق بولدِ وأسمته "أسامة"، على رمز أهل السنة والجماعة أعني "ابن لادن".



وذهبْتُ إلى البيت الذي فيه أبو أسامة، أحمل في ذهني هَمَّ العملية وأسلوب تنفيذها، واختليت بأخي وأخبرته أنه قد تم اختياره ليكون هو المنفذَ لها، ففرح وطار وضحك، وأوصاني أن يبقى الأمر سراً بيني وبينه ولا يعلمه أحد من الشباب، حتى يتمَّ فوعدته بذلك، ودخلنا وجلسنا مع الشباب، وإذ بي أتذكر بشرى ولادة ابنه "أسامة"، قلت: سبحان الله كيف أقول له ومنذ دقائقَ كلمتُه عن الاستشهاد، فاستخرتُ واستعنتُ بالله ثم بشّرته، ففرح ثم خلا بي وقال بالحرف الواحد: "كنت منذ أن استيقظت مسروراً، فعلمت أن خبراً مفرحاً سيأتي، ووالله ثم والله للأول أحبُ إليّ من الثاني".

وجاء يوم التنفيذ، فأحضرْتُه إلى بيتي حتى يختليَ بنفسه ليلة التنفيذ بعيداً عن الشباب، وأقبل على ربه يصلي ويدعو ويبكي، وجلستُ خلفَه أمْلأ العين منه، ثم قلت له وذلك في حوالي الثانية ليلاً: "أسامة استرح قليلاً (نام شوية)"، فنام ولم أنم، ونظرت إلى وجهه فكانه والله أجمل من القمر يتهلّل فرحاً فأمسكت قلمي، وجلست أكتب وأنا أنظر إليه تلك الأبيات، التي أسعفتني بها نفسي ومعرفتي باللّغة:

– علّمني يا شهيد –

علمني كيف أكون شهيداً *** علمني كيف أموت حميداً

علمني كيف أَدِينُ لربي *** أدع الدنيا هناك عيداً

علمني كيف أودع أهلي *** جلداً صبوراً كالجبال صموداً

علمني كيف أعوف بنيَّ *** غضاً طرياً في الحياة جديداً



أذر الأحبة للرحيم يقيناً *** غير الرحيم من يعين وليداً

فقل لي بربك يا شهيد معلماً *** أكنتَ يوماً للحياة مريداً

وقل لي بربك يا حبيب مبشراً *** ماذا رأيت للشهيد حصيداً

وجهُك نورٌ لا يَمَلُّ ناظره *** قولُك حقٌّ والدليل شهيداً

صمتك فكرٌ لا تحب سفاسفاً *** هَزْلُك جِدٌّ في الأمور بعيداً

فارقد أُخَيَّ قريرةً أجفانك *** لا خوف عليك بعدُ أكيداً

وفي الصباح، كان من المفروض أن أذهب معه، حتى نستطلع الهدف للمرة الأخيرة قبل التنفيذ، وهل جدَّ عليه شيء.

فقلت له يا أسامة خذ هذا القميص، أحسنُ لك واخلع قميصك، وكان هدفي أن آخذه لي لأسباب - ليس لي فيها بدعة إن شاء الله-، وانطلقنا سويّاً، ولما رأى الهدفَ وجدْنا العدو فعلاً زاد حاجزاً مهماً، فقلت: هل يعيقك للدخول قال: "لا أنا - الحمد لله - أتجاوزه بسهولة"، فظَلَلْتُ أذكره بالله، وأن الموضعَ موضعُ نُصْرة، وأُلمِح له أن يتماسكَ، فعَلم مُرادي، وأني أريد أن أسمع منه كلمة تطمئنني فقال لي كلمة ينبغي أن تُشَكّلَ بالذهب.

قال: "اعلم يا شيخُ لو أن الموت هاهنا - وأشار إلى حجرٍ أمامنا -، ولا أستطيع أن أذهب إليه إلا زاحفاً لَزَحفت إليه فاطمئِن".

ثم رجع واستلم عروسه "سيارته"، وطار بها أمامي، وأنا أمشي خلفه بسيارتي، وكان يوماً مزدحماً فأخذ يناورُ بين السيارات كأنه في حلْبة مسابقة، يريد أن يكون الفائز الأول، فلم أستطع أن أتمالك نفسي فخارَت قواي



وهطلت دموعي، وأوقفت سيارتي ورأيته يبتعد عني ويقترب من هدفه، وإذا به يستقر في قلبه لِينْتزع قلوباً مجرمة، فينعمُ ويشقون، ويصعد ويهبطون، ورأيت عمود النار يرتفع في السماء عشرين متراً تقريباً، مع صوت يصِمُّ الآذان، وإذا به يحصد خمسين كافراً يحادُّون الله ورسوله، فرحمةُ الله عليك يا أبا أسامة.

بقي أن أقول: إن أبا أسامة كان قد جَهَّزَ نفسَه، أي دفَع ثمن السيارة التي نفذ بها من ماله الخاص. فخرج بنفسه وماله، ولم يرجع من ذلك بشيء وهذه أسمى أنواع الشهادة.

وعلى إثْر هذه العملية، قرّرتْ الأمم المتحدة أن تغادر بلاد الرافدين نهائياً، وتعزم على عدم العودة إليها إلا إذا توافرت لها الدواعي الأمنية المناسبة، ونقول بدون قسم لئن عادوا لنَعُودَنّ ولن نزيد، والله الموفق.

أسأل الله أن يجمعنا به ولا يحرمنا أجره ولا يَفْتِننا بعده آمين... والحمد لله ربّ العالمين.



أبو هريرة الحجازي (٢)

إمام هُدى ومعلم رشد، صاحبُ عَقيدة صافية لا يداهن عليها و لو كَلفه ذلك فراقُ الأهل والمال والأرض، فهو أَرْسَخُ من الجبال عقيدةً وأنْقى من اللبن صفاءً جاء مُبكراً مع رِفْقةٍ صالحين من إخوانه كانوا حديثي عهدٍ باستقامة، جلسَ بينهم معلماً وخادماً، غرس في قلوبهم من طُهْر عقيدته، وأخذ يرعى حقله ويتعهده حتى أثمر في نفوس أصحابه.

كان من أقواله: "إن قتال الأسوَد مُقدّمٌ على قتالِ الأبيض"؛ ويعني بذلك المرتدين الخونة من الجواسيس والشرط وعملاء الأمريكان على كافة الأشكال، شعاره {قَاتِلُواْ الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً}، وكان من أقواله: "إن قتال المرتد أولى من قتال الكافر الأصلي" قائلاً إن الشريعة استقرت على ذلك.

وكان دائم الاستشهاد بقصة خير الخلق بعد الأنبياء، وأعلمهم أعني أبا بكر الصديق رضي الله عنه، وأنه لما ارتدَّتْ العرب بدأ بقتالهم قبل الكفار الأصليين، وعارضه في ذلك الصحابة فما زال بهم حتى شرح الله صدورهم، وكان يقول: "فما بالنا لا نَقف موقف صِدْق كالصِدّيق لعل الله يشرح صدور قومنا كما شرح صدورَ الصحابة".

و كان يقول: "لو أني رأيت المرتدَّ متعلقاً بأستار الكعبة لقتلتُه، والكافر لو رأيته خارجاً من زاوية مَزْوِيَّة، تستخدم مسجداً لَحَرُمَ علي دمه".



لله درك يا أبا هريـــرة! فلطالما كـــررتَ أن الشـــرطة والجيش ومجلس الحكم كفـرهم من أكـثر من عشـرين وجهـاً؛ فمـتى تنشـرح صـدور المسـلمين بقتـالهم. ولطالما زَأَرْتَ بـذلك ورأيتُ الحسـرة تتقطّر من ثناياك حينمـا كنت تقـول: "يا ليتَ قومي يعلمون".

التحق صاحبي بجماعة سُنيّة تعمل في منطقة الشمال، وقرّر أن يقوم بعملية استشهادية ضد حَفْنَة من كبار المرتدين، وجُهِّزَت له سيارة لذلك، و سبحان الله كـان كلمـا ذهب للتنفيـذ تتعسّر العمليـة لأسباب كثيرة، فيـذهب حتى إذا كان بالقرب من الهدف يرجع، ثلاث مرات على هذا الحال، حتى قال لي بعد ذلك: "لقد اعتدت الذهاب فما عدتُ أشعر برهبة الموقف"، ثم بدا لصاحبنا أن يترُكَ تلك المجموعة التي كان يجاهد معها من شمال العراق لأسبابٍ رآها.

و كان صاحبنا دائم البحث عنا و لا يعلم أين نحن نظراً للتَكَتُّم الأمني الذي أحيطت به الجماعة لظروفٍ معلومة للجميع، كان يسمع أن هناك تجمعاً ما بدا يتبلور انصهر فيه جلُّ العرب الوافدين لبلاد الرافدين إن لم نَقُلْ كلهم، و أخيراً وصل إلينا، مع ما كان معه من إخوة ثم أخذ الحبيب دوره بين إخوانه نصحاً وإرشاداً.

و مـا هـو إلا قليل حتى فـاتحني برغبته الشـديدة في تنفيـذ عمليـة استشـهادية، فقلت لـه: أبشـر! لكن صـبراً لأن أمامـك إخـوة سـبقوك في الطلب. ثم أعـاد الطلب مـرة أخـرى، و اشـترط علي شيئاً كـان بالنسبة إلي جديـداً، ومـا كنت أظن أن من بين الإخـوة الشـباب من يمكن أن يصـل نضـوجُ فكـره ورسـوخُ



وثبات عقيدته إلى ذلك الحَدِّ، قال: "أريد عملية استشهادية ضد المرتدين، لا أريد ضد الأمريكان، هناك من يتمنى القيام بعمل استشهادي ضدهم، أما هؤلاء الأنجاس فعندي أولى وأرى الآخرين يتقاعسون في الثأر منهم".

فقلت له: أبشر، وكان أحد إخوانه قد رأى له قبل ذلك رؤيا خلاصتها أنه رآه في صورة حسنة، ورأى أنه قد دمّر مبنىً مُكوناً من طابقين، وأصاب مبنىً صغيراً بجانبه. ولم يكن بعدُ قد تقرّر ما هو العمل الذي سيقوم به أبو هريرة، فالأهداف ما زالت في طور المراقبة والاستطلاع، وفي يوم قال لي أحد الإخوة المراقبين أن هناك هدفاً دسماً يجتمع فيه عدد ضخمٌ من المرتدين في محافظة مجاورة لنا، أصاب المجاهدين منهم أذاً كبيرا، حتى تعدّى ذلك إلى نساء المسلمين، وتأثرت العمليات ضد الصليبيين بسبب نشاط هؤلاء...

فقلت: صفه لي، فقال: مبنى مديرية الأمن العام في محافظة كذا، وبجانبه مبنى المجلس البلدي يجتمع فيه الأمريكان يوم كذا ساعة كذا، وعرضت العمل على أبي هريرة ووصفتُ له المكان، ففرح وهلّل وكبّر وقال: "أُبَشِّرُك يا شيخ"، قلت: ما زلنا نرى منك البشرى، بَشِّر، فحكى لي الرؤيا، ففرحت أيضاً لأني عرفتُ أن مَظنّة التوفيق عالية.

وفي يوم التنفيذ فاتحني بما لم ولن أنساه قط... قال: "يا شيخ أنا ذاهب إلى ما ترى، وعلم الله ليس من باب الفضول فليس هذا محلّه، لكنه دين، قال رسول الله ﷺ: (من مات وليس في عنقه بيعة...) وقال: أعلم أن هذا في البيعة



الكبرى، لكنني أحتسب أن يكون لي أجرها ما دمتُ لم أدركها في بيعة الجهاد... مَن أميري؟".

قلت: أميرك أبو مصعب. قال: "أُشهدك أني بايعت أبا مصعب على السمع والطاعة في المنْشِط والمكره وأثَرة علينا، وألا أنازعَ الأمرَ أهلَهُ، إلا أن أرى كفراً بواحاً، عندي من الله فيه برهان"، ثم ركب سيارته وانطلق لهدفه.

وفي الساعة الثامنة والنصف صباحاً، كان الحبيبُ في جوار حبيبه رسول الله ﷺ نحسبه كذلك، وشِلَّة المرتدين في جوار فرعون وهامان، لا نشك في ذلك، ومعهم حفنة من رعاة البقر... والحمد لله على التوفيق والسداد.

عودة إلى أمر البيعة، قد يستغرب القارئ من السؤال، نعم أخي، لما اجتمعنا كان الإخوة يأتون إلينا ولا يعرفون من أميرهم أو كثير منهم على الأقل، لا يعرفون إلا أميرهم المباشر لهم كحالتنا هذه، كان صاحبنا لا يعرف إلا العبد الفقير على عجزه وقلة بضاعته، لكنني كنت أقول لهم: إن لنا أميراً عاماً ليس من الضرورة معرفته، لأننا اجتمعنا تحت راية لا إله إلا الله، فقد كَرِهنا منذ زمنٍ العصبية للجماعات والأسماء، على الرغم من مشروعيتها فأنا ابن جماعة من هؤلاء معروفة، لكن في العراق أردناها لله خالصة، وعزمنا على ذلك وخوفاً من الرياء الذي يهبط معه الفضل كالسيل الجارف، ومشاكل الكِبْر والفخرِ، وَمضينا على ذلك نقاتل ونفجر، حتى مرّت علينا أيام كانت لنا ست عمليات استشهادية في يوم واحد في ساعة واحدة.



وكان العزم أن تكون لله دعوة خالصة، قال: والمال لا بد منه، قلنا: خزائن السموات لا تنفد، لكنه بعد ذلك نسبت جماعاتٌ بعض هذه العمليات إليها لجمَع المال على مَسْمَعٍ منا ولا حول ولا قوّة إلا بالله، فخشينا والله على الدماء أن يتبناها من لا عقيدة ولا خلق له، فتضيع ثمرة الجهاد، فتم تشكيل الجماعة، والله الموفق وعليه التكلان.



أبو عُمَيْرٍ السّوري (٣)

هُوَ العابدُ الزاهدُ، التقيُّ النقيُّ العارفُ باللهِ أبو عُمَيْرٍ السوريُّ الحَلَبِيُّ، وُلِدَ الشَّهيدُ - نَحْسَبُهُ واللهُ حَسِيبهُ - لأُسرةٍ ثريَّةٍ تَمْتَلِكُ مَصْنَعاً للنسيجِ، حيثُ فَقَدَ والِدَهُ مُنْذُ صِغَرِهِ، فقامت أُمُّهُ بتربيته.

كان رحمه الله بارّاً بأُمّهِ، مُحِبّاً لها، شغوفاً لخدْمَتِها، غير أَنَّ ذلك لم يمنعْهُ مِنْ أن يُجيبَ داعيَ اللهِ لـمَّا قرَأ قَولَهُ تَعالى: {اِنْفِروا خِفافاً وثقالاً}، فتَرَكَ دِراسَتَهُ وهوَ الشابُ الوسيمُ المتفوقُ، حيثُ كان طالباً بِكُلِيَّةِ الهندسةِ (قسم الكهرباءِ - المرحلة الثالثة).

كان يُرَدِّدُ دائمَاً قَوْلَه تَعالى: {قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ}.

جاءَ - رَحِمهُ اللَّهُ - إلى ساحةِ الجهاد وحيداً، حيثُ التقى بالشَّهيدِ البطلِ أبي خطّابٍ اليمنيُّ الهنديُّ الحجازيُّ - وسوفَ نعودُ إليهِ إنْ شاءَ اللَّهُ -، جاءوا إلى مدينةِ الفلوجةِ، مدينةِ العزِّ والجهادِ، نزلوا في بادئ الأَمْرِ عِنْدَ أحدِ الشيوخ الذين كانوا يساعدونُ المجاهدينَ العربَ، ويقدّر الله أن ألتقي بالشهيدِ فحدثَنِي عَنْ رَغْبَتِهِ بالالتِحاقِ بنا، فقلتُ لهما: نحنُ تبايعنا على الموت ولا نقبلُ إلا مَنْ



كان مُستعداً للشهادةِ، فَضَحِكَ يوَمَها وقالَ: "عَنْها أَبْحثُ، ولها أَجِدُّ وأَطلُبُ، وهلْ يُريدُ غيرها أَحدٌ؟!"، فَواعدتُهُما ونَقلتُهُما إلى بيتِ أبي عبدِ اللّهِ الشاميّ.

وفي هذا البيتِ اجتمع عصبةٌ مِنْ الأبطالِ الأشاوس، ممن كانت تشعُ وجُوهُهُم نوراً، وتسيلُ أفْئِدَتُهُم صفاءً، ينتقون أطايب الكلامِ كما يُنْتَقى أطايبُ الثَّمَرِ، كانوا إخْوَةً في اللّهِ إِذْا جَلَسْتَ مَعَهُم ازْدَدتَ إيماناً، يُذَكِّرُونكَ باللّهِ وتَصْغَرُ نَفْسُكَ أَمَامَهُم، القرآنُ بأيدِيهم، والبَسْمَةُ عَلى وُجوهِهُم، والصلاةُ وسيلةٌ إلى ربهم، كانتْ أمُّ عبدِ اللهِ تَحْتَسِبُ في خدمَتِهُم الأجرَ والثوابَ -على الرَغمِ مِنْ كثرةِ الوَلَدِ وضَعْفِ الحالِ وضغط المرض - كان يدبُ النشاطُ فيها عندَ خدمَتِهم.

وقد حَدَّثني أبو عبدِ اللهِ الشاميُّ وهو جالسٌ بجانبي يوماً فقال:

كُنْتُ إذا نمْتُ مع الإخوة في الطّابقِ العلويّ لا يفوتني نصيبي مِنْ قِيامِ الليلِ، وأحمدُ اللهَ إذا حَظَيْتُ بصلاة الوتر عند نومي معَ أهلي، وكنتُ كُلما دخلتُ على زَوجَتي ذَكَّرَتْني بأبي عمير وإخوانِهِ قائلةً: (أستحلفُكَ باللهِ ألا تحرمَني الأجْرَ في أن أُنفِّذَ عمليةً استشهادية في مكانٍ لا تدخلهُ إلاَّ النساءُ)، لأنها كانت كُلَّما أيقَظها صغيرُها سمِعَتْ صوتاً كأنّه نحيب امرئٍ فَقَدَ وَحِيدَهُ، وتقولُ: لم أسمعْ قطْ صوتَ أحدِهم مرتفعاً إلى الحد الذي أستبينُ فيه كلامه، وأَما الضِّحكةُ العاليةُ فحاشاها أن تَعِرفَ طريقاً إليهم، كانوا يأكلونَ ليعيشوا لا لِيَبْنُوا كُرُوشاً...



وأعـودُ إلى الحبيبِ الشـهيدِ أبي عمـير الـذي مـا رأيتُ ولا سمعتُ بِمِثْلِـهِ في العبادة، فقد كـان الشـهيدُ أبو خبابٍ الفلسطينيُّ البطلُ الصنديدُ العزيزُ باللهِ – وسأعودُ إليهِ لاحقاً– يقول: "أَنَّهُ لا يستطيعُ النومَ عند أبي عبد الله الشامي لأنه يستحي من أبي عمير، فإنّه ما استيقظَ ليلاً إلاَّ وَوَجَدَهُ قائماً يصلي".

لله درك يا أبا عمير، قال رسول الله ﷺ: (وجُعِلتْ قُرَّةُ عَيني في الصلاةِ)، ووالله لا زال في هذه الأمة مَنْ جُعِلَتْ قُرَّةُ عينه في الصلاة، وأحلفُ باللهِ أَنَّ أبا عميرٍ كان منهم، وكذا أبا عبدِ الرحمنِ الليبيِّ –أسألُ اللهَ أن يفكَ أسرهُ–.

كان أبو عمير إذا صَلَّى العشاءَ أخذَ حظهُ مِنْ الصلاةِ، ثُم تحدث مع إخوانهِ قليلاً، ثم نامَ سـاعةً أو سـاعتينِ مِنْ الليـل، ثم يجفي جنبـهُ عن مضـجعهِ إلى أن يصليَ الضحى (اثنا عشرَ ركعةً)، وبعدها ينامُ ساعةً ويستيقظُ ليتناولَ الإفطارَ، ثم يصلي حتى الظهر ويصلي الظهرَ، وبعدها يصلي حتى العصر، وهكذا.

يقـولُ إخوانـهُ: واللهِ مـا رأينـاهُ إلا وهـو يُصـلي أو ممسـكا بكتـابِ اللهِ، وأمـا صيامُهُ فكـان رحمه اللهُ يصـومُ يومـاً ويفطـرُ يومـاً، فأشـفقَ عليـهِ "أبـو عبـد اللهِ" وطلبَ منهُ أنْ يرفقَ بنفسهِ، فأجابهُ ابو عمير قائلاً: "لـولا أَنَّ صيـامَ الدهرِ حرامٌ لصمتهُ، وما هي إلا أيامٌ معدودةٌ وألقى الأحبةَ إن شاءَ اللَّهُ".

وبينمـا كـان البطلُ ينتظرُ لحظةً يشـفي اللَّهُ بها صدورَ قومٍ مؤمنينَ، رصدتْ كتيبـة الاسـتطلاعِ هـدفاً مهمـاً، وهـو المقـرُ العـامُ للقـواتِ البولنديـةِ في مدينـةِ كربلاء، حيثُ طافَ الأبطالُ حولَهُ فرأوا ثَغْرَةً في حمايةِ المقرِ تقعُ بالقربِ مِنْ



شارعٍ فرعيّ لقريةٍ عشوائيةٍ بُنيتْ لِيَسْكُنَهَا مَنْ يخدمُ الكفارَ، وقد ترك الكفار تلك الثَّغرة بعدَ أن أصبحَ بينهم وبينَ خَدَمِهِم رحمةً ومودةً.

فانطلقَ أبو عُمَير السّوري وأخوهُ أبو الزبيرِ الكويتيُّ، ومعهما أسدٌ ثالثٌ طافَ قبلَ التنفيذِ حولَ الهدفِ فحددَ أُسلوب التنفيذِ، حيث تقدمَ أبو عُميرٍ فاقتلعَ الأبوابَ واسقطَ الأبراجَ مِنْ عليائِها مُخْتَلِطَةً بدماءِ الأنجاسِ، ثم اقتحمَ الليثُ الآخرُ "أبو الزبير" بشاحنةٍ محملةٍ بخمسةِ أطنانٍ مِنَ المتفجراتِ حيثُ استقرَ في سويداءِ القاعدةِ فجعلها كأنها لم تغن بالأمسِ، وقد قُدرتْ ضحايا العدوِ بالمئاتِ، إلا أن التعتيمَ كان شعارَ العدوِ كعادتهِ.

ولا أنسى في النهايةِ أنْ أذكرَ لكم أبياتاً كَتَبْتُهَا للحبيبِ أبي عميرٍ قبلَ أن أُودعهُ أحُثهُ فيها على ما كان يتمناهُ، فقلت له مخاطباً:

أَبَا عُمَيْرٍ لا تُبَالي *** فالسَّعْدُ في طَلَبِ المَعَالي
عَجِّلْ خُطَاكَ لِرَبِّكَ *** فالحُوْرُ في شَوْقِ الوِصَالِ
نَشَرَتْ جَدَائِلَها تقولُ *** هَلُمَّ يا فَخْرَ المَنَالِ



الحجّي ثامر مبارك (٤)

هو الشجاعُ المغوارُ والأسد الهصور "حجّي" ثامر مبارك عطروز، ذلولٌ مع إخوته جبارٌ باطش على أعداء الله ورسوله، صاحبُ غيرة متميزة و مروءة نادرة، كان ذا همّة عالية وتواضع جم، أنباريُّ المولدِ والنشأة؛ ولهذا كانت شخصيتهُ مزيجاً من الأنفةِ ورفضِ الذلِّ مع حبّ إكرام الضّيف وإجارة الطريد.

كنتَ أهلاً للفضيلةِ حاملاً *** وبرزتَ في تاجِ الوَقار الأنبلِ
في صدْرك الصّافي حملت سماحةً *** تجتثّ كفراً في العُلوج النذّلِ
ومضيتَ في دربِ الجهادِ مجاهداً *** يوم الشدائد إذ تنوء بكلكلِ

كانت المنطقة التي نشأ فيها الحاجّ ثامر بالتحديد "الخالدية"، تلك المدينة الصغيرة أو القرية الكبيرة، التي تقع على مرمى حجرٍ من أكبر قاعدة أمريكية في الشرق الأوسط، تلك هي قاعدة "الحبانية".

كان الأنصاريّ الهُمام ضابطاً في الجيش العراقيّ السابق، لكنه فَقِه التوحيد مبكراً و أيقن بكفر البعث وسيّده، فراحَ يدعو لذلك سراً وجهراً، ولما قرُب منه الخطر، سافر إلى بلاد الحرمين وقبل سقوط النظام بمدّة عاد إلى بلده، بعدما سكَنَ الطلبُ وعاود نشاطه، لكنه في هذه المرة كان يعمل بشكل أكثر تنظيماً، فأخذ يُعدّ العدّة ليومٍ ظنّه قريباً، و هو نِزال اليهود والأمريكان، وبالطبع لم يطلق رصاصة لأجل البعث، عندما كان يواجه نهاية عصرِه على أتباعه ومؤيديه من الغرب الصليبي.



الحاجّ ثامر ينحدر من أسرةٍ طيبةٍ، فهو نبتةٌ طيبةٌ صالحةٌ في وسط بستانٍ مثمر، أخوه "أبو عبيدة" مطلوب بقوة لقوات "المارينز" الأمريكي، وأخوه الآخر "ياسر" بقي معتقلاً إلى أن أطلق سراحه قبل موت الحاج بسبعة أيام، ثم عاود الأمريكان البحث عنه، وقد استشهد إخوته كلهم في سبيل الله تعالى، واعتقلت القواتُ الأمريكية إحدى أخواته للضغط عليه، ومساومته على تسليم نفسه مقابل إطلاق سراحها، فخرجت مدينة الرّمادي عن آخرها وحاصرت القاعدة الأمريكية، وتصاعدت العمليات ضد الأمريكان وعندها شعر الصليبيون بأنهم ورّطوا أنفسهم بهذا الاعتقال فأطلقوا سراحها، ثم بعد ذلك بمدة طارد الأمريكان جميع أقرباء الحاجّ من أهله وأبناء عُمومته.

أذكر منهم "باسم" ذلك الشابّ الصالح الهادئ الرقيق، كان يعمل "سمكرياً" للسيارات، وكان صاحبنا الحاج ثامر ماهراً جداً في قيادة السيارات!!، فكلّما ركب سيارةً ضربها بأخرى فإن لم يجد فبحائط، وكان المسكين باسم ابنُ عمه مشغولاً دائماً -والعمل عنده مزدحم- بسبب الحاج ثامر، ذهبت أسأل عن "باسم" فقد كان حبيباً إليّ فصعقت بالخبر، ألم تعلم؟ قلت ماذا؟!، قالوا: استشهد بالأمس هو ورفيق له عندما كانا يضعان عبوة ناسفة لدورية أمريكية فرحمة الله عليه.

وعودة إلى الرفيق والحبيب الصّديق الحاجّ ثامر، أقول: بعدما عرِف التوحيد مبكراً، كان من أوائل الأنصار الذين سارعوا إلى العمل مع المهاجرين.



وحسبُك أن تعلم أن الحاج ثامر كان المسئول المباشر، والأمير المناوب لاثنتين من أكبر العمليات في العراق في تلك السنة:

الأولى مقتل عدوّ الله و صنيعةِ اليهود ورأس الرّافضة محمد باقر الحكيم.

والثانية عملية مقر الأمم المتحدة الأولى والتي حصدت رؤوساً للكفر، وعلى رأسهم "سيرجيو ديملّو" والذي كان وجه أمريكا المفضل في حرب المسلمين في العالم، ومنها عملية فصل تيمور الشرقية عن اندونيسيا وتحويلها إلى دويلة نصرانية، ومسألة المسلمين في كوسوفو؛ ثم جاؤوا به ليتمّ المهمة في العراق.

وقتلت في تلك العملية المباركة "نادية يونس" نائبة الأمين العام للأمم الملحدة، وثُلة من جنرالات الأمريكان ولله الحمد.

كان الحاج رحمه الله لا يعرف الرّاحة، ولا يحبّها ولا يكلُّ عن العمل، كان يترك أهله وأولاده مدّة طويلة ثم يتذكرهم فجأة، وعندما يذهب إليهم يجدهم قد شارفوا على الجوع؛ لأنه كان يسكن بيتاً لا يعرفُ أحدٌ طريقه، وزوجته امرأة حييّة لا تخرج من بيتها.

وعلى ذكر أهله فإني كنت قد سكنت معه مدة في الأيام الأولى لانطلاق الجهاد في بلاد الرافدين، وتحدثني زوجتي أنها لم ترَ مثلها في النساء ديناً وطيبةً، و أنها لا تترك صيام يومي الاثنين والخميس من كل أسبوع، وكان قيام الليل عندها فرضاً واجباً لا تتخلف عنه، كانت قليلة الحديث كثيرة الأدب،



وانعكس ذلك على تربية بنتيها، ليعلم الناس من هنّ أزواج الشهداء وكيف اجتهد أخونا الحاج ثامر على بيته حتى ترك أثراً طيباً عليهم.

لقد كان الحاج رحمه الله لا يعرف للخجل طريقاً في أمور العقيدة، ولا يداهن عليها، فتراه دائم النّصح لكل من يلقاه في الشارع مع الكبير والصغير، ومن المحال أن يركب سيارة أجرة ويترك سائقها دون أن يدعوه إلى طاعة الله تعالى، وإذا كان السائق يستمع للموسيقى والأغاني فإنه ينصحه، فإن أبى دفع له الأجرة كاملة ونزل، ومع هذا كان باسماً ضحوكاً يدلي بما يريد إيصاله من حق دون تعنّت ولا تعنيف، ويعرض النّصيحة في ثياب برّاقة وأسلوب جذابٍ تميل معه القلوب وتقبله العقول.

وأما عن كيفية استشهاده؛ فبعد أحداث الفلوجة الأولى التي بدأت بعد مقتل الأمريكان الأربعة وإحراق جثثهم، كان الحاج ثامر على رأس مجموعة من المهاجرين والأنصار يرحلون في الصحراء والطرق الخارجية يلتمسون المأوى ويُغِيرون على العدو.

ولما لاحت نذُر الهجوم على الفلوجة، نزلوا لحمايتها وعند بدء الحصار كان الحاج موجوداً مع إخوانه في المنطقة الصناعية وما جاورها، وبسبب قلّة عدد المجاهدين مع اتساع المنطقة وكثرة المنافذ، تمكن الأمريكان من دخول الحيّ، وفي منتصف الليل دار اشتباك عنيف بين الإخوة المجاهدين وجنود "المارينز" المتسلّلين فاخترقت رصاصة صدر أحد الإخوة، ورجع الحاج لينقذ أخاه فأصابه قناص في رأسه فسقط شهيداً رحمه الله، وفي تلك الليلة نفسها استشهد



الأخ خطاب وأبو فارس بعد ذلك فرحمة الله على الجميع، وبعدها بعدة أيام أصيب العبد الفقير فجلست أبكي نفسي في البيت، ولأن الشهادة تخلفتني عن هؤلاء الأحبة فقلت هذه الأبيات:

رجل على الشوك يسير باكياً *** في ظلمة الليل البهيم مناديا

أين الرفيق يعالج المحتاج *** من للضعيف معيناً وهاديا

كواكب النور مضت تترنم *** من باع مثلنا يطير عاليا

نحن الذين تاجروا لربهم *** الصادقون الرابحون بناديا

قوافل الشهداء برق خاطف *** ريح العبير تحفهم فحنانيا

أين الصديق والرفيق بمحنة *** دامت علي فلا حبيبا حاديا

وحدي وحيداً أكابد الحسرات *** هيا خذوني فلا أريد معزيا

حسبي أخي بأني أحبكم *** هل يفيد الحب قعيداً جانيا

علماً أني أسميتها "قصة مسرف" أسأل الله أن يتوب علي برحمته ومنّه وفضله، آمين.



أبو حمزة الأردني (٥)

أعني البطلَ المجاهدَ، والجبل الأشمّ (نضال عربيّات)، أو (أبو محمّد)، أستاذُ علم التّشريك ببلاد الرافدين، وأوّلُ من أرسى دعائمه وثبّت أركانه، ويرجِع إليه الفضلُ بعد الله في علم تشريك السيارات، فهذا الأستاذ له الفضلُ بعد الله في معظم العمليات الاستشهادية التي سبَقت مقتلهُ، بدءاً بالحكيم ومروراً بـ"ديملّو" في الأمم المتحدة، والقوّات الإيطالية وأوكار الكفر في فندق شاهين ومطعم نبيل، وسائر كُبريات العمليّات الاستشهادية؛ فمن هو عن قرْب؟

شابٌّ هادئُ الطّبع ليّن الجانبِ، حسَنُ العِشرة لا تفارقُ البسمة وجهه، لا يخلو حديثه من دُعابة لطيفةٍ أو تعليقةٍ ظريفة، إن جالسته ظننته يعرفك أو تعرفه منذ سنين، يطوي عنك الغُربة، ويرفع حجاب البعد ليستقر في سُويداء قلبك، وكثيراً ما يتدرهُ السّائل: أظنّنا التقينا سابقاً - وما كان -، إلا أنّ الأرواح جنودٌ مجندةٌ، فما تَعارف منها ائتلف وما تَناكر منها اختلف.

من أسرةٍ عريقةٍ ميسورة الحال، أبوه -كما يقال وكما يظهر - من سمْته صاحبُ خلُق ودين ومن أهل المساجد، إذ لما سمع بقتله، احتسب واسترجع وقال: "الحمد لله الذي رزقه ماكان يتمنى".

سافر الشهيد إلى أفغانستانَ ثم إلى كردستان العراق، وكان حاضراً مع مجموعةٍ من العرب جلّهم شاميّون، وكان كما عهدناه، لا يعرف الخوفُ



طريقاً إليه وظلّ جندياً مجهولا، حتى انسحب الإخوة من الجبال لضراوة القصف، ثم عاد الشّهيد إلى بغداد وانضمّ إلى ركْب المجاهدين، لا، بل كان من أوائل السائرين في الركب.

تزوّج أبو حمزة (نضال) من صاحب المكانةِ الرفيعةِ، وقدم الصّدق والسّبق في التوحيد والجهاد، (الحاج ثامر) رحمه الله، فرُزق بولدٍ أسماه محمّد؛ لذا كان يكنّى بأبي محمّد؛ ولكيفيّة مقتله قصةٌ هي بيتُ القصيد وعُنوان الشخصية وبرهانُ الشجاعة.

كان قد أُوكل إليّ وإليه عملٌ مهمّ، فجلست وإياه في غرفةٍ على انفراد، نعدّ الخطّة ونرتب ما أحضرناه من مواد، وأجلَسْنا أحد الإخوة حراسةً أمام البيت، وحتى لا يدخل علينا أحد. وكان البيت في جزيرة الرّمادي، وهو بيت الشُجاع الهُمام اللّيث الشهيد (أبو فارس)، أسأل الله أن يخلُفَنا فيه خيرا، فقد كان وكان، ولكن الحمد لله، ولعلّي أعود إلى سيرته هو الآخر قريباً ولا حول ولا قوة إلا بالله؛ فقد كان نعم السّند وخير الرفيق.

أقول؛ جلسنا سوياً وإذا بالظّهر قد حان موعده، فقلت له: لا بارك الله في عملٍ يُلهي عن الصلاة. فذهبت للوضوء، ومن عادةِ بيوت العرب، أن تكون محلاّت الوضوء والغسل بعيدة عن البيت، وكان البيت يقعُ بالقرب من السّدة (وهي شارع مرتفع عن الأرض بُني لكي يكون سداً لنهر الفرات).



أقولُ: ذهبت للوضوء؛ وانا بداخل أحد المرافق، طرَق علي أحد الإخوة الباب طرقاً شديدا مفزعاً يقول بصوت عالٍ (الأمريكان... الأمريكان)؛ فخرجتَ مسرعاً ونظرت إلى طريق السدّة، حيث لا يوجدُ طريقٌ للبيت غيرُه، فلم أرَ شيئا، فقلت له: أذَهبوا يا أخي؟. فأشار إليّ أنْ خلْفَك.

وإذا بالبيت محاصراً من جميع الجهات بعجلاتِ "الهمر" تحيط به؛ اثنتان في الأقلّ منها وجهت الرشاشات مباشرةً إلينا؛ فقلت في نفسي: الآن لو تحركنا يجعل جسدي كالغربال، إذ ليس بيننا وبينه سوى خمسة عشرَ متراً، لكنّ الله سبحانه وتعالى وفّقَنا للجري في اتجاه الطريق (السدة)، وجاء جنديٌ أمريكيّ يعدو خلفنا حتى يأسرنا، إذ ليسَ معنا سلاح، وإذا بالأسدِ الهصورِ أبي حمزة يخرج من البيت، وكان ماهراً جداً في استخدام المسدس الذي كان لا يفارقه في يقظةٍ أو نوم، ووجّه مسدسهُ نحو الجندي الأمريكيّ، وفي خفة ومهارة أصابه برأسه، فما شعرنا إلا وهو يسقُطُ على وجهه، فانشغلَ الجنود به، وشاغلهم هو حتى هرب جميع من في المنزل من المجاهدين.

حتى أنه قبل إطلاق النارِ من مسدّسه، دخل إلى المنزل وأخرج النساء وأراد أن يخرج من المؤخرة، إلا أن الأمريكان كانوا قد حاصروا المنزل من كلّ جهاته بواسطة الجاسوس العارفِ بدُروب المنطقة، ولذا لم نشعر بهم ولم يشعر بهمُ الحارس.

وعودة إلى البطل، بعدما نفَدَت ذخيرته، أخرَجَ رمّانة يدويّة كانت معه، ورماها على الصليبيين فاستقرت بداخل "همر" فأحرقتها، وأحرَقت معها أربعةً



من القُلوب السوداء، حتى أنّي رأيتُ المروحيّة تهبط إلى البيت، لتحملَ قتلاهم وجرحاهم في معركة مع مجاهد واحد فقط، حمى إخوانه بنفسه فرحمة الله عليك أيها الحبيب.

وبعد انتهاء المعركة، وبعد يومٍ منها، ذهب والدُ أحد الإخوة إلى المنزل، وكان يعرف أبا حمزة، فأقسَمَ بالله أنّ رائحة المسكِ كانت ملأتْ البيتَ الذي صيّره الأمريكان خرابا، بعدما سرقوا كل ما ادّخرته هذه الأسرة من مال، وأذكُرُ أنّي قابلتُ الشهيد أبا فارس رحمه الله صاحبَ المنزل، فقال عن البيت والمال والشّتات الذي أصابهم "(فدوة)، كلّنا فداءٌ لهذا الدين وليس المال فقط"، فرحمة الله على الجميع وأسأل الله أن يجمعنا بهم ولا يحرمنا أجرَهم.

الله حسبي حينما تترجلُ *** والصبرُ أجبرُ للفؤادِ و أجملُ

والله حسبي حينما يجتاني *** أسفٌ عليك و حرقةٌ و تململُ

والله حسبي حين أجترع الأسى *** غصصا، ودمعي في ركابك يهملُ

و الله حسبي كلما صالت بنا *** برحى المنية صولةٌ لا تمهلُ

ذهب الذين أحبهم في جحفلٍ *** يتلوه في عين المصيبة جحفلُ

بقي أن أذكر، بأنّ الشهيدَ أبا حمزة كان قد أخذ جثتهُ الأمريكان، ثمّ سلّموها لمستشفى الرّمادي فتمكنّا من إخراجها بعد عشرين يوماً ودفنّاها فللّه الحمد.



ملحوظة: لم يكن معي سلاحٌ لأنني ذهبت للوضوء، إذ إنني كنتُ قبلها أحمل حزاما ناسفاً وبندقية، تركتهما جميعاً لما ذهبت للوضوء، فعاهدتُ نفسي ألا أترك سلاحي حتى وأنا ذاهبٌ للوضوء، والله الحافظ.



سيفُ الأمّة (٦)

هو الشّجاعُ المغوار، والبطلُ الفاتك، والجريءُ المقدام، من بلاد الحرمين، علم الله أنيّ للكتابة عن هذا الجبل الأشمّ لستُ بأهل، فسَلوا عنه جبال "الهندكوش" بأفغانستان، وقرى وأودية الشيشانِ، ثم دجلة والفرات تعرفون من الرّجل...

سيفُ الأمّة، أسدٌ غنيّ عن التعريف، خاصةً لقُدامى المجاهدين، فلقد عرفوه أمامهم في الصفوف، يقتحمُ الموت ويصارعُ الأهوال، ينـدفعُ حيث يُحجم الأبطال، يضحك عندما تنخلع قلوبُ الرّجال، ويتبختر على أعداء الله تعالى عندما تلتف الأقدام على بعضها فزعاً، كثرة العدو تزيدهم عنده ضعفاً، يراهم أحقر من الذّباب، وبناءهم أهون عليه من بيت العنكبوت، ما فزع القوم إلا وجدوه أمامهم، رآه العالم في شريط فلم جحيم الروس وهو يمسك باثنين من سلاح "البي كي سي"، يضرب بهما معاً في لقطة ستبقى ذكراها عالقة في الذاكرة ما دام سوقُ الجهاد ماضيا.

قال لنا هنا ببلاد الرافدين محرضاً لنا: "مالكم؟ والله كنّا نهجُم بالشّيشان على معسكر كامل للعدوّ في ثلاثين مجاهداً، فندمّر ما شئنا من المدرّعات، ونقتل ونأسر ثم نحمل جرحانا وننسحب!"، وقال لي مرة: "أعطوني من خمسين إلى مائة مجاهد، أُخرج لكم سجناء أبي غريب، والله إنّهم جبناء أتظنّون أنّهم يقاتلون ويصمدون؟.



وإلى جانب شجاعته، كان عزيز النّفس، متعففاً إلى حدٍّ كبير، جاء مع زوجته الشيشانية وأولاده إلى أحد الدّول العربية، ولم يستطع الذهاب لبلاده - ببساطة- لأنّه مطلوبٌ ومعروف.

ولأنّه ظنّ أنه مُراقبٌ ومعروف، لم يتصل بأحد من إخوانه، ونفِذَ ما عنده من مال، حتى قيل لي أنّ صبيانه كانوا ينامون في أيام كثيرة يبكون من الجوع، وهو ابن الأكرمين، ومع هذا لم يطلب من أحدٍ مالاً، وكان يُظهِر دائماً لمن يُقابله أنه حسنُ الحال، وأظنّه من الذين قال الله تعالى فيهم: {يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاء مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا}، بقي على هذا الحال حتى رزقه الله من غير استشراف نفسٍ .

سُئل الإمام أحمد: الرّجل لا يجد ما يأكل، يسأل الناس قال: لا، قالوا: إذا يموت جوعاً، قال: لا .. يرزقه الله.

سفّرَ الشهيد زوجتهُ وأولاده، وبقي يتربّصُ الفرصة للذّهاب إلى العراق، ليقوم بواجب النُّصرة والدّفع عن الدّين والعِرْض، وحينما حلّ فوجئ بحجم النّكاية التي تحدثها العملياتُ الاستشهادية قال: "سبحان الله كلّ عمليّة غزوة في ذاتها"، وقال: "أحسنُ ما يُفيد و"يدوّخ" العدوّ هنا؛ العمليات الاستشهاديّة صوتها يصمّ الآذان، وشظاياها لا يمكن لأي قوةٍ تفاديها، ويسمعُ الدّنيا خبرُها".



وكان يستشهدُ دائماً بمقولةٍ لـ"رابين" عليه لعنة الله، حينما كان يتحدّث عن العمليات الاستشهادية في فلسطين حيث يقول:"إنك لا تستطيع أن تمنع رجلاً يريد أن يموت"، يحدثني أحدُ الإخوة، أنّهم جلسوا معه يوماً وقالوا له: إنّك صاحبُ خِبرة وتجربة، هيا تعال نشكّل مجموعة ونقوم بكذا وكذا، قال: "أنا قررت أمراً لن أحيد عنه"، فكانت فكرةُ العمليّة الاستشهادية قد ملأت عليه حياته.

بقي أن أقولَ أمراً ترددت فيه كثيراً وهو: أنّ سيفَ الأمّة قد علمني بصدقٍ، وأفهمني بحق معنى قوله تعالى {فَفِرّوا إلى الله}.

كانت عنده بعضُ الهنّات والصّغائر، فكان يراها كأنها جبل يوشكُ أن يطبق عليه، فيذهب بدينه ودُنياه، وذلك مصداقٌ لقول ابن مسعود رضي الله عنه، فيما خرّجه الترمذي:بأنّ المؤمنَ إذا أذنبَ، فكأنه تحت صخرةٍ يخافُ أن تقع عليه فتقتله؛ ولِذا كان الرّجُل يفِرّ إلى الله و يقول: "لا يُطهّرني إلا الاستشهاد في سبيل الله، أرجوكم لا تحرموني وعجّلوا لي في طلب لقاء ربي".

طلبته بعضُ شهَوات الدّنيا، ففرّ إلى الله بأقصى ما يملك من قوّة، ولسانُ حاله يقول: يا ربّ أدركني اقبلني، لا تترُكني، رجائي فيك ألاّ أكونَ قد حُرمتُ رحمتك.

فتقبّله ربّه بقَبول حسنٍ ـ نحسبه كذلك ـ ورزقه رزقاً طيباً، حيثُ حَصَد في لحظةٍ واحدة المئاتِ من جنود الكفر والردّة، بين قتيلٍ وجريح، وكانت عمليّتهُ



جدٌّ مباركة، ومن أكثر العمليات التي أوقَعت خسائر في صفوف العدوّ، فقد نفّذ هجوماً استشهادياً على مركز شرطة "الاسكندرية" جنوب بغداد، بسيارة "بيك آب" على ظهرها قُرابة الطّنّ من المتفجرات العجينية C4، ولأنّ المركز كان محاطاً بحائطٍ من الأكياس التّرابية، تمّ وضع المادّة في سيارةٍ مرتفعه، بحيث إذا جاء الأخُ بجوار السّور، تكون المادّة بكاملها أعلى من الأكياس، وفي السّاعة الثّامنة صباحاً بالضبط، وحالَ تجمّع أعداءِ الله المرتدين، وبعضُ مجاميع الأمريكان، وقبل انطلاقهم لتنفيذ هجماتهم المسعورةِ على أهل السنّة، فجّر سيفُ الأمّة سيارته، وليعترف العدو بسقوط ستّين قتيلاً، وأكثر من مائة جريحٍ، أسأل الله أن يتقبّل منه هذا العمل، وألا يحرمنا أجره آمين ...

وفي نفسي، وفي مثل خوف سيف قلت:

يا ربّ إنْ أخطأتُ أو نسيت *** فالعفو منْك مؤمّل وقريبُ

يا ربّ منْ يملِكُ ستر عيوبه *** وأنتَ لا يخفى عليك دبيبُ

يا ربّ معترفا بسالِفِ ذنبه *** أنت الرّحيمُ فمن سواك يتوبُ

يا ربّ من لمقاليدِ أموري *** والخطبُ زاحفٌ عليّ رهيبُ

هذه البلايا أرهقتني لا تدع *** قلبي يهلك ساعةً ويطيبُ

عِقدٌ تداعى نثْره وتناثر *** أينما حللت حلّ عصيبُ

يا كاشفَ الضُّرّ رميت حملي *** عن كاهلي فاللّطف منك مجيبُ



أبو طارق اليمنيّ (٧)

ليثٌ هادئٌ، قويُّ الشّكيمة، حازمُ الطّبع، لا يعرف الهزْل الرّديء، ذو عقيدةٍ صافيةٍ لا يداهنُ فيها، جريءٌ في الله، مُهابَ الطّابع، لا يتجرّأ جليسُه عليه، سهلٌ لا ينثني، صلبٌ لا ينكسر، وعلى الجُملة رقيقٌ في غير ضَعف، قويٌ بلا جَلافة.

جاء الشّهيدُ -رحمه الله- مبكراً إلى ساحة العزّ ببلاد الرّافدين، حيث دخل إليها مع المجاهد البطل أبو محمّد اللّبناني -تقبّله الله في الشّهداء-، والتحق مع إخوانه بمعسكر "راوة" الشّهير، وأخذ موضعهُ مع إخوانه، حيث راحوا يُعدّون العُدّة، تدريباً و إرصاداً لمن حاربَ الله ورسوله...

غيرَ أنّ اليهود زرعوا لهم جاسوساً يهودياً يمنيّ الأصلِ، يدّعي السّلفية، ذو لحيةٍ مُهندَسة، وسُلوكٍ وكلام سلفيٍّ ظاهر، يحفَظُ خمسة عشر جزءاً من القرآن كما ادّعى، فما ترك هذا الخِنزير المعسكر حتى أتى على آخِره، وتمّ قصفهُ بوحشيّة عجيبة، فقُتل فيه أكثرَ من ثمانينَ مُجاهداً عربياً، وفي مقدمتهم ابنُ المجاهد البطل (أبو محمّد اللّبناني)؛

فما هدَأ لأبي طارقٍ ولا لصاحبه أبي محمّد بالٌ، فنقبوا الأرض على هذا الخِنزير ودعوا الله أن يمكّنهم منه، حتى طالتهُ أيديهم ووقع في قبضتهم؛ فما ظنّكم بمافعلوا به؟



وقبل أن يموتَ هذا المجرمْ، أخذ يَهذي بكلامٍ عِبْري، فلمّا أفاقَ أنكر أنّه يعرِف العِبْريه، فضُرب لكنّه أصرّ ثم عادت إليه نفسُ الحالة، فهذى بكلامٍ عِبْري وأيضاً أنكر، ثم قُضِي فيه بما يستَحقّه أمثالُه والحمد لله.

وهذا ولم أكُنْ بعدُ تعرّفتُ على الشّهيد البَطل، نحسبُه كذلك والله حسيبه، ثم تشرّفت بلقائه، وجلس في بيتي فترةً لا بأسَ بها، كان نِعْم الرّفيق والأخ، ثمّ ذهب إلى معسكرٍ آخرَ لكي يأخذ دورة مهمّة هو ومجموعةٌ من المجاهدين، حيث عُيّن أميراً عليهم، فكان كما قالوا لي لاحقاً، نِعْم الأخ الأمير، وبعد الانتهاء عاد إليّ مدّة أخرى.

لكن، كان جسدُ الشّهيد في العراقِ وقلبُه بافغانستان، وكان دائمَ الإلحاحِ للذّهاب إلى هناك هو ومجموعةٌ من الإخوة.

فتمّ ترتيبُ الأمور، وتهيئة الإمكانات، وبدأت الرّحلة الشاقّة، وعلى الحدودِ الإيرانية الكرديّة، وأثناء العبورِ ليلاً، كانت هناك مرحلةٌ لابدّ فيها من الجري، فعَدَت المجموعة بسرعة إلا أخاً كويتياً بدينَ الجسم، رجع إليه صاحبُنا لعلّه يساعدُه ويحثّه على الجري، لكن قدّر الله فوقع الاثنان في قبضةِ قوّات "البشمركة" الأنجاس، فضربوا الإخوة ضرباً مبرحاً، ثم وضعوهما في سيّارة وأرسلوهما إلى السّجن.

وفي الطّريق، أشار البطلُ أبو طارق إلى المجاهد البطل الآخر؛ صحيح أنّه كان بديناً، لكنه كان قويّ الجسم، جرئ الطّابع، فانقضّا على الحارسين



والسّـائق، فقتلا واحـداً وأمسـك كـلّ واحـدٍ منهمـا بآخَر، وكـانت البُندقيّـة مربوطةً بجوار السّائق، فلم يستطع أحدٌ منهما فكّها...

أما أبـو طـارق رحمه الله، فـأخَذ حجـراً غليظاً، ودقّ بها رأسَ النّجس، حتى جعلها خُبزةً ولله الحمد؛ وكذلك فعل بالآخر.

ركب الإخوة السّيارة، لكن ولأنّهم لا يعرفونَ الطّريق، وقعا في كمينٍ لنقطة تفـتيشٍ للـ"بشـمركة" مـرّة أخـرى، فأمروهما بالتّوقف وأدركتهُمـا سيارتان من نـوع "لانـدكروز"، سـريعتان ومحمّلتـان بالجنود، وتمّ الاشـتباك بين الإخـوة والـ"بشـمركة"، وكـان الإخـوة أثنـاء السّـير قـد استطاعوا فـكّ "الكلاشـن" من قيدِه، ولكن كان به مخزنٌ واحدٌ للذّخيرة، حرِصَ البطلُ أبو طارقٍ أثناء رمايته على السّيارتين، على كل طلقةٍ فيها، لكنّ الذّخيرة نفدَتْ، والسّيارة توقّفت، فأحـاطَ المجرمون بهما وأُسِرا مرّة أخرى، ولَكَ أن تعرفَ بـدون حكاية ماذا فعَلَ الأنْجاسُ بالأطهارِ، والله المستعان.

وبعـدما انتهت الـ"بشـمركة" من التّحقيـق، أحـالَت الإخـوةَ إلى الأمريكـانِ، وهنـاك أنكَـرَ المجاهـدان اعترافاتهمـا، وتمسّـك أبـو طـارق بكونِه عراقيّا، وثبُت عليه ذلك بتوفيق الله، فحُبِس ستّة أشهرٍ تقريباً، ثمّ أُفرِجَ عنه! ففوجئت به يوماً وقدْ دخَل عليّ، فلم أكنْ لأُصدّق عينيّ، كيف تمّ ذلك؟ وماذا حَدَث؟ وهل ما أنا فيه حقيقة؟.



المهمّ أنّها حقيقة، والْتَحَق المجاهدُ برَكبِ المجاهدين مرّةً أُخرى، وتمّ تعزيزُ رجالات (التوحيد والجهاد) في مدينة بعقوبة، وكان على رأسِ منْ ذَهَب إليهم (أبو طارق)؛ وهناك، وفي اليومِ الّذي رأى العالمُ فيه المجاهدونَ يجوبونَ شوارعَ بعقوبة، ويُسقطونها في أيديهِم، أبْدَع الشّهيدُ جرأةً وشَجاعةً ونِكاية، وأخذَ يطلُب الموتَ مظانّه، لكن لم يُقَدَّر ذلك، ورجِع مع إخوته المجاهدينَ إلى قواعدهم، وفي الطّريق قصفت الطّائرةُ مكاناً كانت قد استمكَنَته، لأن مدفعَ الهاون رمى منه، فسقطت القذيفةُ بالقرب من أبي طارق، فترجّل الفارسُ رحمه الله، ولسانُ حالِه يقول: لا نامَتْ أعيُن الجُبناء...

لكنه أبقى لنا فارساً آخر، لا يقلّ شدّة نكايةٍ في العدوّ منهُ، وذلك هوَ البطلُ الُمجاهدُ والفارسُ المغوارُ، والذي تحدّثك عنه شوارعُ وطُرُقات وثغور حي نزّال والعسكري في الفلّوجة، ألا وهو أخوه المجاهد (أبو مرْضّية).

أسألُ الله أنْ يشفيَه، فقد أُصيبَ البطلُ إصابةً متوسطةً في عملية رائعةٍ على مركبتين للـ"CIA" بطريقِ المطار، وهو الآن في طورِ الشّفاء، ولسانُ حاله يقول: متى أدُبّ الأرضَ بقدميّ حتى أتجرّع دماء اليهود؛ الله يخلفُه ويخلفُنا في أبي طارق خيراً؛ آمين.



مجموعة الفرسان (٨)

أبو خبّاب الفلسطيني، أبو عُمر المصري، أبو سُليمان الفلسطيني؛ وإنّما جمعتُ الثّلاثة في الحديث، مع أنَّ كلّ واحد منهم أمّة من النّاس، وذلك لأنّهم قَضَوا نَحبهم جميعاً في معركة واحدة، سآتي على ذكْرها.

أمّا الأول أعني الجبلَ الأشمّ، والقائد الهُمام رجلُ المواقفِ والمهمّات، المعدَن المدفون، واللّؤلؤ المكنون؛ (أبو خبّاب) الفلسطيني الأصل، الأردنيّ المولد والنّشأة، أكبر الثلاثة سنّاً، وأجلّهم قدراً -في الأقل عندي-، متزوّجٌ من تُركيّة، وله منها ثلاثةُ أولاد، ولِذا كان يُجيد التُّركية، سافر مبكراً أيام الجهاد الأولى إلى أفغانستان، فترك بَصَمات واضحةٍ على كلّ جبهةٍ ذهَبَ إليها، لكن "جلال أباد" هي المدينة التي أخذَت منهُ وأعطاها من زهرة شبابه، وأفنى على جِبالها وفرةَ قوّته، كان يتنقّل من جبهة إلى أخرى ومن معركةٍ إلى ثانية، فسَلْ عنه خيبر وجُلييبب .

ثم رجِع إلى الأردنّ، وهناك طاردهُ عملاءُ اليهود، وزبانيّةُ الهالك "حُسين"، ففرَّ إلى تركيا من قِبَل الخليج، وفي تركيا تزوج و دبرّ أموره الحياتية بكدٍّ وعناء، ثم سافر إلى أذربيجان ليلتحقَ بأحبابه في الشّيشان، لكن الرّجُل وقع في قبضة الأمن الصهيوني الأذريّ، فغيّبته سجونهم عاماً، ثمّ التحق بالرّكبِ في دولة الإسلام أفغانستانَ مرّة أخرى، ثمَّ غادَرَها مع من غادَرْ، وأخيراً فُتِحَ باب العزّ في العراق، فأسرَعَ يستحثُّ الخُطى إليها مودعاً أهله، بعد أن أرسَلَهم إلى



والــده في الأردن، جــاءَ الشــهيدُ -نحســبه كــذلك والله حســيبه - على رأس كوكبةٍ من الأبطال، ولعلّكم تتذكّرون البطلَ الأوّل أبو أسامةَ، حيث ذكرتُ أنّه كان من تلامذته، وهنا تعرّفتُ على الرّجل عن كثب، وتبيّن لي أنه أديبٌ متواضع، فعلى الـرّغم من كِبَر سنّه، ورسوخ قدمه في الجهاد، كـان يسـمع لإخوانـه ولـو كـانوا أصـغَرَ منـه، كمـا أنـني تعلمتُ منـه بحقٍ معـنى (الـدّينُ النّصيحة)، كنتُ أقرأ الحديث وشـرحه، ومـا عِشـتُ معنـاه حـتى قـابلتُ أبا خبّـاب، الـذي كـان نَصُـوحاً لإخوانـه في حُبٍ وتواضـعٍ وأدبٍ جمّ، كـان لا يعرف المداهنة، ولا يسكت على خطأ، والحقّ أنّي كنتُ لا أقدّر هـذه الصّفة حتى رَحَل أبو خبّاب، وابتُليتُ بمن لا ينصح ويكتم في نفسه حتى تتعاظمَ في نفسهِ الصّغيرة، فتصيرُ جبلاً لا يُطاق حَمله، ثم ما يلبثُ أن يّلقى ما به، فيتطايرُ شـرَرُه وجمْرُه حتى يصعب تـداركُ بلاءِه ولـو نصَحَ وألقى عن نفسـه مـا ظنّـه لاستراح وأراحَ، وصفى له ودّ إخوانه؛ وإنّا لله وإنا إليه راجعون.

ثمَّ إنَّ أبا خبّـاب كـان صـاحبَ المهمّـات الجِسـام، والأمـور الـتي ليس لها إلاّ مثلُه، ففي بغداد تجمّع عدد من المجاهدين أو هكذا، كان جلّهم ضبّاط سابقين، ووضعوا خطّة لاقتحامِ سجن أبي غريب، لكنّهم قالوا ينقُصنا قائدٌ ميداني، يقودُ الشباب ويزرع فيهم الثّقة، ويُلهب في نفوسهم الحمّية؛ حميّة الإسلام، فلما سمِع القائد أبو خبّاب بالأمر، قال - وهو الصادق - أنا لها، أنا مستعد، ومن جميل أخلاق وطِباع الشّهيد، حبّه الشّديد لإخوانه وحرصه عليهم، وتلذّذه بالإنفاق عليهم، فيُعرف عنه أنه كلّما جاءَ إلى إخوانه كـان يحملُ دائماً كيسه المعبّأ



بالمكسّرات والحلوى ولذيذُ الأطعمة، فكان يُنفق على إطعام إخوانهِ الكثير، وكان دائماً يقول لي: القائدُ إذا لم يكن كريماً جداً، قلَّ حظُّه من حُبِّ إخوانه، وصدَقَ والله، كادَ الكرم أن يكون سيّد الأخلاق فلقد رأيتُ النّاس أكثر ما يحمدون من الشيوخ أسامة حفظه الله، وأبي مصعب وأبي السّمح، كرَمهُم الشديد، وأنَّ الذي بأيديهم ليس لهم.

وكان من أجلّ صفات أبي خبّاب -رحمه الله- حبُّه للأطفال واهتمامه بهم، وكثرة الإغداق عليهم، وأحسن ما يُعجبه من الأطفال النظيف الذّكي، كان أبو خبّاب يقول: "أحبّ النّاس إلي ثلاثة، الشيخ أسامة والدكتور أيمن وأبو مصعب الزرقاوي"، وكان يقولُ لأبي مصعب: "اجعلني وزيرك"، وواللهِ كان لها أهلاً وزيادة، وأصدقكم القول يا إخواني ما عرفتُ قيمة الرجُل، ولا كُنوز أخلاقه وباهرَ صفاته، إلاّ بعد مماته، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وإليكَ آخرُ يومين من حياة الشّهيد: سمِعَ بزوجةٍ لأحد إخوانه الشهداء في الموصل، فذهبَ إليهم ليتفقد أحوالهم، مع خطورةِ السّفر عبر الحواجز الأمريكية ونقاط التفتيش العراقية، إلاّ أنّه غامَرَ وذهب، وبعدما قامَ بالواجب نحوهم رجِع، وزارَ إخوانه في بغداد ثم أبدى تعجُّلاً ملحوظاً -حسبما ذكر أحدُ إخوانه - في المجيءِ إليّ في البيت حيثُ كان يسكنُ معي أبو عمر.

وإلى هنا أتوقّف عند أبي خبّاب، ونعود إليه لاحقاً، ونعرُجُ على أبي عمر - أبو عمر المصري -، هادئ الطّبع ليّن الجناح، سهلُ العِشرة، دمث الخُلُق، كريمٌ متواضع، سافرَ الشهيد - رحمه الله - في مطلعِ التسعينات إلى أفغانستان، حيث



طافَ بين مُعسكراتها وتنقّلَ بين جبهاتها مشاركاً في الحربِ ضدَّ نظام "نجيب الله" الشّيوعي، وهناك انتهى إلى جماعةِ الجهاد المصريّة، وانخرَطَ في معسكراتِ تدريباتها، ثمَّ انتقل إلى اليمن بعد انتهاء الحُكم الشيوعي، وسيطرة المرتزقة على أفغانستان، وإبّان حروبهم الطّاحنة للسيطرة على السُلطة، وهناك- أعني باليمن- تزوّجَ من أختٍ يمانية من (الحدا)، إحدى قبائل محافظة (ذمار)، لكنه تعرّضَ للاعتقال أكثرَ من مرة، كانت أوّلها بعد نحو شهرٍ من زواجِه، فتمَّ تسفيره من قِبل الإخوة إلى "ألبانيا"، وظلَّ هناك تحت إمرة الشهيد البطل والشيخ المجاهد والعالم الرباني الشيخ أشرف "أحمد النّجار"، وظلَّ هناك حتى جاءت أحداثُ "كوسوفو" أو بدأت تدبُّ بأرجلها، واستعدَّ لها الإخوة هناك جمعاً للسلاح، وإعداداً لمعسكر التدريب، ورصّاً للصفوف، ولكنّ الحكومةَ الألبانية العميلة طاردتهُم جميعاً، فقُبِضَ على الشيخ أحمد النّجار ورُحِّل إلى مصر، وكذلك أُلقي القبضُ على الشجاع الهمام البطل المقدام الحييّ الخلوق، القارئ "أحمد إسماعيل صالح"، والمعروف بين المجاهدين الأفغان باسم "أنس خيبر"، فهو أشهرُ من نارٍ على علم، حيث كان أحد القوّاد المبرّزين، والقادة المؤثرين، وأميراً لأسخن قطاعات جبهة جلال أباد، وأخيراً تمَّ أسرُ الشّيخين الأحمدين لمدةِ عامين تقريباً، وفي يوم قدوم بابا الفاتيكان "يوحنا بولس الثاني" إلى مصر، وفي نفس الساعة وبدونِ مقدمات، وفي خبرٍ عاجل تعجبَّ له الجّميع، تم إعدام الشيخين أنس خيبر والشيخ أشرف (أحمد إسماعيل - أحمد النّجار)، وذلك ليكونا قرباناً وبرهاناً من حُسني اللّعين إلى بابا الفاتيكان،



وعلامةً على تمام الـولاء وبرهـان الطّاعـة، فهـل للشيوخ من نصير ولثأرهم من مطالب؟.

وعودةٌ إلى الشّهيد أبي عمر، فقد أفلتَ من القبضِ عليه بأعجوبة بعد حصارِ بيتـه، وبعـدها هـربَ إلى إيطاليـا في رحلـةٍ مثـيرة كثـيرة المخـاطر، وهنـاك أُلقي القبض عليه وتمَّ اتهامـه بالإرهـاب والتخطيـط لتفجـيرات وغـير ذلـك، فبقي في السّجن سنتين، بعدها أُفرج عنه لكن تحت المراقبـة، فهـرب إلى ألمانيـا، ومنهـا زوِّر له جواز سفر ثمَّ سافر إلى دولـةٍ ما ثمَّ إلى أفغانستان، ثمَّ شـهِدَ مع إخوانه حرب الأمريكـان وسقوط دولـةِ الإسلام فبكى عليهـا من سويداءِ قلبه لأنّ من مِثله يعرفُ معناها فقد شعرَ فيها بالعزّ والأمان ولأول مرةٍ مُنذ سنين، وها هو الآن مطلوب منه أن يبدأ من جديد رحلة المطاردة.

وبالفعل بدأ الشهيدُ تلك الرّحلة، وفي هذه المرّة كنتُ معه، فبعد أن استمرَ بنا نحن العرب الانحيازُ من مدينة إلى أخرى، استقرَّ بنا المقام في مدينة (زرمت) الحدودية، عند القائد الهُمام ابن القائد السّلفي سيفُ الله بن نصر الله منصور، والـذي قُتـلَ أبـوه قـديماً على يـدِ بعض عصـابات الإجـرام الـتي تُسـمّي نفسـها بالمجاهدين، ثم شغَلَ الابنُ بعده منصبَ نائب وزير الدفاع، وقائداً لجبهة كابُل في حكومـة الطّالبـان، وعُـذراً أخي؛ فللحـديث عن تلـك المنطقـة شـجونٌ يطـولُ مقامهـا لكن ليس هـذا موضـوعها، المهم أنَّ أهـل تلـك المنطقـة أعـني (زرمت)، جاءوا إلى (سيف الله)، وقالوا له أخرِج العرب من هُنا نُقاتل مَعَك الأمريكـان، فإن لم تُخرجهم تركناك وساعدنا الأمريكـان، وتحت الضغط تمَّ إخراجُ العرب،



وتهريبهم عبر الجبال والأودية وفي ظلامِ الليل وتحت رشَقات السّلاح ونِباح الكلاب.

بدأ (سيف) أبو عمر الشّهيد، - حيثُ كان هناك يُدعى سيف- هذه الرّحلة وباختصار حطَّت بنا الرّحال في إيران، وهناك بدأت رحلةٌ أخرى من المطاردة، حيث زوَّر جوازاً سعوديا فراحَ ورُحت معه نعدّ للسفر، وكانت هناك مراجعةٌ في مقرّ وزارة الخارجية الإيرانية، فراجَعَها، وهناك تمَّ اكتشاف أمره أو الشّك فيما يحمل من جواز وصحّته، فقُبض عليه، ولكن الله تعالى سلَّمه فنَجا، و تمَّ تسفيره إلى سوريا هو وأخٌ سعوديّ آخر، واستقلَّ الاثنان نفس الطّائرة، وكان كلّ واحدٍ منهما يحملُ جواز سفر سعوديّ، لكنّ الفرق أنَّ الأول مصريّ والآخر سعوديٌّ أصليّ، وعند التقدّم لبوّابة المرور، تمَّ القبض على الأخ السعوديّ، واقتيد مباشرةً إلى السّجن، فتقدّم الشّهيد أبو عمر إلى البوابة يجرُّ رِجلَه ويخطُّ بها الأرض، يكادُ بل يقول يا ليتني مِتُّ قبل هذا وكنت نسيا منسيّا، إلاّ أنَّ الله ألهَمَه أن يتوجه إلى بوّابة أخرى، ولما أمسَك الضّابط جوازه لوّح به إلى أحد زملائه يقول سعوديّ قال: "خليه يمشي".

وبالفعلِ ختموا له جوازه، وخرَج والفرحةُ بالنّجاة لا تكاد تصدّق وتوصَف، ومن ثمَّ جاء مباشرةً إلى العراق ودخل بشكل رسميّ قبل سقوط نظام صدّام، واتّصل بزوجته كي تأتي إليه، فمنذُ أن هرب من ألبانيا لم يرها ولا أولاده، فقد وُلِدَ له محمّد وأصبح عمره ثلاث سنوات ولم يَرهُ قطّ، وتقريباً حُرِمَ من أولاده قرابة أربع سنوات - والله المستعان -، وجاءت الحرب



العراقيّة، وشاهدْنا ذلك المنظرَ الرّهيب والكابوسَ المرعب، منظرُ السيّارات وهي تخرُج من بغداد تحملُ العوائل، فالرجل يمشي وأولاده على الأقدام لقلّة السّيارات، وأخرى تحملُ عوائل تضمُّ عدداً كبيراً من الأطفال والنّساء، الكلُّ يجري ولا يعلمُ أحدٌ إلى أين يذهب، وماذا سيحدث، وذكّرني هذا بنفس الموقف يوم خروجنا من كابُل.

أعود فأقول اتخذَّ الإخوة الموجودون في العراق قراراً بعدم المشاركة في الحرب إلى جانب نظام صدام حتى الانتهاء من الحربِ وزوال ذلك النظام لأسبابٍ كثيرة، ليس هذا موضعُ ذكرها، لكنّ الحال قد ضاقت بعد زوال النّظام، وأصبح الرّافضة يتاجرون بالعرب بيعاً وشراءً، فقرّرنا المغادرة إلى دولةٍ أخرى، وبِعْنا أغراضَنا، لكن إلى أين، وكيف وماذا نفعل بالنّساء والصّبيان وهل سيُقبض علينا مرةً أخرى ؟

وحلَّت بنا الهموم، وكرهنا الحياة بلا جهاد ومُنازلة، وفي هذا قلتُ قصيدة بعنوان (هموم مسافر) قلت فيها على ما مكنّني الله من البلاغة:

إلى متى نتيهُ في البلدان *** كسفينةٍ غَدت بلا رُبّان

أنّى اتجهت لدارٍ وجدتها *** مُقطبة عبوسة الأركان

بحرُ الحياة مظلمُ الأعماق *** لا خيرَ في بحرٍ كئيب فان

إذا أضاءَ بريقٌ فمصيرهُ *** موجٌ مريعٌ يحجبُ الشطآن

يا بانيَ الأحلام هلاّ يقظة *** فالحلم حتماً ساقطُ الجدران

ليست لحييّ دارنا وطنا *** كُتب الفناء لزمرة الثقلان



ملعونةٌ على لسانِ نبينا *** إلاّ ذكرُ الله يا إخواني

شَرِّق وغرِّب يا أخي فلن تجد *** دنيا تسرُّ فجهز الأكفان

إمّا مفارق وإمّا مبتلى *** فالموت يا صاح قريباً دان

يا رب قتلاً لا أكون أسيراً *** فالأسرُ أسوأ حالة الإنسان

قهر الرجال مصيبةُ الأحرار *** والحرُّ تقتلهُ ببنت لسان

ومع الاختصار، قرّرنا البقاء والتخفّي لعلّ الله يمنَّ علينا بنعمة الجهاد، وبدأنا بجمعِ السلاح من المعسكرات وكذلك الشّراء، ومن ثمَّ التخزين حتى يأتي اليوم الذي يزغردُ فيه "الكلاشن".

وبعد ذلك التقينا الأسد الشّيخ أبا مصعب، وبدأت قافلةُ الجهاد تتحركُ رويداً رويداً، حتى ملأت الدّنيا ضياءً، بنور الجهاد والاستشهاد في سبيل الله، وكان نصيبُ الشّهيد أبي عمر في ذلك موفوراً، حيث شارك إعداداً وإرصاداً لكثيرٍ من العمليات الاستشهادية.

وأهمّ شيء وأكبر شيء قام به الشّهيد البطل، أنّه فتَحَ بيته للإخوة، فصارَ كأنه مَضافةٌ لهم مع صِغَر حجمه، فكان أهلُه وأولاده في غُرفة، والإخوة في غرفة بينهما "بردة"، ساترة، ولا يوجد في البيت إلاّ مرافق مُشتركة، وظلَّ الحالُ على هذا نحو ستّة أشهر يحتسبُ الرجل الأجر والثّواب، وأرى له راحةً وبشاشة عجيبتين، وكان دائم التّكرار لهذه المقوله "كنّا نتمنّى حُلول هذا اليوم فإذا جاء نقصّر... لا والله"، فعلِم الله لقد رأيتُ منه ومن أهله تفانياً عجيباً إلى حدّ لا يكاد يوصف.



وعلى الرغم من أنَّ أبا عمر كان حافظاً لكتاب الله، كبيراً في السّن مقارنةً مع الشّباب (عمره كان تقريبا ٣٧ سنة)، إلاّ أنّه كان يرى نفسه أصغرَهُم وخادِمهم، مع طلاقة وجهٍ وحسن عُشْرة عجيبة، وفي أحد أيّام هذا البيت حصَلت النّهاية السّعيدة، لتُثبت أنّنا أمام بطلٍ من طرازٍ فريد -سأعود إلى ذلك- أبو سُليمان الفلسطينيّ الأردنيّ الكويتيّ- أو هكذا كان يقولُ عن نّفسه، رجلٌ يملأ العين مهابة، ذكيّ نصوح، صاحبُ نُصحٍ ومشورة، بئرٌ عميقةٌ للأسرار.

يومَ المداهمة جئتُ إلى البيت كعادتي -تقريباً -مع أذان المغرب، دخلتُ بيتي أُطمئنهم على وصولي، ثم صعدتُ إلى الإخوة في الطابق العلوي، حيث بيتُ أبي عمر، فوجدتُ الحبيبين أبا خبّاب، وأبا سُليمان، وأبلغني الإخوة بعد ذلك أنَّ أبا خبّاب كان متلهفاً للمجيء إلى البيت، مع أنه كان من المفروض ألاّ يكون هناك.

أقولُ في هذه اللّيلة جلستُ أتسامرُ مع بعض الإخوة، حتى بعد الثانية عشرة ليلاً نتذكر ما سلَفَ ونضحكُ لبعض المواقف. حتى قال لي أبو خبّاب "روح أنت عندك أولاد"، ثم استلقى على فراشِه وبدأ يستعدّ للنّوم، فتبسّمتُ وودعتهم ونزلتُ إلى بيتي.

وفي الساعة الثالثة فجراً، دوّى انفجارٌ ضخمٌ ببيتي، فاستيقظتُ فزِعاً أنا وأهلي، فإذا بالدّخان يملأ الغرفة، وزجاجُ الغرفة متهشم، فللوهلة الأولى ظننتُ



أنَّ عبوة انفجرت داخل البيت، حيث كنّا نعدُّ عبوات ناسفة نزرعها لقوّات الصّليب، لكني لم أفِق من الصّدمة إلاّ على صدمةٍ أخرى.

إذا بالميكروفون يذيع (نحن قوات التحالف، سلّموا أنفسكم خلال ثلاثين ثانية)، فكّرتُ بالأمر سريعاً، ونظرتُ إلى من حولي فلم أرَ إلاّ بندقيةً واحدةً بمخزنٍ واحد، ولا أستطيع أن ألحق بالإخوة في أعلى الدار - الطابق العلوي -، إذ كنّا مفصولين تماماً عن بعض، ولا طريق للصّعودِ إليهم إلاّ بالخروج إلى الحديقة ثم الصّعود، وكان الأمريكان قد ملئوا باحةَ المنزل، ولم يكن أمامي مكانٌ للمقاومة، فأخذتُ أهلي وذهبتُ بهم وبولدي إلى "المنور" أو المسقط الخلفي للبيت، حتى آخذهم وأضعهم في البيت الخلفي، ثم أحاول الهروب بهم أو بنفسي بعد الاطمئنان عليهم، فلمّا صعدتُ سور "المنور"، نظرتُ فلم أجد أهلي، وظللتُ أُنادي أهلي باسمها وكُنيتها فلم أسمع أو أرَ لها أثراً، وإذا بصوت ينادي باسمي فرددت عليه: نعم يا أبا عمر، ثمّ انقطع الصوت فلم أدرِ لماذا، فهمت أنّ أهلي ذهبت في مكانٍ ما داخل البيت المجاور، مع أبي عمر وكأنه ناداني لذلك لكن لم أهتدِ إليه لظروف الظّلام الدّامس.

فأخذتُ سلاحي وقفزتُ إلى البيت المجاور، ثم أردتُ أن ألحَقَ بالشّارع الخلفي فإذا بالأمريكان يملئون هذا الشّارع، ورأوني، لكنّهم ظنّوا أنّي من أصحاب المنزل، حيثُ كان جميعُ أهالي المنطقة قد استيقظوا على صوتِ الانفجارِ والمكبّرات.



فلمّا رجعْتُ إلى البيت، إذا بصاحبة المنزِل تراني، فأطلقَتْ صاروخاً من الصّياح، جعلَتْ الطّلقات تكاد تُطير رأسي لكن: سلّم الله.

كان سِلاحي ليس له حمّالة - وهذا لا شكّ كان نقصاً - فجهّزتُ طلقةً للرّمي وأبقيتُ عتلة الأمان مفتوحةً، وظَلَلْتُ أنتقلُ من بيت إلى آخر، من الطّابق الثالث فالثّاني فالأول وهكذا دوالَيْك، كنت أتسلّقُ الجدران وأقفز ولا أريد أن أُشعر أحداً.

وفي تلك الأثناء دَوَتْ في بيتي عدّةُ انفجاراتٍ خُتمت بانفجارٍ ضخْمٍ، تبِعَته رشقةٌ بسيطةٌ من سلاح أمريكي ثمّ توقف الرمي تماماً.

وسأعود إلى تفصيل ذلك، أقولُ في تلك الأثناء جاءت المِروحيات الأمريكية تطوفُ حول المنزل، وكنت على سطح منزلٍ يُجاور بيتنا بحوالي خمسينَ مِتراً تقريباً، فاختبأت بالسّطح ووضعتُ ملابسي فوقي حتى لا تكشفني، ولما هدأت الأصوات كان أهالي المِنطقة لا يزالونَ في الشّارع، فلمّا دخل كلٌّ إلى بيته حاولت النّزول إلى شارعٍ في مؤخرة المنطقة، وكان همّي الرّئيسي هو إخراجُ جميع الإخوة الذين لهم علاقةٌ ببيتي، وبالفعل تمَّ ذلك بحمد الله وحصل بالفعل ما توقّعته من مداهمةُ هذه البيوت، لكنّ كان الإخوة تركوها ولله الحمد.

عودةٌ إلى البيت، فقد بَلَغَنا بعد ذلك أنّ جميع من في المنزلِ استُشهِد في معركة سآتي على أهمِّها، وفي مفاجأةٍ ترَك الأمريكان النّساء في البيت، إلاّ أنّهم أخذوا أختاً من الأخوات، هي أمّ الأولاد "أمّ عمر"، وقد شاهَد العالمُ مَنظر



البيت على قناتي الجزيرة والعربيّة، حيث كانت في مدخلِه سيارة أجرة "برازيلي"، ورأى الجميع كيف كان وقْعُ الصّدمة على الأطفال الثلاثة، وهم يطوفون حول السّيارة، والصّغير محمّد يقفُ مذهولاً أمام بقعةٍ من الدم، وجثةٍ ملقاة إلى جانب السيارة، هي دماء وجسدُ أبيه الشهيد "أبو عمر" رحمه الله، لكن منظرُ الأطفال وهُم يشاهدون بقايا جثةِ والدهم على الجُدرانِ والأرض، لم يمنع عشرات الرّوافض من الهجوم على البيت، وسرقةِ مُحتوياته بما فيه مِنْ سيّارةٍ وغيره، ولم يقفِ الأمرُ عندَ هذا الحدّ، بل منعوا النّساء من مغادرة المنزل، حتى إنّهم هدّدوهن بالقتل، وأشهروا أسلحتهم في وجوهِنّ، إلاّ أنّهم ولله الحمد كانوا يخافون جدّاً من النّساء خِشْية أن يكنَّ يحملنَّ أحزمةً ناسفة، ومنعهم الله من الاقتراب منهنّ.

أقول لما بلَغَنا وجود المرأتين والأولاد في البيت، لكن الأختُ الثالثةُ غيرُ موجودة، اجتمعتُ مع بعضِ الإخوة النّشامى، والذين أبْدوا استعداداً عجيباً للموت في سبيلِ إنقاذ الأعراض، أقولُ؛ دارَ الحديثُ بيننا، هل ننتظر حتى ترجِع الأختُ الثالثة أم نهجُم على البيت ونُخرجُ من فيه من النساء.

تمَّ الاتفاقُ على الانتظار نهارَ ذاك اليوم، ثمَّ الذهابُ في اللّيل فلربّما تعودُ الأخت قبل هذا، وحتى لا نخسر الجميع. وتمَّ ترتيب أمر اقتحامِ المنطقة وليس البيت فحسبْ، إذ أنّ البيت موجودٌ في منطقةٍ رافضيّة تشتهر بكُرهِ أهل السّنة، وبانَ حِقدُهم في تعاملهم مع النّساء في البيت.



وتمَّ تدبير عدد كبير من المجاهدين، واستقلَّ كل أربعةٍ سيّارة مع سلاحٍ جيد، بدءاً بالرشّاشات وانتهاءً بقاذفات الصّواريخ، وتمَّ تأمينُ وسيلة اتصالٍ تربط الجميع، وفي ساعة الصّفر، تمَّ تطويقُ المنطقة وإغلاق المنافذ المؤدّية إليها، وانتشر المجاهدونَ في المنطقة التي تحيطُ بالمنزل، ودخلْتُ وأخٌ آخر البيت، وكانت مفاجأة للأهل حيث كانت متأكدةً من مقتلي، وكانت مفاجأةُ الجميع أنَّ أمّ عُمر أرجَعها الأمريكان سليمة معافاة، بعدما تظاهرَت بالمرض الشّديد على أن يأتوا لتكملة التحقيق معها في اليوم التّالي، لكن الحمد لله على إنقاذِ الجميع.

نسيتُ أن أقول أننا وأثناءَ ذهابنا إلى المنطقة، ألهَبَ أحدُ الإخوة مشاعرَ المشاركين حين قال "تذكّروا أنَّ المعتصم سيّر جيشاً لإنقاذ امرأةٍ واحدة، وأنتم اليوم ذاهبون لإنقاذ ثلاث أخوات). حينئذٍ تمنّى جميع المجاهدين أن يُرزقوا الشهادة في تلك الغزوة، والتي تمّت بحمد الله ولم تُطلق علينا طلقةٌ واحدة.

وفي اليوم التالي انتشرَ الرّعبُ والهلع بين سكّان المنطقة من الرّوافض، لأنهم يعلمون كيف عاملوا النّساء، ولما رَأوا قوّة المجاهدين وجَرأتهم. وفي الصّباح ترَك غالبُ أهل المنطقة منازلهم ورحلوا بأمتعتهم قائلين "إنَّ الوهابية سيفجرون المنطقة"، فالحمدُ لله على نصره ومنّه، وكان إخراجُ النّساء البلسم الذي هدّأ من ألم فِراق الأحباب، الذين أصلاً لم نفقدهم فقد أدركوا أمراً طالما طلبوه.

وكانت صورةُ المعركة كما علمت وشاهدت، أقصد سمعتُ بعضها، أنَّ الإخوة في الطّابق العِلْوي لم يكن عندهم غير بندقيّة "كلاشنكوف" واحدة



بمخزنين، وليس هذا -علم الله- من سوءِ التّدبير، فقد كانت عندنا رشاشة "بيكي سي" قبل المداهمة بيومين، و لكنّ ألحَّ صاحبها عليها، فقلْت له دعها فإنَّ عندي إخوة، وأخشى من حدوث مكروهٍ، وذلك ريثَما أرتّب السّلاحَ في البيت، فأرسَلَ مع أخٍ آخر يقول إنّي أخذتها بسيف الحياء، فقلتُ ما دامَ الأمر هكذا فخُذها.

أقول لـمّا بدأت المداهمة، بدأ الإخوة خاصةً الشيخ الشهيد أبو خبّاب، بإطلاق النّار من البندقية الوحيدة، ويبدو أنّ أبا عمر تذكّر أنَّ عندنا كمية لا بأس بها من القنابل اليدويّة، غير أن صواعقها ما زالت في العُلبة المعدنية، ففتحوها أو فتحوا بعضها بسرعةٍ وفي الظّلام، وبدأ الإخوة يُرسلون القنبلة تلو الأخرى على المجرمين، فأُصيبوا بالرعب والخوف، وبدأت الجروح تدبُّ إليهم، ثمّ سقط أول قتيلٍ في وسطهم، في تلك الأثناء تابع أبو خبّاب رميَهُ من شُرفة المنزل.

لكن وفي الظلام صعَدَت مجموعةٌ من المجرمين الأمريكان إلى سطح البيت المقابل، ودون أن يراهم الأخُ، فأصابوه في مقتلٍ، سقَط على إثرها من الطّابق العلوي إلى أسفل، ثمَّ تابع البطل أبو سُليمان قذْفَ الرّمانات، لكنّه كان قد أُصيب أيضاً إصابة قاتلة، فحاول الخروج عن طريق البيت المجاور من الخلفِ، لكنّ جراحه أثخنته، فنزِفَ حتى ماتَ على سطح البيت المجاور رحمه الله.

وبقيَ أبو عمر فقالتْ له زوجته: "أهرُبْ ما في أحد غيرك"، فخرَج من عندها وأضْمرَ ما لم يكن بحُسبان زوجته، والتي ظنّت أنّ صاحبها قد تمكن من



الهرب، ولما هدأت النّيران، بل لما توقفت، دخلَ المجرمون في رعبٍ شديد إلى المنزل، وأخرجوا النّساء، واللاتي كُنَّ في غرفة بعيدة عن الرّمي هنَّ والأطفال، وبعد إخراجهم فوجئ الأمريكان بالشيخِ المجاهد اللّيث أبي عمر، يخرُج إليهم من مكان قد اختبأ فيه، يحمل بين يديه قذيفة هاون "١٢٠ملم"، كنّا قد أعددْناها لهذا اليوم، حيث استبدَل صاعِقَها الأصليّ بصاعقٍ رمّانة. فنزَع البطلُ الحلقة ودوى انفجارٌ هائلٌ أُلقي على إثْره أربعةٌ من المجرمين إلى جحيم جهنّم، بينما صعد هو إلى جنّة صدْقٍ عند مليكٍ مقتدر، فرحِم الله أبا عمر رحمةً واسعةً، هو وسائرُ إخوانه، فقلت بعد هذا بعض أبيات أواسي بها نفسي وأبناءه، وخاصّة عمر، ذلك الصّغيرُ المؤدّب، والذي يحمل نِصْفَ القرآن وعمره ثماني سنوات. أقول فيها:

أم حبيبة لا تراعي *** فأبوكِ سيدُ السّباع

طعنَ العدو ولم يولّي *** حاشا بُنيّة أن تُضاعي

تسنيم يا بنت الشّهيد *** لا تُصغى لصوت ناعي

فأبوك حيٌ في الجنان *** طوبى لهُ من راعي

عُمَرُ الحبيب هلمَّ *** للثأرِ باعاً بذراعي

احمل كتابك دوما *** إياك من سقط المتاع

محمّد كن فارساً *** في الطّعن ليس بمستطاع

دينك لحمك والدّم *** سنامه ركبُ الكِراع

فعلى نهج أبيك كنْ *** للنّاس خير شعاع



رحم الله أبا عُمَر *** نِعم الرّفيق بلا نزاع

سلامةُ الصّدر طبعاً *** في الخير أسرع داع

حبّ السّماحة دينه *** في الله ليس يُراع

ليّن الجناح شعاره *** لله درك يا ساع



الهزبر النّهدي (٩)

"حتى أطأ بعُرجتي الجنة"

هـو الصّـادق الصّـدوق، القـويّ بالله، الـمُبتلى الـمُعافى، أصـدَقُ من رأيت سريرةً وأصفى مَنْ وقعَت عليه عيني فيما أظنُّ فؤاداً، كان صادقاً مع مولاه-نحسبه -، فجازاهُ خيرَ الجزاء وبشّره خيرُ البُشرى في الحياة، وقبْل الممات، ولهُ عنده الحُسْنى ومزيدْ...

فمن هو؟

شابٌ ثريّ من بلاد الحرمين، نهديُّ الأصْلِ، عاشَ حياة التّرف، وعَرِفَ معنى النّعيم، لكنّه لفَظَ الجميع وسعى ملبّياً يُنادي (حيّ على الجهاد)، لما قرأ قول مولاه: {انْفِروا خِفافاً وثِقالاً}، وقرأ وعلِمَ قولَ أبي أيّوب الأنصاري، وعلِمَ أقوال العُلماء أنها لم تترك لأحد عُذراً، فهمَّ بالرحيل، وأخذَ يودّع أهله ويجهّزُ نفسه، لكنّ شيطانه همَسَ في أذنه: كيف تذهب وأنتَ معذور؟ ألستَ مصاباً بشلل الأطفال؟ رِجلُك لا تحملُك على المشي البطيء، فضْلاً عن الجَرْي، و يدُك اليُسْرى شِبهُ معطّلة، كيفَ تستطيع حمل السلاح؟.

بكى الحبيبُ وذَرَفَ الدّموع، ثمّ وجَدَ ضالّته في قصّة الصّحابي الجليل عمرو بن الجموح رضي الله عنه لما قال: "إني لأرجو أن أطأ بعُرجتي هذه الجنة"، فقال: "والله إنّي لأرجو كما رجَوْت"، فجاءَ إلى ساحة العزّة، عَذَرهُ الله ولم



يعذِرْ نفسه، فالقِتالُ قتالُ دفعٍ، والعدو لم يُبْق لأحدٍ دُنْيا ولا ديناً، لم يمنعه ثراؤه ولم يُقعده عُذره عن النّهوض إلى ساحات الوغى.

قابلْتُ الرّجل وعَجِبْتُ لمجيئه، لكنّ الشّاب الظّريف البسّام، لا يَدَع لدهشتك فرصةً، يُقبِل عليك بوجهٍ كشِقّ القمر، مهلّلاً ومرحباً وخادماً كأنّما قد صادقْتَه قبل سِنين، ثم فارقْتُه وحانَ وقت اللّقاء، يرحّب ويخدم كل من قابَلَه.

اشترى سلاحاً خفيفاً حتى يستطيع حمْلَه واستعماله، وكان يجدُ نفسه في حراسة إخوانه،ولسانُ حاله يقول: إن لَم أدفع عنْكم صِحتُ بِكُم منبّهاً، وتخلّفْتُ عنكم مدافعاً. وكان صاحِبَ دُعابةٍ لطيفة وخِفّة عَجيبة.

قصّةٌ مثيرةٌ وعجيبة: استيقظَ الشّهيد قبل يوم من ترجّله إلى مثواه، فلمّا قام من نّومه قال لصاحبه:"غداً أستشهد"، فضَحِك الشّباب وانهالوا عليه بسيلٍ من النّكات والتّعليقات الظّريفة، وبادَلَهُم الحبيبُ كعادته المزاحَ بالمزاحِ، حتى إنَّ أميره قال: يا هَزبر ما عاد إلاّ أنت، مُمازِحاً كعادة الشّباب، وفي صبيحة يومِ استشهاده، وبعدما استيقظَ من نّومة القَيْلولة التي أيْقَظهُ منها، مزاح أخيه أبي الحسن له وتلطيشه إياه، قال: "ولَدْ، أنا اليوم أستشهِدْ السّاعة السّادسة".

ضحِك أبو الحسن وقال له مازحاً: (قُمْ وإلاّ كَسَّرتُ رأسَكَ فوق من نومك، عدش إلاّ أنت!).



وتَجهّز مجموعة من الإخوة رُماة الهاون للرّمْي، وكان مَعَهُم أبو الحسن فقال لهم الهزبر: أخرُج معهم، فخرجوا.

نصَبَ الأسودُ مِدْفعَهم، وأمطروا رتلاً بقذائف "الهاون"، فأحرَقوا سيّارتين ثمَّ ذهبوا وأحضروا قذائف أخْرى، والتفَّ الإخوة حولَ "الهاون"، وأخذَ أبو أحمد يضبِطُ مِنظاره ورمى بقذيفة.

وفجأةً وقف أبو الحسن مشدوهاً، رأى دبّابة على جسرٍ بعيد، قد سلّطَت مدفعها باتجاه الإخوة، وانطلَقَتْ منها قذيفة، رأى وميضَ إطلاقها، وقبل أن يتكلّم؛ كانت شظيّة منها قرْبَ عين أبي الحسن، وأُخرى في رَقَبة أبي أحمد، وأُخرَياتُ على صدر آخر، لكن الشّظايا جميعها كانت سطحية، وكان أبْعَدَ واحدٍ من "الهاون" مسافةً هو الهزبر، هربَ الجميع من مكان "الهاون" لتجنّب شظايا القصْف، لكنّ الهزبر لم يهرب، إذ أصابته شظّية في مقتل في صدْره ورأسه فنامَ مكانه، وترجلّ من حِصانه ولسان حاله: {وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى}، وكان ذلكَ في تمام السّاعة السّادسة بالضّبط. وصَدَق رسول الله ﷺ: "أصدقهم رؤيا أصدقهم حديثاً".

بقِيَ أن أُذكّر: بأنّ ما بين مجيء الشّهيد لساحة الجهاد ورحيله ما يقرُب من شهر، من الذين عملوا قليلاً وأُجروا كثيراً، واسأل الله أن يخلفنا فيه خيراً.



الهيئة الإعلامية لمجلس شورى المجاهدين في العراق



أبو عبد الله التُركي –آزاد أكنجي– (١٠)

عزيمةٌ صادقةٌ وهمّةٌ عاليةٌ، عاملٌ بلا كللٍ، وصابرٌ بلا مللٍ، مُخلص صادقٌ نحسبه كذلك والله حسيبُه، تركيٌّ من أصلٍ طيّب يُذكّرك بأولئك النّفر، الّذين أذاقوا أوربّا الذلَّ والهوانَ إبّان "الإمبراطورية" العُثمانية، عفواً الخلافة العُثمانية.

تعلَّم ليعمل، ذهب إلى باكستان، والتحقَ بالجامعة الإسلامية في إسلام آباد، وبقيَ فيها سنتين، ثمَّ دفعَه دينُه ورغبته في الجهاد ورفعِ الذلّ عن الأمّة، للذّهاب إلى أفغانستان وهناك التحق بمعسكراتها، وعَلِم إخوانُه منه صدْق النّية، من خلال دوامِ الخِدْمة وكَثرة الحراسة، ثمّ رجع إلى تُركيا، فتاقَت نفسُه الصّادقة لنُصرة إخوانه في الشّيشان، فذهبَ إلى جورجيا (طريق العُبور إلى الشّيشان)، وظلَّ هناك مرابطاً سبعةَ أشهر، ينْتظر فُرصة الدّخول دون كللٍ أو مللٍ؛ كلّ يوم يحدُوه الأمل، ولم يفتّ من عضِده رجوعُ من مَعَه من الشّباب بعد الشّهر والشّهريْن، وفي نهاية المطاف لم يوفّق الشّهيد للدّخُول، فرجِع إلى بلدِه تعلوهُ حَسْرة، ويستبدُّ به الهمّ،حيثُ آلمهُ أن يسكُنَ الشّيشان إخوةُ الكفْر، ويعشّش فيها المرتدّون ويُرى اليهود يجوبون أزقّتها وضواحيها.

عادَ إلى بلَده حيثُ العَلمانية حارسٌ أمين، وسدٌ منيع أمامَ كلّ دُعاة الدّين وطُلاّب العزّة، كفروا وأجْرَموا وفَعلوا كلّ خِسّة حتى ينضمّوا للاتحاد الأوربي، والنتيجةُ معلومة.



ومع إفساد الشّياطين الدّين والدّنيا، كرِهَ الحبيبُ حياة الخُنوع والذلّ، كرِهَ أن يقف مكتوفَ اليدين أمام هذا الواقع المأساويّ، فسجّلَ مع مجموعةٍ من إخوانه دورةً في عملّية استشهادية ضدَّ هدفٍ يهوديّ، وكان عبارةً عنْ قافلةٍ سياحيّة يهوديّة تأتي في شهر معيّن في السّنة، تضمُّ قُرابَة الثّلاثة آلاف يهوديّ، لكنّ العمليّة لم تتم لظُروفٍ معيّنة ليس هذا موضِعُ سردِها، واتّخذَ إخوانه قرارَ ضرْب هدفٍ آخرَ يهوديّ وبريطانيّ.

ولأنَّ قائمةَ الاستشهاديين طويلة، لم يأتِ عليه الدّور، وأصبَح اسمُه على قائمةِ المطلوبينَ في تفجيرِ المعابدِ اليهوديّة في تُركيا، فبحَث عن مكان آخرَ، وساحةٍ ثالثةٍ لعلَّ الله يرزُقه فيها الشّهادة، فلقد كرهَ الحبيبُ ذُلَّ الدّنيا، وأحبَّ لقاءَ مولاه، نعم، أحبَّ لقاء مولاه فلقَد رأيتُ ذلك في صديقٍ له عربيّ الأرومة، أخذني جانباً وقال:" أخي، أرجوك اشتقتُ للقاء ربّي، (فِدْوه) عجّلوا لي في الأمر، أُحبّ لقاءَ إخواني، فوالله كرِهتْ بعدهم نفسي".

وتقازمْتُ حتى صِرتُ مثل الذُرّ تحت نَعله، فأنّى لي بهذه الرّوحِ، وكيف الوصول إلى هذه الدّرجة؟ وماذا أفعل؟ وهل يمكن في يومٍ من الأيام أن أمتلك قلباً كهذا؟ أبيضاً صافياً يشع نوراً وإيماناً؟

عودةً إلى الحبيب الّذي جاء إلى بلاد الرّافدين ليشْهدَ أكبر مُنازلة بين أبناءِ العقيدة والتوحيد، وبين إخْوةِ القِرَدة والخنازير، معركةُ تكسير العِظام، كما يحلو لأبي مصعب أن يُسمّيها أو يصِفُها.



جاءَ وعلى الفور، سجّلَ نفسه في قائمةِ الشّرف قائمة الاستشهاديين، وفي البيتِ الذي كان جالساً به، يتحدّثُ صاحبُ البيت فيقول: أخي ما استيقظتُ في ساعةٍ من الليل، إلاّ ورأيتُ الرّجُل يصلي، وكأنَّ هناكَ هالةً من الضّياء والنّور تُحيط به، في تعامُلِه يحبّه كلّ من يراه، يملأ العيْن مهابةً، فقد كان ـ رحمه الله ـ جَسيماً، آتاه الله بسْطةً في الجسم.

ذهبَ أحدُ إخوانه يوماً ما لعملية، فاستيقظَ صباحاً يُبشّرنا أنَّ العمل قد تمَّ، ويصفُ لنا بالحركات ماذا تمَّ، إذ إنَّ الحَبيب كان لا يعرِفُ العربيّة، يا أهلَ لغةِ الضّاد، يا مَنْ قرأتم القُرآن وفهِمْتموه، لكنّكم لم تُدركوا قطّ معناه، لم تشعُروا بتلك القَشْعريرة التي كان يشعرُ بها أبو عبد الله العجميّ، ولا بكَتْ عيونُكم رغَباً ورهَباً ولا ولا...

المهمّ، جاء دورُ صاحبنا، وذهبَ مع أخٍ له إلى موقع الحادث مع اثنينِ آخرَين، كان منهم أبو هُريرَة سابقُ الذّكر، وفي الصّباح تعانق الشّهداء، وذَرَفوا الدّموع، ثمَّ قَطع أبو هريرة السّكوت، وهتَف مكبّراً ومبشراً: "أحبابي، ساعةٌ أو أقلّ ونلتقي عند مليكٍ مُقتدرْ، فأبشِروا وأمّلوا"، وركب كلّ واحد سيّارته، وركب أبو عبد الله سيارته مع أخٍ له يدلّه على الطّريق، وقبل أن ينزل الدّليل قبْل الهدف بمئة متر، حاوَل تقبيلَ يديْه، ولكنّ الحبيب أبى وودّع صاحبهُ، وانْطلق كالسّهم ليستقرّ بداخلِ مركزِ شُرطة "خان بني سعد" في ديالى، وقتَ مجيء دوريّة أمريكية، فأرسله بمن فيه من الأمريكان وعُملائهم إلى



حيثُ قدّر الله لهم، عِلماً بأنّ جميع العاملين في المركز من حُقَراء الروافض ولله الحمد.



أبو خالد السوري (١١)

هـادئٌ أديبٌ، وقـورٌ حصـيف، إذا علِمَ عمِـل، سمّاع مِطْـواع، رحمه الله أبا خالـدٍ الفلسـطينيّ، نعم فلسـطينيٌ فهـو من سُـكان مخيمِ حطّين بدمشـق من أصلٍ فلسـطيني، لكنـه وكأبنـاء جيلِـه وُلِدوا في الشّـتات وعاشـوا على حُلم العِـزّة والتّحرير، لكن أبا خالـد كـان من أولئك النّفرِ القليـل الـذين تربّـوا على منهج السّلف، وعلى سّنة رسول الله عقيدةً ومنهجاً.

أقْبلَ أبـو خالـد مع ذلـك الرّكـب الميمـون، ركْبِ أبي خبّـاب، ومـع الفـارسِ المقدامِ والبطل الصّنديد، والمقاتل المجرّب أبي حسن؛ ومع أنّ أبا حسن أكبرُ سناً من أبي خالـد، إلاّ أنّـه حسـنةٌ من حسـناته، فلمّـا استُشْـهد أبـو خالـد، رأيتُ أبا حسن كأنّه فَقدَ الدّنيا وما عليها، كان أستاذهُ وشيخُه وصديقُه، وموضِعُ سرّه ونصحِه، ولـذا سـكبَ عليه الـدّموع، وغمَسَ نفسـه في العـدوّ مـراراً، رجـاءَ أن يلحق بصاحِبه لكن حِكمة الله غالبة.

جاءَ أبـو خالـد وجلَس في بيت الشّـهيد أبي عمر، وأقْبل على إخوانه نصـحاً وإرشاداً، ثم أخذَ دورةً مقتضبةً في المتفجرات والتّشريك، وكان أبو خالد قَدِم لعملٍ إداريّ ما، لكنّه فاتحني برغبتِه الشّديدة في عملٍ استشهاديّ، وذلك بعدما اسـتقرَّ في قلبـه وعقْلـه أنَّ النّكايـة بـه كبـيرة، وأنَّ الميـدان يُثْبت أنّها الصّـوت المسموع الذي يصمُّ آذان العدوّ، فلا يستطيعونَ لها كِتماناً، ولا لأثارها محواً،



لكنّ أبا خالد حمّلني حِملاً تنوءُ الجبال بحَمْله، قال:" أنا أضَعُ هذا الأمر في رقَبتك، بحيث يكونُ الهدفُ فيه نكايةٌ للعدوّ، لا يمكنُ تنفيذها بغير ذلك".

ومضى أبو خالد يُعدّ الرّاحلة ويتجهّز للسّفر، أقْبلَ على ربّه وتغيّرت ملامِحُ الرّجُل، فصار وجهُه يُضيء كأنّه قِطْعة قَمر أو بريق فِضّة، وعينيه تُشعُّ بريقاً دافئاً وضياءاً، تُقسِم لو رأيته أنّ للرّجل سراً مع ربّه أو عبادةً خاصة، أو أنَه يُقبِلُ على أمرٍ هيّأه له مَولاه، وكيف لا والرّجُل جعل أنيسَهُ وجليسهُ كتابَ الله، يناجي مولاه، يطلُب منه التّوفيق والسّداد، ويرجو منهُ الثّبات عند اللّقاء.

وكان البيتُ مشحوناً بالشّباب المهاجرين، فطلب منّي رجاءً أن يذهب إلى بيتٍ يستطيع فيه الاختلاءَ بنفسه، فالوقتُ قصيرٌ والعِبءُ ثقيل، فوعدْته إن تيسّر لي ذلك، ثمَّ عُدْت بعدما اجتهدتُ فاعتذرتُ له قائلاً: "يا أخي، هذه طاقتُنا وطلبُك حقّ لكن اعذُرني"، وعذَرَنا الرّجل ومضى يُمهّد الطّريق لرحلتة إلى مولاه، ويا لها من رِحلة، ويا لها من أوقاتٍ، جاءنا أمرُ التنفيذ على هدفٍ مهمّ وطاغوت مجرم.

كان الهدفُ بيتاً يأتي إليه جنرالٌ كبير من الـ"سي آي أي"، ويكونُ فيه عددٌ من الجواسيس، وحينما يأتي تكونُ معه حراسةٌ مشدّدة، وتمَّ رصدُ البيت وتحديدُ أسلوب العمل.

وكان اجتهادُ الإخوة نسْف البيتِ بمن فيه من أمريكانٍ وعملاءٍ ومعدات ومستندات، وجهّز الإخوة لذلك سيّارة مفخّخة، وكان الهدف وحسْب



الاستطلاع يأتي إلى البيت تقريباً يومياً ويجلس ساعةً واحدة في البيت وينصرف، ويكون ذلك حسْبَ مِزاجه فليس له ميعادٌ معين على الأرجح.

فتهيّأ أبو خالدٍ، وتهيّأ معه إخوانُه مجموعة الرّصد، وذهبْنا في اليوم المحدّد، وانتظرنا الهدف من السّاعة الثّامنة صباحاً وحتى الخامسة عصراً، آخرُ موعدٍ لمجيئه ولكنّه لم يأت. ذهبنا في اليوم الثاني ونفسُ الأمر لم يأتِ، فقررْتُ توقيف العمليّة حتى حين، لكن جاءت الأوامرُ بالاستمرار في المتابعة والتربّص بالهدف، وفي حالة جاهزيّة كاملة، بمعنى أن يبقى الأخُ الاستشهاديّ ومجموعةُ الرّصد والسيّارة في مِنْطقة الهدَف من الساعة الثّامنة صباحاً وحتى الخامسة عصراً، وبالفِعْل ذهبنا في اليوم الثالث وانتظرنا ولم يأتِ الهدف، ورأيتُ أبا خالد قدْ بدا عليه التّعب، وكنتُ أتألّمّ جداً وأتعجّب من صبْره وجلَده.

فالرجُل ينتظرُ في أيةِ لحظة تأتي مجموعةُ الرّصد وتقول له: بسم الله انطلقْ، فهو في كل لحظة يعيشُ مع الموت وهذا شديد. حتى نحنُ مجموعة التّرصّد تعِبْنا من الانتظار، لا لشيء إلاّ لأننا في حالة جاهزيةٍ قُصْوى وشدّ أعصابٍ وانتباهٍ كامل، نسألُ الله الأجْرَ والثّواب. وفي نهاية اليوم الثّالث تذكّرْت قوْلَ النّبي ﷺ في الحديث الذي رواه مسلم، قال رسول الله ﷺ: "رباطُ يومٍ وليلة خيرٌ من صيامِ شهرٍ وقيامُه، وإنْ مات جَرى عليه عَملُه الذي يعمله، وأُجْري عليه رزْقه، وأمِنَ الفتّان".

فذهبتُ إلى أبي خالدٍ قائلاً: يا أبا خالد؛ أبْشِر، أبى الله إلاّ أن يرزُقك أجْر الرّباط وأجْر الشّهادة، قال رسول الله ﷺ ...، وذكرْتُ له الحديث، فوالله لقَد



رأيتُ البِشْر يطيرُ من وجه الرّجُل ويتهلّل كأنما سُقْت إليه كنزاً مفقوداً، وفرِح بالحديث جداً، مع أنّ الرّجل كان يُعلّمه ويحفّظه، لكنّني ذكّرته به في موضعٍ هو في أمسِّ الحاجة إليه. ولهذا شرّع الله النّصيحة للعالِم والمتعلّم قال تعالى: {وذكِّر فإنَّ الذكرى تنفعُ المؤمنين}، فذكّر غيرُ علّم.

وبعد أسبوعٍ من المراقبة علِمْنا أنّ الهدف لم يعُد يأت، وغيَّر مكانه إلى موضعٍ مجهول ولله الحمدُ المنّة على كل حال.

تمَّ تغييرُ الهدف، وقد تمَّ رصدُ أول مركز شُرطة يُضرَب في العراق، وكان بؤرةَ فسادٍ وإفساد، حيثُ يوجد في منطقةٍ تشتهرُ بسَبِّ أمّنا عائشة رضي الله عنها جهاراً نهاراً، ناهيك عن الشّيخين أبي بكرٍ وعُمر رضي الله عنهما.

وكان ذلك مركزَ شُرطة مدينة الصّدر، والموجود بحي جميلة فتمَّ رصدُ أكثرَ مِن مائة وخمسين حقيراً، ينتظمونَ في طوابير في ساحة المرْكز السّاعة الثّامنة صباحاً، وتمَّ تحديد يوم الخميس للتنفيذ، فجاء لي أحدُ الإخوة يقول أَجِّل الموضوع ليوم السبت، لأنَّ يوم الخميس يكون العددُ قليلاً، وكانَ ذلك بحِضور أبي خالد فقلتُ للأخ "لقد عزِمْنا على أمرِ والله يرزقنا، ثمَّ إنّ الغزو يوم الخميس جاء به أثرْ". وبالفعل ذهبْنا للهدف، وقبْل اقتراب السّيارة من الهدف، ذهبْت لأتأكد من عدد الموجودين منه، فوجدتُ العدوّ ضِعْفَ ما كان عليه، وأنّهم اجتمعوا في هذا اليوم لقبْضِ الرّواتب، وكُنت قلتُ لأبي خالد "إذا وصلْتَ انتظِر حتى آتي إليك وأقول ادخل"، فكأنّه لم يفْهم عليّ، وبينما أنا أمام مركزِ



الرّدة، إذ بمُرافقي من الإخوة يشيرُ إلي ويجري نحوي "تعال تعال"، حتى لقد لفَت إلينا الانتباه.

فجئت إليه أقول "مالَكَ فضَحْتنا" فقال: "الأخُ أمامك ذاهبٌ الى المركز أُنْظر"، فوجدتُ أبا خالد انطلق نحو المركز بهدوئه المُعتاد، وكأنّه في نزهةٍ مع أهله وأولاده، فلمّا رآني أمام المركز ذهَبَ ودارَ دورةً كبيرة ثم عاد إليه، وكنتُ قد رأيته متجهاً نحو الباب بادئ الأمر، فلمّا ذهبْتُ بعيداً لم أسمع الصّوت، فأصابني همٌ وغمٌ كبيرين لا يعلمُ بهما إلاّ الله، وكان يقودُ السّيارة، الفارسُ المجهول والبطلُ الصّنديد سابقُ الذّكر، فخشِينا، أن تكونَ السّيارة لم تنفجر، أو أنَّ الأخ قُتِل قبل التنفيذ أو قُبِضَ عليه أو ...

فقلت للأخِ "ارجِع إلى المركز"؛ فقال: انتظر "شويّة"، ومن فرطِ توتري قلتُ: "ارجع وليكُنْ ما يكون، وحتّى نتدارك الأمر، فالأخُ يعرِفُ عدّة بُيوت لا بُدَّ من إخلائها إذا حصل مكروه، وبينما نحن في الطّريق إلى المركز، رأيْتُ كلّ شيءٍ حولي يرقُص إثْر انفجارٍ ضخم هزَّ وانتزع كلّ ما حولَه، فجَعل تلك السّاحة المشؤومة بمن فيها كأنها تنّور أو كأنها فوهة بركان.

وعلِمْت من مصادرنا الخاصّة بعد ذلك، أنّ عدد القتلى من الشّرطة بلغ مائةً وستين قتيلاً غير الجرحى، ولم يُصَبْ أحدٌ من المدنيين، لأنَّ الأخ بارك الله فيه فجَّر سيارته داخل الساحة تماماً في وسَطِهم، وعلى الرّغم أنَّ الحراسة أمطرتْه بوابلٍ من الرّصاص، إلاّ أنها كانت عليه برداً وسلاماً، فتابَع سيْره ونفّذَ هدفه، فرَحْمة الله على أبي خالد، وأسألُ الله أن يجمعنا به في جنّة صدْقٍ عند مليكٍ



مُقتدر، وأسألُ الله أن يخلُفَه خيراً في زوجته وأولاده الثّلاثة، فالله لا يُضيّع أبداً أهل الشّهيد وهذا مُلامَسٌ ومجرّب، ومؤكد فهُم بعدَه في الغالب أحسَنُ حالاً في الدّنيا من أيام عائِلِهم، فما ظنّك بربٍّ ضحّى لدينه مولاه.

وكان الشّهيد قد تَرك معي رسالة لأهلِه، وأوصاني أن تكتُبَ أهلي أيضاً رسالة لزوجته تذكّرها فيه بالله، وأنّ الله لن يضيّعها، وأنّ مقاليدَ العباد بيده، قائلاً: "زوجتي صاحِبة فضْلٍ ودينْ، لكنّ الزّوج له مكانٌ، وقدْ كان لى عنْدها مكانةٌ أخافُ على دينها أن تقولَ ما يُحْبط به عملَها لشدّة حبّها لي"؛ فوعدْتُه ذلك، والله يحفَظ أعراضَنا وأوْلادنا من كلّ مكروه وسوء .



عُمر حديد (١٢)

علمُ أعلامِ الفلّوجة، وسيّدُ الشّهداء فيها -نحسبه كذلك-؛ ابنُها البار، وسيّدُها المُطاع، وقائدُها المغوار، مَنْ أمسَك بتلابيبِ المجْد، فَلانَ لهُ وانصاعْ، رغِبَت نفسُه بالعُلا، فلمْ يرْضَ بغيرِ عدْن، مهاب الجانبِ وليّنُ الجناح، أسْمُه على الأعداء سيفٌ سلْط، وعلى الإخوان سلسبيلٌ زلال، هو في النّاس شامةٌ، وعلى الجبينِ تاجٌ، إذا رأيتَه ذكرْتَ الله، واطمأنّت النّفس وارتاحَت؛ أسرعُ النّاسِ للنّاس خيراً، و أبعدُ النّاس طَلَبا.

هو "عمرُ حديد"، أو عُمر حُسين حَديد المُحمّدي، أسدُ الفلّوجة الّذي أخَذ بمجامِع البُطولة، واكتَسى بسِربال الهيبَة، هذا الجبلُ الأشمّ الذي جَعل من المدينة الصّغيرة للنّاس علماً، وبيْن الفخْر آية، وفي المجْد شرفاً،لم يسْعَ لشيءٍ من الذّكر ولا أرادَ الشّهرةَ يوما، ولا كان لها يلتفِتْ أو عليْها يبْكي، ولأجْلها يجِدّ ويسْعى كما يفعلُ الكَثير، لكن عِزّ الدّنيا والآخرة - نحسبُه والله حسيبُه - كان نصيبَه، وكيفَ لا وهو ابنُ العقيدةِ البارّ، وتلميذُها النّجيبُ، وداعيتُها الموفّق الصّادِع بالحقّ، المبتلى في الله، الموحّدُ في زمانِ الظّلمة، والسّاعي لمسْح رُكام الغَفلة، وذلك زمن الطّاغوت الهالكِ (إن شاء الله) سيّدُ البعْث صدّام حُسين.

حيث تعرّف حبيبُنا على الأخِ الدّاعية "محمّد شيشاني"، و بمسجد الفيّاض شكّلا أوّل مجموعةٍ للأمْر بالمعروفِ والنّهي عن المنكر في عاصمةِ البِدَع ومهْدِ



الخِرافة في تلْك الفترة (الفلّوجة)، حيثُ تمكنّت هذه المجموعة منْ تحطيم محلاّت "الفيديو" الماجنة، وحِلاقة النّساء (والتي تُستخدمُ في الباطن لأعمالٍ أُخرى)، و أماكِن الخمور، ثمّ زحَفوا إلى القُرى المجاورة حتّى وصلوا إلى "الكرْمة"، لكن أبى الله إلاّ أن يمهّد له فيبتليَه، وأعتُقِل أحدُ أفراد المجموعة حيثُ أعترف بدورِ الشّيخ البارز وصاحِبه، فدوهِما في أحد الدّور لكنّ الشّهيد البطل وصاحبَه تمكّنا مِن فكّ الحصار، بعد أن قَتلا أحد أزلام الطاغوت وجَرَحا آخرين؛ وهنا بدأت أوّل رحلات التّشرّد ودُروس الغُربة، فتنقّل بين مُدن العراق يطلُب الأمانَ، ويدْعو إلى الله.

وفي يومٍ من الأيّام جاءَ أحدُ أقاربِه وكان مسؤولا في الاستخبارات ذلك الوقْت، و قال له: "تعالَ معيَ ساعةً واحدةً وأنا أتعهّد أن ترجِعَ ولا تُطالَب أبداً، لكن شيئاً صوريّاً فقط، تُعلن التّوبة وأنّك بريءٌ من قتْل الجُندي وبعدها تنْجو". فنظر عُمَرُ إليه وقال: "بل أنْجُ أنت بنفسكَ منْ عذابِ الله، إذا سألك على عمالَتك لهذا الطّاغوت، وأمّا أنا فمُرتاحٌ وناجٍ بحولِ الله والله غالبٌ على أمره".

وسقَط نظامُ البعْث، وبدأ القائد يبحثُ عن دَوره، لطُموح العقيدة بين جنْبيه، فذَهب إلى "راوة"، وهناكَ أسّس أولَ معسكرٍ للأخوةِ العرَب المهاجرين، مع الأخِ الشّهيد أبي محمّد اللّبناني وغيرهم.



ثمّ جاء إلى الفلّوجة، وقادَ أوّل معركةٍ ضدّ آلياتِ أمريكية، أستُشْهد فيها ثلاثةٌ من الأخوة ونجى هو وآخرُ من الموتِ بأعجُوبة، وعلِم الرّجُل ما هو مطلوبٌ منْه، فبدأ بجمْع السّلاح بكافّة أشكاله وأنواعه.

ثمّ بدأ بأهْل بيته يعِظُهم ويُذكّرهم ويدْعوهم إلى الله، فلانَتْ له قُلوبهم ودانُوا له بالإمْرة والسّمْع والطّاعة، كبيرِهم وصغيرهم، ولَقد رأيتُ عمّه كابنِ عمّه صغيرِهم وكبيرِهم، الكلّ يقول: جاءَ الشّيخُ عُمر وراح الشّيخ عُمر، وإذا جلَس قاموا على خدمته "مع إباء منه"، وإذا تكلّم أسرَعوا في طلَبه وهذه منْ نِعَم الله عليه.

فما أستُشهِد الرّجل حتى دَفن بنفسه أخوهُ الأكْبر "عبد الستير"، وابن عمّه الوفيّ "جاسم" طالبُ الشّريعة وغيرِهم. فللّه درّكم آل حَديد، وشرّفَكم في الآخرةِ، كما تشرّفْتم بالدّين في الدّنيا.

أوّل مرّة رأيتُه كان يلبَس عباءةً، وعلى رأسِه "شماغ" وعقال، يتكلّم بأدبٍ ويبْتسم بحياء، فظننْت أنّه شيخٌ من شُيوخ العشائِر، فُذكر الشّعر وإذا به يقول منهُ الكثير، لكنّي للأسف لا أحفَظُ منه حالياً شيئاً، ولعلّي أجمَع منه بعضاً بعد ذلك. فزادَ في عيني؛ أدبٌ وعلمٌ وجهادٌ وهيبة، فمِلْت على مَن بِجانبي وسألْته من الشّيخ؟، قال: ألا تعرِفُه..؟ قلت: لا، قال: هذا عمرُ حَديد من الفلّوجة. وهذه كانتْ بدايَتي معه، ثم بدأَت أحداثُ الفلّوجة الأولى، تلْك الأحداثُ التي شكّلت مُنْعطفاً جديداً في تاريخِ سيرَته وسيرةِ غيرِه الجهادية، بلْ في سيرة المدينة نفسها، حتى أنّه إذا ذُكرَت الفلّوجةُ ذُكِر عُمر، وإذا ذُكِر عُمر ذُكرت



الفلّوجة، فهما وجهانِ لِشرفٍ واحد، كلاهُما أثّر على الآخر، بدءاً من أحداثِ مُديرية الأمْن و"القائمقامية"، وانتهاءً برحيلِ البطَل.

لكنّي أبدأ من الفلّوجة الأولى، حيث أُحبّ هنا أن أسجّل ما أظنّ أنه كان سبباً - والعلم عند الله - لعلوّ شأن الرّجل ورِفْعة منزلته في الدّنيا، وأسأل الله أن يرفعَ منْزِلته في الآخرة؛ وهو أنّه عندما أقتَحم الأمريكانُ الفلّوجة أوّل الأمْر، اختبأ أكثرُ النّاس في بُيوتهم، وبَدأ الوَجلُ يدبّ في أوصالهم، وخافوا على أهلِهم وأولادِهم وأموالهم.

لكنّ عُمر ما خافَ إلا الله، فذَهب إلى بيتِه، وأخذ يُحرّض أهْله وأبناءَ عُمومته ومَنْ معه، ثمّ حمَل رشّاشه وجَرى خلْفه أخوهُ عبد السّتير وأبناءُ عُمومته وعلى رأسِهم الشّاب جاسم.

فأسْرع النّاس إليهم "مالَكُم، مجانين؟، غطّوا وجوهَكُم، الأمريكان- الجواسيس-!!"؛ والرّجُل يجأرُ بأعلى صوْته: "أخرُجوا يا ناس، دافِعوا عنْ أعراضِكم، لن يترُكوكم، أصدُقوا مع الله ساعة"؛ وأحسنُ النّاس من يأتِ له بـ"شماغ" يغطّي به وجْهه أو شِربةُ ماءٍ يروي بها ظمأه.

ورأيتُ والله الحُرقةَ على الدّين تملأُ عُيونه، والخوفَ على العِرْض يملأُ قلْبه، والجرأةُ في أمرِ الله سمْته. فقُلت؛ سبحان الله، صدَق ابنُ عبّاس لما تكلّم عنْ أبي بكر، فقال "ما سَبَقكُم أبو بكرٍ بكثيرِ صلاةٍ ولا صيام، ولكن بشيءٍ وقَر في



قلْبه". ولعل عُمر حديد وقرَ في قلبِه حبُّ الدّين والغَيْرة على أهلِه، فلِذا ضحّى بنَفسه وأهله ولم يلْتفت.

ولكن سبحان الله القائل: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ}. فعلى قدْر البلاغِ تكونُ العِصْمة، كما قال الشّيخ سيّد قطب رحمه الله.

وعلى الرّغم من أنّ كثيراً من بُيوت الفلّوجة قُصِفَت ودمّرت برغم خلوّها حيثُ هجَرَها أهلُها وفرّوا، إلا أنّ بيتَ عُمَر والّذي كان مأوىً للمُجاهدين من المهاجرين والأنْصار ومقراً لطعامِهم ودوائِهم، فلمْ يُصَب بسُوء، بل أنّهم قصَفوه أكثر مِن مرّة ولم يُصَب بِسوء بلْ دُمرّ ما حوله؛ فسُبحان الله.

بدأتْ المعركةُ؛ وشكّل عُمر مع الشّيخ أبي أنسٍ الشّاميّ وأبي عزّام وغيرهم القيادةَ العامّة للمعركة. وكان من نصيبِ عُمر، الإشرافُ العامّ أو الإمارة العامّة على أثْخن أماكِن الصّراع وأشدّها وطأة؛ (الجولان)، حيثُ حاول العدوّ مرّات ومرّات أنْ يدْخُل المدينة من جهتها، لأسبابٍ كثيرة أهمها:

- قِصَرُ المسافة بين مواقع العدوّ ومقرّ الجولان.

- طولُ خطّ الجبْهة من هذه الجهة، ممّا يصعُب على المجاهدين حمايته.

فوالله لقد كنْتُ في هذه الجبْهة، فلصوتُ عُمرَ في المعْركة بألفِ فارس، ورؤيتُه ترفعُ الرّوح المعْنوية وتزرعُ الثّقة في النّفوس.



أذْكُر مرّة أنّ مجموعةً من الأخوة ذهبت لمهاجمةِ أحدِ مواقع الأمريكان، وبَلَغ الخبرُ إلى الشّيخ عمر حديد، أنّ الأخوة محاصَرون، فجاءَ كأنّه الرّيح المرسلة يحمِل رشّاشه، وكان من نوع "ناتو- أبو الأخمص الحديدي"، وبدَأ ينشُر الأخوة ويزْأر فيهم: "لابدّ أن نّخلص الأخوة، هيّا يا شباب"، وتقدّم بنفسه من أحدِ الجهات، وبدأ بتنسيق الجهات الأخرى حتى يسّرَ الله وخرَج الأخوة مُنتصرين بعد أنْ كانوا مُحاصرين.

وكانت نُقْطة الشّيخ عُمر دائماً محِلاً لِقصْفٍ دائِم ومستمر، فلم يتركوا فيها أرضاً ولا بيتاً، آخِرُهم كان البيتَ الذي يُستخدَمُ مخزناً للذّخيرة، وكان ذلك قبل انتهاء المعركة بأيام، وكانت هذه الذّخيرة آخِرَ ما كان عنْدنا من عَتاد، فحزِنَ عُمر حُزناً شديداً، واشتكى إلى الشّيخ أبي أنس، فقال له "يفرّجُ اللهُ يا عُمر"، وبعدَها جاءَ النّصْر والظّفر، وذلك بعد استِفْراغ الوِسْع في بذْل السّبب، فلمّا ذهَبَت أسبابُ الأرضِ، نزَل سببُ السّماء بفتحٍ مُبين.

ثمّ بدأ الشّيخ عُمر بعد الفلّوجة الأولى أهمّ مراحِل حياته، حيثُ بدأ يؤسّس لِبداية عصْرٍ من الخيرِ والبَركة، فشكّل مع مجموعةٍ من إخوانه (مجلس شورى المجاهدين)، والذي كان يأملُ أن يكونَ نواةَ حكمٍ إسلاميّ لمدينة الفلوجة، بل بدَأ عُمر وإخوانه يقومون بواجبِ الأمْر بالمعروف والنّهي عن المنكر، وقامَ بتنْحية شُيوخ التّصوف المذموم، الذين فرّوا من المدينة مع بداية الهُجوم الأمريكي، وقامَ بتعيين مجموعةٍ من الشّباب الموحّد، ممّا جعل عُمر عَرَضاً لِسهام هؤلاء الجبناء، فبدءوا يُلصقون به كلّ تُهمة، ويبرّؤنه من كلّ حسنه، لكنِ



الشّـرفاء من أهـل المدينـة عرِفـوه ناصـحاً للنـاس حاكمـاً بينهُم بالعـدْل، و إذا عُرِضت عليه مُشْكلة يأخُذ الحقّ من الظّالم مهْما كانَ حجْمُه وقدْره.

و من مآثر عُمر المعروفة أنّه لما شَعَر بأنّ فيْلق الفلّوجة مِن الحرسْ الوثني، بدأتْ تظهرُ منه رائحةُ الغدْر و الخيانة، هجَم على مقرّاته، وقبَض على رؤوسهم، ثمّ أعدَمهم واسْتولى على مقرّاتهم بما فيها مِن سِلاحٍ وعتادٍ ولباس، وطهّر المدينة من دَنَسهم؛ ولِحُزن الأمريكان عليهم، قامَ هؤلاء الغُزاة بعمَل لوحةٍ ضخْمة أمامَ أحَد أهمّ قواعدهم، عليها صورةُ آمِر الحرسْ الوثنيّ بالفلّوجة. ثمّ أستمرّ عُمر يُعدّ ويُجهّز لِغزْو مُحتمل من الأمريكان، بدْءاً مِن تجهيز وشِراء السّلاح، وسدّ الثّغَرات، وأُسنِدت إليه مرّة أُخرى قيادةُ الجولان.

وجاءت أحداثُ الفلّوجة الثانية، وكان موْقِعه كما أسلفْنا بالجولان، وكنْتُ بحي نزّال مع الشيّخ أبي عزّام، وعبد الهادي وأبي رَبيع، وآخرينَ مِن المهاجرين والأنصار، و بدأتْ أخْبار الجولان تأتي إلينا غيرَ سارّة البتّة، وكان آخرُها ألماً أنّ عُمر حديد قد قُتِل، فتألمّ الجميع وصارُ الحُزن سيّد الموقف.

وفي صبيحةِ يومٍ مُشْرق، أطلّ علينا عُمر وقد أُصيبَ في ظهْره وكتِفه الأيمن، يحمِلُ رشّاشه، و في هذه المرّة (إم ١٦) الأمريكي فكبّرنا جميعاً، وسجدْنا لله شُكرا، ثمّ حكى لنا قصّة إصابته وكيف أستطاع مع إخوانه فكّ طوقِ الحِصار المفروض عليه، وجاء إلى حي نزّال، ومن هذا الحيّ بدأ عُمر يمارس دورَه القياديّ، فعلى الرّغم من إصابته و صُعوبة حركته، كانت إذا استعصَت مِنطقةٌ أرسلناهُ إليها لسبب هامّ؛ أنّ الأخوة إذا رأوه يتحمّسون ويتشجّعون ويكونُ



الإقدام شِعارَهم ومنهُم منْ يستحي منه، ثمّ إن عُمر كان صاحِب سرٍّ في هذا الأمر اللهُ بهِ عليم. وأقتحم الأمريكان حي نزّال، وقاتَل قِتال الأبطال، وتفرّق الأخوَة مجموعاتٍ، فذهبْتُ مع مجموعةٍ وذهبَ هوَ مع أُخرى، ثمّ جاءَ مع محمّد جاسم العيساوي (أبو الحارث)، وآخرينَ والبَسْمة تعلو وجهه قائلاً: "إنْ شاء الله النّصر لنا، نهزمُهم إن شاء الله، إنّا نطْمعُ فيما عند الله"، وكُنْت أعلم أنّه يعني الجنّة، ثمّ بدأ القتال يتم في أنحاء حي نزّال فبدأنا ننحازُ منْ بيتٍ لِبيْت.

وفي هذِه الأيّام انْحازَ الأخوة ولمْ أستطع أنا وثلاثةٌ منَ الأخوةِ أنْ ننحاز لأسبابٍ كثيرة؛ ونَظَر عُمر إلى البيْت الذي كُنْت فيه، فجُنّ جُنونه، لأنّه رأى القنّاصة فوق سطْح البيْت وخافَ عليْنا خوفاً شديداً، فأخَذ سِلاحه الـ (إم ١٦)، وبدَأ يقنُص عليهم، فقَنَص الأوّل ثمّ قنَص الثّاني، و على إثرِها فرّ الجُبناءُ منْ سطْح البيت، ممّا سهّل خُروجنا بحَوْل الله من المنزل.

ثمّ جاءَ (نداءُ المرأة) كما يعرِفُه منْ كانَ في حيّ نزّال، والذي أمَروا فيهِ بخُروج كلّ حيّ منَ المدينة إلى أماكِن حدّودها. فعَلِم الجميعُ أنّ الموْت قادِمُ لا محالة، وأنّ الجُبناء سوْف يستخدمونَ أساليبَ قذِرة.

وبالفِعْل، استُخْدمت الغازاتُ السّامّة والحارقة، وما كَشفوهُ مؤخّراً مِنَ مَوضوعِ الفُسْفور الأبيضِ غَيْضٌ من فَيض.

وبدأ عُمر ينْحازُ من مكانٍ لآخر، حتّى أستقرّ به المِقامُ في أحدِ البُيوت معَ أكثرِ مِن عشرةٍ مِنَ الأخوة. وإذا به يشعُر بالأمريكانِ يحاولون اقتِحامَ المنْزل، فصَعِد



على السّطح وبدأ في الاشتباك مَعهم، لكنّ طلقةَ قنّاصٍ كانَ مختبئً في بيتٍ مُقابلٍ أصابتْه في رأسه، فترجّل الفارِس، وإنْ صحّ التّعبيرُ، فركِب الفارسُ جَوادَه ليصُولَ بِه ويجول في عَلياءِ المجْد والشّرف و يمرَح به في جنات عدنٍ عند مليكٍ مقْتدر، نحسبُه والله حسيبه.

وأصابَ الأخوة بعدَه ما أصابهُم، لكنّ الجميعَ أحتسبَه عنْد الله، فقدْ ارتاحَ منْ هذه الدّنيا وتعبِها. ومِنْ جَميل الأشياءِ أنّ الأمريكانَ استخْدَموا في حربهِم هذه كلّ وسيلةٍ كعادتهم، ومنها الحرْبُ النّفسية.

وموْضِعُ الجَمال في القصّة: أنّه كثيراً ما كانوا يُنادونَ في مكبّرات الصّوت: "أخرُجوا، سلّموا أنْفُسكم، إنّكم مُحاصَرون، سنُبيدُكم، لقدْ فرّ قادتُكم، لقدْ ترَكوكم، عُمر حديدْ الجَبان فرّ وترَكَكُم، طلَب الحياة وترككُم تموتون...".

فيسْمعُها عُمر ويضْحكُ، والإخوةُ منْ حولِه يضْحكون، ويزْدادونَ ثباتاً ويَقيناً فيما عنْد الله، {فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ}.

وأذكُر مرّة أنّهم قالوا فيما قالوا: لقدْ جِئناكُم بأسْلِحة مُدمّرة، سوفَ تَحرِق الأرضَ عليْكم و تُمطِر السّماءُ ناراً، عِندنا قوّة جبّارة لا طاقةَ لأحدٍ بها، فضَحِكْتُ والله ساعَتَها مِن صميم قلْبي، وقلْت لإخواني: "أبْشِروا، فوالله هذا الكلام بعده الفرجُ القريب". فما تأخّر والحمد لله، وفي الخِتام أسألُ الله ألاّ يحرِمَنا منْ عُمر وإخوانه في الجنّة، وأن يرزُقني بحبّه وحبّ أمثالِه ما أطمعُ به فيه، والله المُستعَانُ وعليهِ التّكلان.



أبو فارس الأنصاري (١٣)

هو القائد الهُمام والبطلُ المِقدام، الجريءُ الشّجاع، رجلُ المواقف الصّعبة والبطولات النّادرة، أعني أبا فارس (عبد الستّير محمّد فرَّاس)، من جزيرةِ الرّمادي من البوعبيد، والكلامُ عن هذا الجبَل يطولُ ذِكرُه مع أنّه يصعُب وصفُه، لكنّي مع أبي فارسٍ ازددْتُ يقيناً أنَّ السّبْق سبْقُ صِفة، لا سبْقُ زمان، فأبو فارسٍ مهْنتهُ قبل الالتزام نقيبٌ بالاستخبارات، استقامَ بعد سُقوط نظام الطّاغوت صدّام، وحقاً صَدَق فيه قولُ النّبي ﷺ (خياركُم في الجاهليةِ خياركُم في الإسلام، إذا فَقِهوا)، عرفَ أبو فارس التّوحيد وشرِبهُ وتعلَّم دُروسه في ساحة: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا} ففهِم الدّرس ووَعاهُ، وبدأ يُطبّق حُروفه ومعانيه، ثمَّ استقامَ مع قول الله تعالى: {وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفَّةً}.

ورأيتُ أبا فارس أوّل ما رأيتُه في بيتِهِ بالجَزيرة، لأوّل وهلةٍ ظننْتُ أنّه فلاّحٌ ليس لهُ حظٌّ من الدّراسة والتّعليم، إنْ جلَس النّاس على الأريكةِ جلَسَ على الأرض، خادِمُ القوم إذا أكلوا، رأيتُه يسْعى بين يَدَي إخوانه وفي خِدْمتهم، وكأنّه مَوْلى لهم، هذا وكنت أظنُ أنّه كبيرٌ في السّن نظراً لصلَعٍ أكَل مُقدّمة شعرِ رأسه، فلمّا سألْته عن سِنّه، قال إنّه مواليد عام ١٩٧٠، ثمَّ علِمْت من أخيه الشّجاع الجريء سعد، أنَّ أخاهُ الأكبر أبا فارس كان نَقيباً بالاستخبارات، فقلت: سُبحان الله، والله كأنَّ هذا الرّجل لم يُدرك جاهليةً قطّ،



يا سُبحان الله! هلْ هذا كانَ في الاستخبارات؟ ومنْ أربعةِ أشهُرٍ التزَمْ، سُبحان الله فهوَ يقسّم الأخلاقَ كما يُقسّم الأرزاق، وأشْهدُ أنَّ أبا فارس كان غنياً، ثمَّ رأيتُ أبا فارسَ الشّجاع الجريء والقائدَ الذي لا يُشقّ له غُبار، حيثُ كان يقولُ عنه أحدُ إخوانه: أبو فارسَ تخافُ الطّلقةُ ولا يخافُ.

أشْرَف الشّهيد القائدُ بنفسه على كثيرٍ من العملياتِ الهجوميّة، ويرْجِع الفضْلُ لله ثمّ لرجالٍ من أمثالِ أبي فارس في تحويلِ مَسارِ الجهاد في العراق، حيث عَطَف به عطْفة ولَوى عنُقه إلى حيث لا توقّف ولا نهايةَ في العراق وغيره، فكان أبو فارس قائداً ومُخطّطاً لأهمّ عمليّة غيّرت مجرى الجهادِ في العراق عامّةً وفي الفلّوجةِ خاصّة، حيثُ إنّه كان المخطِّط والقائدَ لعمليّة اقْتحام الفلّوجة الأولى، والتي تُسمّى هنا عمليّة مُديريّة الأمْن والقائمّقامية، حيثُ تمَّ سدُّ منافذِ الفلّوجة واقتحَم مع إخوانه مديريّة الأمن، وقال لي إنه عند اقتحامِها وعلى مدْخلها وجَدَ ضابط شُرطة من فرْطِ خوفِه وجُبْنه نائمٌ على الأرض يبكي ويصرُخُ قبل أن يُطلق عليهِ رصاصَة واحدةً في رأسه، وليسَ المقامُ مَقام وصْف هذه العمليّة، لكن المقصودُ هنا أنَّ هذه العمليّة جرَّأت الإخوةُ على احتلال المدن، وكانتْ تجربةً مهمّة في اختبار الذّاتِ ومعرفةِ مواضع الخلل والتّقصير، كما أنها أدَّبت جِهاز الشّرطة بالفلّوجة، بحيث أنّه أصْبح يؤرَّخ لها؛ يقولُ النّاس: هذا العملُ قبْل أحداثِ الشّرطة وهذا بعْدَه، حتى إنَّ مجْلس الأمن الأمريكي اجْتمع ليدرُس آثارَ هذه المعركة ونتائجَها، وللعلْم فقدْ أُصيب بَطلُنا في هذه العملية بطلقةٍ في فَخِذه، ما جلس لها يوماً واحداً على فِراشه، فكنْتُ



أراه يسعى في خدمة إخوانه ويجرّ رِجْله، فأقول: استرِح يا أبا فارس، فيقول: "هي بسيطة وأنا مو تعبان".

ثمَّ شارك البطلُ؛ أقصِدُ قادَ البطل عدّة عملياتٍ بعْدَها، وأذكُر أنّه كان في عمليّة فِنْدق شاهين، وكانت السّيارة الـمُفخخة سيّارةَ إسعاف، وكان هو الذي يقودُها بعد تفْخِيخها إلى منطقة الهَدف، ولعدة مراتٍ يذهبُ بها ويرجِع، ولم ألْحَظ عليه أبداً أدْنى ارتباكٍ أو خوف، وأذْكرُ أنّه في إحدى المرّات حَدَث اختناقٌ مروريّ، فما كان مِن البطل إلاّ أن شغّل بوقَ الإسعاف وفتَح لنفسه الطّريق، وهو يضحكُ رحمه الله.

عمليةُ فنْدق شاهين، تلك العمليّة الجريئة الموفّقة، والّتي حَصَدت العشراتَ مِنْ ضُباط ومحقّقي الاستخبارات الأمريكيّة، وجاءَ على رأسِهم المسؤولُ عن استخبارات الشّرق الأوسط، ولكنْ كالعادة أُحيطت نتائجُ العمليّة بالتّكتيم. ثمَّ قادَ البطلُ مجموعةً من المهاجرينَ والأنْصار، واختارَ لهم مكاناً في الصّحراء جيّدُ التّمويه، وأذكُرُ أنّي جلَسْت مع هذه المجموعة أسبوعينِ في الصّحراء، فوالله لم أرَ قطّ أشْجع ولا أكثر أُلفة ومحبّة وترابطاً منهم.

رأيتُ بعيني حِرصَ القائدِ أبي فارس على إخوانه، حيثُ شارَكْتُ معه مرةً في غزوةٍ لقَطْع الطّريق السّريع على دورية، حيثُ كانت هذه مهمَّتهم، قطعُ السّريع وإصابَتِه بالشّلل، والسَّريع أقْصدُ به الطّريق السّريع الذي يربُط بغدادَ بالحُدود السّورية والأردنيّة.



فـرأيتُ الرَجُـل يـذهبُ بنفسِـه أولاً، يسـتطْلِع ويحدّدُ المكـان الأنْسَـب للكمين، ويرْسُم بدقّة ويعْلَم مكـان كلّ مجموعةٍ وأميرهم، وخطّةِ هُجومهم وانْسِحابهم، وطريقَـةَ الاتّصـال بين المجموعـة، وشَـفْرة الهُجـوم، وإذْن الانْسـحاب وتـرتيبِ السّلاح منْ حيثُ بدأ الإطلاقُ، ولونَ الملابسِ والأحذية المستعملة، وحتّى تمويهَ السّيارات، ابتـداءً بلونِها وانتهـاءً بإزالـةِ الأضْـواء الدّاخلية والخلْفيـة، وحيث أنَّ العمليّة كـانت ليلاً ولم ينسَ أبـو فـارس علامـات الطّريـق والـدّليل والمسـافة بينَ كلّ فردٍ وآخر، وبين كلّ مجموعة وأخرى وإلى غير ذلك؛ ما يدلُّ على ذكائه وخبْرته وحُسْن ترتيبه، وقد كان كذلك.

ثمَّ تطوّرت أحـداثُ الفلّوجـة، واتّخَذ الإخـوة قـراراً بمنْع دُخـول الأمريكـانِ إلى الفلّوجة، وذلك بعد عمليّة تغيير القُوّات في منْطَقة الأنبار، واستبدالِهم بقوّات "المارينـز". وصدَرت الأوامر إلى المجموعـاتِ، ومنْ ضـمنهم مجموعـة أبي فـارس، بمُغـادرة الصّـحراء والمجيء إلى المدينةِ والبَـدْء مع إخـوانهم في حراسـةِ المدينة ليلاً والكمينِ نهاراً، وظلَّ هـذا الوَضْع هكـذا حتى حـدَثت العمليّة التي هزّت العـالم، عمليـةُ مقْتـل ضـبّاط التّخطيـط الأمْـريكي الأرْبعـة، والمسـمّين زوراً بالمقـاولين. ورأيْتُ بعيـني كيـف يجُرّهم حمارٌ في شـوارِع الفلّوجـة، ذلـك بعـد أن عُلّقـوا في إشـارةٍ ذكيّة على الجِسْر الحديديّ، والـذي بناهُ الإنكليز وهـو أهَمْ وأقـدم معالم المدينة.

وأذْكـرُ يومهـا أنّي كنتُ جالسـاً في إحـدى المحلاّت بالصّـناعة، فـرأيت البَطَـل الشّـهيد الحـاج ثـامر –سـابِقِ الـذّكر– يـدخلُ عليّ والبسـمةُ تملأُ وجْهـه والفرْحـة



تعبّر عن نفسـها، ثمّ قـال: انظُـر... ورمى لي برُزمـةٍ منَ الأوراق، فتصـفّحتُها بسّـرعة، وإذا بها جـوازاتٍ أمريكيـة وبطاقـاتَ ائتمـانٍ لبُنـوك أمريكيّـة بدوْلـة الكويت ورأيت ختْم دخول الكوَيت لأحدهم منذُ خمسة أيام وأظهرت الترجمة أنَّ القتلى الأرْبعة ضبّاطُ تخطيط وتـدْريب، جاؤوا في صُورة مقاولينَ ليَضَعوا الخطّة العبْقريّة، لكيفيّة اقتِحام الفلّوجة، فكان في انتظارِهم بائعُ خُضار سَحَلهم بحِماره الذي يجرُّ به زُبالة السّوق بعد انتهاء العمل.

و تسارَعتْ وتيرةُ الأحداث، وهجمَ الأمريكان على الفلّوجة، وبدؤوا الهُجوم من جِهَة الصّناعة ولأنها المكانُ الأضعفُ للمُجاهدين لصعوبة السّيطرة عليها من قِبَل المجاهدين، حيثُ إنّها حيٌ صناعيٌ كبيرٌ مكشُوف جداً للطّيران وليس به سكّان، يسهُلُ ضربُ أيُّ هدفٍ متحرك فيه. و باللّيل وفي السّاعة الثّانية، اشتبكَتْ كتائبُ المجاهدين مع الأمريكان، وحمي الوطيس، وثبَتَ المجاهدونَ وفدَوا الدّين بأجسادهم، وتقدّم الأبْطالُ وليس لهم دروعٌ إلاّ صُدورهم الممتلئة باليقين والإيمان، ولسـان حـالهم (فلا نامتْ أعيُن الجبنـاء) وأمْطَـر الخنـازيرُ المجاهدينَ بوابلٍ من الطّلقات والقنابلِ العُنقودية، وأُصيب بَطلُنا القائد إصابةً قاتِلة فقادَ سيّارته بنفسه، واتّجه إلى المستشفى وفي الطريق قابَلَه الشّهيد البطلُ والأسدُ الكبيرُ جمال من الخالدية، فقادَ السيّارة مكانه وأجْلَسه في صندوق السيّارة حيْثُ اشتدّت آلامُه، وأمامَ باب المُستشفى جاء الأمريكان من كلّ حدَب وصوْب ونيران أسلحتهم تحرق كل شيء، واخْترَقَت جسدَ القائد البطلّ عدّة رصاصات لتُعلِن له بدْءَ حياةٍ جديدة خاليةٍ من كل كد ونصب. وليبْقى



أبو فارس مَثَلاً يُحتذى وجبلاً أشم وكانت المفاجأة في الوصية التي ترَكها فبعدَ نصحه لزوْجِه وأولاده، أوصى ألا يسيرَ أخٌ له يعْمَل شرطياً في جنازته ويقول هو بريء من كلّ مَنْ يسمح له، ولتعلم الدنيا أن أبا فارس معلّم خيرٍ وإمامَ هُدى ومِصباح عقيدة حيّاً وميّتاً فرحمك الله يا أبا فارس، فلَقد فُجِعنا فيك والله كثيراً، فلمْ تَر عيْنٌ مثلك وما زال مكانك شاغراً، أسأل الله أن يعوضّنا فيكَ خيراً وأن يرْفَع درجتَك ويُعْلي منزِلَتك كما رُفعت راية الجهاد والتوحيد عالية، آمين.



"كراج" الشهداء (١٤-١٥-١٦)

(الجمعة ٢٧ ربيع الآخر ١٤٢٤)

جليبيب المهاجر (١٤ -١)

الحمدُ لله على كلّ حال، فلا يُحمَد على مكروهٍ سواه، فقدْ يأتي الخيرُ مِن جِهة المكروه، وقد يهبِطُ الشّر معَ عيْن المحبوب، {وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ}، أكتُبُ هذه الكلماتْ وقدْ عُدت لتوّي من كراجِ الشّهداء، كما سمّاه لي أبو مُصعبٍ المهاجر، وبعْدَما لاحَ الصّباح وتكشّفت معه جريمةُ المحتلّ، أكتُب وبينَ يديّ ملابسُ الأبْطال الشّهداء الممزّقة، وقدْ اختلَطَ كثيرٌ منها بالدّماء، فهاهيَ سوداءُ في بيضاءٍ (شماغ)، قدْ رُسِمت عليه بُقعٌ من الدّماء كأنّها زهورٌ في أرضٍ جرْداء. وها هوَ قميصٌ أبْيضُ علَتْه بُقْعةٌ حمْراءُ، بُقْعة دمٍ طاهرٍ مِنْ شهيدٍ، وبنطلون وغياراتٍ داخليّة وأحذية...

جمعْتُ هذه الملابسَ حتى أغسِلَها وأُعيدَها إلى بقيّة المرابطين كي ينْتفعوا بها، والحقّ أنّ نَفْسي تُراودني أن أدَعْها ذكرى "كراج" الشّهداء، ولكي أنْظُر إلى هذهِ الكومة منَ الملابس كلّما قَسا قلْبي، أو لانَتْ عزيمتي، المهم إنّني لمْ أحْزِم أمْري بعْد.



أكتُبُ هذه الكلِمات، ومنظرُ تَطايُر "الكراج"، أحْجارُه؛ حديدُه؛ حيطانُه وسقْفُه أمامَ عينيّ، منظرٌ مُريعٌ ومُهيب، ففي وسَطِ هذا الرّكام أشارَ إليّ أبو ناصر البَطَل قائلاً: هُنا كان أبو مُصعبَ الشّهيد، وبِجواره هذا الجُزْء من الحائِط، سَقَط على رِجْل أبي تُراب، لكنّ الله سلَّم، وخرج أبو تراب بخير؛ أميرُ المجموعةِ المرابِطَة حِذاءَ العدوّ.

وأصْلُ الحادثةِ، أنّه في حوالي السّاعة السّابعة مساءً جاءَ رتْلٌ أمريكيّ مُسْرعاً، وتقدّم جِهة نُقطةِ النُّعيميّة حيثُ توجد للإخوةِ نُقطةُ تفتيشٍ هناك، ثمّ صَبّوا جامَ غَضبِهم على مكان السّيطرة، ولكنّ اللهَ سلّم، ولمَ يُصَب أحد، وانْتَشر الإخوة حِذاء العدوّ، واستعدّوا لصدّه ودحْرِه، كما دَحَروه من نفسِ المكان بالأمس.

وبَدأ الإخوةُ ينتَشرون في جميع أنحاءِ المدينة، ويأخُذُون استعدادَهم، وعلى رأْسِ مَنْ أخَذَ استعداده؛ مجموعةُ الصّناعة، وهيَ بإمرَة القائد عبدِ العزيز مِن بلادِ الحَرمين، حيثُ تكفّلَت هذه المجموعة البَطَلة بحماية أهمّ ثُغور المدينة وأخطَرِها من الجهة الشّرقية، حيثُ يبْعُد مكان الإخوة عن العدوّ حوالي مائةٍ وخمسينَ مِتراً تقريباً، وواضحٌ من كثرةِ الاشتباكِ مع العدو أنّه كان مرصوداً تماماً منْ قِبَل الأمريكان، فلا يوجَدُ خِرم إبرةٍ فيه آمن، والموتُ يُلحّ على كلّ فردٍ فيها صباحَ مساء، فاليوم أبو زَرْعةَ جريحٌ، وبالأمْس أبو محمّد شهيدٌ، وهكذا دَواليْكَ منْذ تحمُّل الأبطال هذا العِبءِ، هذا والعدوّ يقصِفُ المكان



بصُورةٍ مُستمرّة ومتقطّعة، وفي بعضِ الأيام يجْعلُ المكانَ كلّه كأنّه جمرةٌ مُلْتهبةٌ تتطايرُ فيه الشّظايا في كلّ مكان.

منْذُ مدّة حكى لي أبو عُبيدة اللّيبي يقولُ لي: بينَما القَصْف يأتينا من كلّ مكانْ، وصواريخُ الطّائرات الحرْبيّة والقاذِفة "سي ١٣٠" تُدمّر كلّ شيْء حوْلَنا، جريْتُ أنا وبعضُ الإخوة واختبأنا بجوارِ حائطٍ، فإذا بِصاروخٍ ضَخْم ينْزل في البيْت الذي احتَمينا بجِواره، حتّى إنّ صوْتَه كادَ يخْلَع قُلوبَنا، هذا بالطّبع بعدَ أنْ أصَمّ آذاننا.

قال: وفي لحْظة الانفِجار طارَ الحائِطُ الذي اختبأنا بجانِبه، قال: كأنّه شريطٌ تلفزيونيّ، عَلانا الحائطُ حتى إذا تَشَهّدْنا واستَعدّ كلّ واحدٍ منّا للموْت، إذا بالحائطِ ينْزِلُ بَعْدنا، ولمْ يُصَبْ أحدٌ منّا بخَدْشٍ واحِد.

وفي نَفْس اليوْم حدّثَني أبو ناصر، قالْ: وبَيْنَما كُنْت أُصلّي وأحَدُ الإخوة الأبطال، إذا بقذيفةِ دبّابة تُدوّي جانِبَنا، فاختَرَقَتْ شظيّة مُلتهبةٌ يدَ صاحبي، وخَرَجت من الجهة الأُخرى، وقدْ رأيتُ أنا الأخ بعْدَ رُبع ساعةٍ منَ الحادِثة يُضمّد جُرْحه ببيْت الجرحى، وهو يقوْل: "بسرعة..."؛ فما أنْ أنْهى الأخُ تَضميدَه حتى حَمل سِلاحه وعاد إلى أرضِ المعركة.

وحادثةٌ أُخرى يحكيها ليَ أبو ناصر، وأراني مكانَها، وهذا قبْل يومٍ واحدٍ مِنْ حادث "كراج" الشّهداء، يقول: "بينَما نحنُ نصلّي المغرِب أمامَ هذا المنْزل، ومجموعةُ "فلان" في هذا المنْزل"، وأشارَ لي لِعدّة منازل تحيطُ بساحةٍ صغيرة.



قال: "بينما نحنُ نُصلّي إذ بصاروخٍ موجّه ضَخْم يُدوّي في المِنطقة، حتى كادَت تنْفجرُ طبَلة أُذني. فذَهبْتُ ورأيتُ المكان، مكانَ الانْفِجار، والله يا إخواني لا يُصَدّق أنّ انفجاراً كهذا ينْجو مِنْه أحدٌ على بُعْد كيلومترات، فضلاً عنْ أنْ يكونَ على بُعْد أمْتار. رأيتُ حُفْرة عميقةً بقُطْر عَشْرة أمتار، وعمُق ثلاثةِ أمتار، قدْ خَرَج مِنْها الماء، وكانَ الصّاروخ سَقَط في وسط مجموعةٍ مِنَ الأشْجار، فرأيتُ نَخْلة قدْ رماها الانْفجارُ بعيداً، كأنّما خُلِعَت من أُصولها بِعنايةٍ فائقة، ورأيْتُ أبْعدَ مِنْها شجرةَ كافورٍ قد اجتُثَّت مِنْ أُصولها، هذا ولمْ يُصَب أحدٌ بأذى".

وفي ليلةِ كراجِ الشّهداء، وبعْد المِغْرب بِساعة، مَرّ عليّ القائِدُ الشّيخُ أبو مُصْعب، فوجَدَني مُتأهّباً للخُروج، فقال: "عندَكَ شيء؟" قُلْت له: "إلاّ أنْ أذْهَب مع الإخوة، فذَهبْنا جِهَة سيْطرة النُّعيميّة، واقْترَبْنا حتى كنّا على بُعد مائتي مِترٍ منَ الأمريكان، فقُلْت له: الآن يضْرِبوننا، نَدْخل من أمامِهم إلى هذا الشّارع أحسَنْ، فنحْنُ على مرْمى حجَرٍ مِنْهم"، وبالفِعْل دَخلْنا، وبينَما نحْنُ ننْتَقل من مكانٍ إلى آخر، رأيْنا لهباً ضَخْماً أضاءَ المدينةَ كلّها، ثمّ سمِعْنا صوْتاً مُدوّياً يأتي مِنْ جِهَة الصّناعة، وفيْ نفْس اللّحظة سمِعْنا صوْتَ طائرةٍ حرْبيّة في سماءِ المدينة، فعرِفْنا أنّه قصْفُ طائرة، فاتّجَهْنا للْمَكان حيثُ قابَلَنا أحدُ الأبْطال، وأخْبرَنا أنّ الصنّاعة قُصِفَت بالفِعل، وقُصِف أحدُ مقرّات الإخوة، فقُلنا: إنّا لله وإنّا إليه راجِعون، ووجّه القائِدُ الإخوة لإنقاذِ إخوانِهم، وتمّ إرسالُ رافعةٍ



لإنقاذهِمْ مِنْ تَحت الأنْقاض، واتّجه الإخوة مِنْ كلّ مكان لمساعدةِ إخوانهم في رَفْع الأنْقاض.

وحَكى أبُو ذَرّ الفِلسطينيّ، وهو كانَ مِنْ نفسِ المجموعةِ المرابِطة في المكانْ، قال: "جاءَ صاروخٌ فسَقَط في هذا المصْنع"، وأشارَ إلى مصنعٍ أمامَ "الكراج" فأحْرَقه وسَقطَ بجانب السّاتر التّرابي صاروخٌ آخرُ، ثمّ جاءَ إطلاقُ نارٍ كثيف.

وفي تِلْك الأثْناء كانَ الإخوةُ مُنْتشرين، ولكِنْ بالسّلاح الخَفيف، فقال قائدُ المجْموعة أبو تُراب: "يا شَباب خُذوا كامِلَ أسلحتكُم واسْتعدّوا"، فذَهب أكثرُ منْ عَشْرةٍ مِنَ الإخوةِ إلى مخْزن السّلاح، وهوَ عِبارةٌ عَنْ مخزنٍ في "كراج"، وبيْنَما هُمْ في المخْزن، أحَدُهم يحمِلُ قاذِفَته، والآخَر يهُمّ بالخُروج حامِلاً "البيكاسي"، وثالثُ يحمِلُ صواريخَ قاذفَة ورابعُ بقذائِفِ الهاون.

بيْنَما هُمْ على هذا النّحو، جاءَ صاروخٌ ضخْمٌ على نَفْس المكان، فسَقَط السّقْفُ عليْهم جميعاً، استُشْهِد في الحالِ سبْعةٌ، وتمّ إنْقاذُ أرْبعةٍ بأعجُوبة كبيرةٍ، على رأْسِهم أميرُ المجْموعة أبو تُراب، والحَمْد لله على كلّ حال.

هذا؛ والإخوةُ ما زالوا مُرابِطين في المكان، وفي نفْسِ النقْطة، وذَهبْنا جميعاً، فالثّغور لا قَدّر الله لو استوْلى عليها الأعداء، نفَذوا إلى الحيّ الصّناعي بأكْمَله، ومِنْه إلى الفلّوجة، لكنّ شَباب المهاجرين والأنْصار للأمريكان بالمِرْصاد، والقوّة بالله العزيز الحكيم، ولنْ تموتَ نفسٌ حتّى تَستكمِل أجلَها... وإليْكَ سِيرَة هؤلاءِ الشّهداء:



الدّاعية الشّهيد (١٤-٢)

أعْـني بـه الأديبَ الحَبيبَ الدّاعيـة الموفّـق، الـمُجاهد الـمُسدّد، الهيّن اللّين، السّـهْل الـمُبْتسم، البخيت مُحمّـد الكـوبيّ، والـذي تسـمّى في أرضِ الجِهـاد جُلَيبيب.

هذا الرّجُل الفَذّ الذي تَرك الجاهَ والسّلطان، أعْني سُلطانَ العِلْم وجاهَهُ، فقدْ تحرّر مِنْ قُيوده وانْخَلَع مِنْ أغْلال السّمعة والصّيت، وارْتَضى أنْ يصيرَ جُنْدياً مَجهولاً في ثغرٍ مِنَ الثّغور، وبيْنَ سريّة منَ السّرايا. كان شَهيدُنا يسكُن أقْصى جَنوب بِلاد الحَرَمَين في مِنْطقة الرّبْع الخالي، في مدينةٍ اسمُها الوَديعة.

طالبُ عِلْم جيّد، كما إنّه داعيةٌ مُوفّق مُسدّد، الْتزَم واستَقام على يَديه في فترةٍ وجيزةٍ أكثرُ مِنْ سَبْعين رجُلاً.

يقولُ لي أبو تُراب وهوَ منْ نفْسِ منطَقتِه: "يا أخي أنا حَسنةٌ مِنْ حسناتِه، وعلى يَديْـه عَـرِفْت الاسـتقامةَ والالـتزامَ، وبيْنَ يديـهِ تعلّمت دُروسَ التّوحيـد، وبِكلماته وأفْعالِه غَرس فيَ حُبّ الجهادِ والاسْتشهاد"، يقول: "كانَ يتعهّدُنا في كلّ شيْء، كانَ يعْملُ لنا رَحلاتٍ؛ ليْسَ إلى المصايفِ والمتَنزّهات، ولكنْ إلى مكّة والمدينة، ونَعْتكف هُناك بعْضَ الأيام ويُجلسُنا مع الدّعاة والمشايخ، ممّنْ توسّم فيهم حبّ الجهاد والاستشهاد.



مُتزوّجٌ حديثاً، ورُزِقَ قبْل سَفرِه بستّة أشهُرٍ بطِفْلةٍ أسماها سُميّة، راجياً مِنَ المَوْلى أنْ تَكـون على درْبِ سـيّدتها سُميّة الأولى، أرادَ السّـفر دُون أنْ يعلم بـه أحدٌ مِنَ طواغيتِ آل سعود، فسافَر إلى اليمن تهريباً، وهُناك حلَق لِحيته وغيّر مِن شَكْله بعضَ الشّيء، وبينما هوَ يسيرُ في أحد شوارعِ صنْعاء، قابَله أحدُ تلاميذه فعرِفَه، فما كانَ مِنْ صاحِبنا إلاّ أنْ عَرّفه وِجْهته ودعاهُ إلى القُدومِ معه إلى أرضِ العزّة والجهاد. وباليَمن رتّب أوْراق السّفر، وجَهّز نفسه وبدأ الرّحلة لأرضِ الجهـاد، يحلُم أنْ يُمْسـك البُنْدقيّـة، ويُصـوّب بها، وتارةً يحلُم أنّـه يحمِـلُ صاروخاً يدمّر كلّ شيء حولَ الكفّار.

وأخيراً وصَل إلى بلاد الرّافدين، وبَقي مع مجموعةٍ أنصاريّة جِهادية قُرابَة الأسبوعين، ثمّ التَحقَ بإخوانه منَ المهاجرين والمرابطين في الصّف الأوّل. التَحقَ بمجموعةِ القائِد عبد العزيز مباشرةً، وأخذَ يُلحّ للذّهاب إلى الخطّ الأوّل، وتَحت ضغْطِه وإلحاحه تمّ له ما أراد.

ويـوْمَ قُدومِـه، دَخـل المطْبخ، وعمِـل غـداءً للشّـباب، ولأنّـه لمْ يكُن صـاحِبَ خبْرة في الطّهي، أدْرك أنّ الطّعام كانَ أيّ شيءٍ إلا أنّه طعامٌ صالحٌ للأكل، قُلْ مثلاً حجـراً، شـجراً أو عجينـة، المهم قـال: "يا شـباب، أنا أرى أنّ الأكْـل مـا عَجبكُم، خَلاصْ أنا أعـزِمْكم اليـوم على كَبـاب"، ثمّ أعْطى لأبي ذرّ مبلغـاً مِنَ المال، وقال: "ترُوح وتجيب للشّباب كباب ومشاريب وكلّ ما يُحبوه خلاص".
لكنّ القَصْف بدأ مُباشَرةً، وأسْرَع جُليبيب ليأخُذَ رَشّاشه من المخْزن، معَ منْ



أسرعَ، لكنّ الله اصْطَفاه فسَقط ذلكَ الصّاروخ ليلحَق جُليبيب بحبيبِه الصّحابي الجليلْ جُليبيب، والذي كان يحبّه داعيتُنا.

استُشْهد جُليبيب، ولم يضْرب في الخطّ الأوّلِ طلْقةً واحدة، لكنّ الله أبى أنْ يموتَ إلا وأجْرُ الرّباط قدْ انْعقَد له والحمْد لله، أسألُ الله أنْ يُثبّت أهلَهُ ويُنْبت بُنَيّته نَباتاً حَسناً إنّه وليُّ ذلك والقادرُ عليه آمين...



أبو بَصير الإماراتيّ (١٥)

لا زِلْنا معَ أبطالِ "كراج" الشّهداء، والبَطلُ الأغرّ هذِه المرّة، الحَييّ الضّحوك، الموحّدُ الشّديدُ بالله: منصُور الفلاشيّ، شابٌ هادئٌ وسيم، لا تُفارِق البَسْمة وجْهَه، فهُو طلْقُ الوجْه، قلْبُه كأنّه قلْبُ طِفل، لا يعْرِف اللّؤمَ وطُرُقِه ولا يُجيدُ أساليبَ الخِداع وحيَلِها، لذا كان يَتعجّبُ منْها كثيراً إذا سَمِع بها، أو تَعرّض لها، فعِندما كانَ في الطّريق لِبلاد الرّافدين، جَلس في محطّةٍ وسيطة، واستأجَر هو وصَديقُه شَقّةً، ثمّ اكتَشَف بعد ذلك أنّ إيجارَ الشّقة كان عَشْرة أضْعاف ما تستحقّ حسْب سوقِ العقارات في هذه البلْدة، فقالَ سُبْحان الله كنتُ أسمَع أنّ هناكَ نَصْبٌ لكن لم أكُن أتوقّعه إلى هذا الحدّ.

كما أنّه صريحٌ إلى حدٍّ شَديد، صراحةً تتّفقُ مع طِيبة قلْبه وطهارةِ نفْسه وصَفاءِ رُوحه ونقاءِ عقيدَته التي كانَ لا يُراهِنُ عليها قطّ.

جاءَ إلى أرضِ الجهاد هُنا شابٌ من الجزيرةِ اسمُه نايف، وكانَ نايف لا يرى كُفْر الدّولةِ السّعودية، فكانَ كلّما مرّ على نايف يلْعنُ فهداً وعبدَ الله وأقطابَ آل سعود، وكانَ نايف يغضبُ ويقول: اتّقِ الله لا تسُبّهم.

فقال له الشّهيد -نحسبه كذلك-: "يا نايف، إذا والله ما تكفُر بالطّواغيت كما تؤمنُ بالله أحسَنْ لَك ترجِع "إيش جابك"؛ وبالفِعْل رجِعَ نايف بعْدَ عدّة أيامٍ مِنْ دُخول ساحة العزّ وما انْتفع بشيءٍ والله المُستعان.



ومعَ ولائِه وبرائِه هذا، كانَ مصْدر مُتْعة لأصحابِه وإخوانه، فكما يقُول أبو حَمْزةُ، كـان مُنْشـد المجموعـةِ طالما أمتعَهم بصـوتِه الرّقيـق، وكـانت الكلِمـات تنْساب هادئةً جميلةً كأنّه جدْولُ ماءٍ يسيرُ على حبّات لؤلؤٍ رقّةً وصَفاءً.

كانَ الشّهيدُ رحِمه الله مِنْ حمائِم مسْجِد سلمان الفارسيّ، والموجودِ بالقُرب مِن دوّار السّمكةِ في مدينة دُبي.

ويَكْفي أبا بصيرٍ فخراً أنّه تخَلّص مِنْ سَلاسِل الثّروة إلى جِنان الكُهوف، فصوْت الرّصاصِ أحلى وأجْملُ وأمتعُ من عَزْف القِيان، والنّوم بالقُرب من الجُدْران والحوائِط يستَظلّ بها من حرّ الشّمْس أمتَعُ وألذُّ مِنْ برْد المكيّفاتِ وهَفيفِ المراوحِ، وضَيقُ الكُهوف أرْحَب مِنْ سعة القُصور، حتى إنّ صاحِبَنا عنْدما جاءَ لمْ يكُ قطُّ يسْتطيع غسْلَ ملابِسه حتى درّبَه الجهادُ والتقشّفُ والرّغْبة فيما عِنْد الله، فقَد طلّقَها ثلاثاً، وخَرج مِنْ بيْته بحِيلة، حيثُ لا يُمكِن له إلا بِذلك، كانَ بالقُرْب مِنْهم مركزٌ لِتَحفيظ القُرآن يَدخُل إليه الطّالبُ شَهْرين ولا يَخْرج حتى يخْتِم كذا سورةٍ منَ القُرآن وبه إقامةٌ داخليّة، وكانَ أهلُه على عِلمٍ بذلك، فادّعى أنّه ذاهبٌ لهذا المكان، ومِنْ ثَمّ لحِق بِركْب طيّب مَيمونٍ وقَدِم إلى أرضِ العِراق، إلى ساحةِ الجِهاد.

اتّصلَ يوماً ما بأُمّه، فرجع حزيناً وقال: لنْ أتّصِل مرّة أُخرى، فسألَه إخوانُه فقال: لقَدْ أغرَتْني أُمّي بِقَولها: لقد اشتريتُ لكَ السّيارة الفُلانيّة لنوعٍ فارهٍ منَ السّيارات كانَ يُحبُّ أنْ يقْتنيه، فلمّا لمْ يبْد اهتمامَه، انْخَرطَتْ أمّه بالبُكاء



وتَوسّلت إليه بالرّجوع فِتْنَة لهُ، وحاشاهُ لأنْ يُطيعَ أمّه في مَعْصية الله، فالجِهادُ جِهادُ دَفْع واستِئْذانُ الوالِدَين لا مَحِلّ لَه.

وأخيراً مِسْكُ الخِتام، كانَ أبو بَصيرٍ ومِنْ حيثُ لا يَعْلم أحَدٌ مِنَ المحيطينَ به، كانَ قَدْ سَجّل اسمَه في قائِمَة الشّرفِ، سجّل اسمَه ضِمْن طابورِ العمَليّات الاسْتِشْهادية راجياً النّكاية في عدوّ الله.

وكانَ مِنْ حُسْن خاتِمَته أنّه في نَهارِ ليلَة اسْتِشْهاده جلَس مَع أخٍ كُرْديّ في المجموعةِ وقال له: "طوّلْنا في الحياة، ربّ أرزُقْنا الشّهادة"، وكأنّها كانَتْ ساعةَ إجابة، فما أنْ أذّن المغْرِب وأَسْدل اللّيلُ سِتاره حتى طَوى كراجُ الشّهداءِ صَفْحة أبي بَصير ودَرَس مَعالِمَها مِنْ دار الشّقاءِ ليُسجّل اسْمَه في دار السّعادة والبّقاء؛ نَحْسبه والله حسيبُه، بَقيَ أنْ تَعلَم أنّ شَهيدَنا بَقيَ في أرْضَ الجِهاد وحتّى يومَ استِشْهاده قُرابّة الشّهر، نَحْسَبه صَدَق الله فصدَقهُ وأدْرَك في مُدّة وجيزةٍ ما لمْ يُدْركه غيرُه بِسنوات.

نَسألُ الله أنْ يَجْمعنا به في جَنّة عَدْن عِنْد مَليكٍ مُقْتدر آمين...



أبو الحور الأنصاريّ (١٦-١)

شُجاعٌ مِقدامٌ، خَدومٌ مُتواضعٌ، هِمّة عاليةٌ، وعَزيمة لا تلين، أنْصاريٌ من الرّضوانية، له أحَد عَشر أخاً لا يوجدُ فيهم مجاهدٌ، كما حَكى لأحدِ إخوانه، نَظر وهو البَسيطُ فرأى كُفْراً سائداً واحتلالاً مَريراً وبيضةً مُستباحة، سَمع ورأى كما سَمع ملايينُ البَشر كيف تُنْتهكُ أعراضُ بناتِ قَومه، وكيفَ تُداس كرامةُ الرّجال، شاهدَ الرّجالَ عَرايا وهُم يُساقون كقَطيعٍ منَ الأغنامْ، بكى لكنّه أدْرك أنّ البُكاء لا يُعيد العِرْض المُغتصَب، ولا يرفعُ الذّل عن شبابِ وشُيوخ أمّته، فَتح كتابَ الله عزّ وجلّ فوَجد آيات الجهادِ تكادُ لا تخْلو منْها سُورة، توقّف كثيراً عنْدَ قوله تعالى: {وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَـذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا}.

فتَح عليه أبو الوَليد الكويتيّ يوماً بابَ السيّارة فوجَده يسْتمع إلى القُرآن وينْتحبُ كأنّما هُموم الدّنيا أُلقيَت على عاتقِه والدّموع تهطُل على وِجْنتيه. سارَع أبو الحورِ أثْناء حِصار الفلّوجة مع مُجاهدي الرّضْوانية في قطْع الطّريق السّريع، فلَطالما سدّد قاذِفَته نحو أفئِدَة أعداءِ الله. نعَم فلقد كان صاحبُنا رامياً ماهراً بقاذفة RPG7.



كـانَ أبـو الحُور شُـجاعاً لا يكـادُ يعـرِف الخَوف، فمِنْ ظريـف المواقـفِ كـانَ يوماً نائماً في الغُرفة وكـان أبـو عائشـة يُعلّم أبا الحارثِ على "البازوكة"، وقـال لـه: "شـايفْ يا أبا الحارث، الـزّر الأحْمر لا تَـدُس عليـه"، لكن داسّ عليـه أبـو عائشـةَ نفسُه وانْطلقت القَذيفةُ مِن فوقِ رِجْل أبي الحُور فما اهتزّ ولا غَضِب، ثمّ تابَع نوْمه.

استثْقل صاحِبُنا الدّنيا واشتاقَ إلى لِقاء ربّه، فجاءَ إلى الإخْوة وسجّل نفْسهُ لعَملية اسْتشـهاديّة، وأخَذ يُعدّ الأيامَ ويحسِبُ اللّحَظات، ويَعيشُ على حُلم أنْ يأتيَ المسْؤولُ إليه قائلاً: حانَ دورُك.

أذْكُـر أنّـه كـان يقـولُ لي كثـيراً: "أنا يا أخي أعـرفُ أنْ أسـوقَ السّـيارات الصّغيرة والكبيرة، ثمّ إنّه تُوجد مواقِعُ لا بُدّ فيها مِنْ عِراقيين". كلّ ذلِك ليُغْري المسؤولَ ليُقدّم دوْرَه في العمليّة الاسْتشهاديّة. جاءَ يوماً لأميرِ مفْرَزته أبي أحمَد فرِحـاً مسـروراً كأنّما سيُزفّ غـداً يقـول: "أُبشّـرك يا أبا أحمد، واحـد تَـبرّع لي بسيّارة لكي تُفَخّخ وأكونَ أنا قائدَها"، غيرَ أنّه استرجَع وقـال: "ليتَهـا كـانت "داينا"، ليتَها كانَت شاحِنة".

كـان الرّجُل آيةً في الخِدْمة والتّواضُع، وصاحِبَ همّة عاليةٍ لا تـراهُ إلا خادماً لإخوانه في مأكلِهم ومشربِهم، أما عن الحِراسة والرّباط فحَدّث ولا حَـرج، لم أرَهُ إلا ويلبَسُ الجَعْبَـة وكأنّها وِسـامُ شـرَفٍ وشـجاعةٍ على صـدْره، وهي والله كذلك.



كان عِنْده مِنَ العزيمة للجهاد ما يَعْجَبُ له المرء، جاء إليه أحدُ إخوَته مرّة لزِيارتـه فتهـرّب منـهُ وقـال: "أرْجِعـوه لا أُريـد أنْ أراهُ، هـوَ لا يُحبّ الجهـادَ والمجاهدين، لماذا جاءْ؟ جاءَ لكيْ أرجِع أكيد، قولوا له مِشْ موجود هنا". لله درّك يا أبا الحور!! في أيّ مدْرسـةٍ تعلّمت الـوَلاء والـبراء؟ وعلى يـدَيْ منْ تعلّمْت كيـفَ تُحبّ وتبْغضُ في الله؟ ومن أيّ قِسْـم من أقسامِ كليّـات الشّـريعة تخرّجْت؟ أم أنّه الجهاد، {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا}.

وعنْدما آنَ للفارس أنْ يترجّل نَزل عنْ فرَسِه وراحَ ليأخُذَ قاذفته من المخْزن - في "كـراج" الشّـهداء -، فكـانت الإرادةُ الإلهية في انْتظاره، وجائزةُ العقيدةِ والشّـجاعة والخِدْمـة أمـامَ عَيْنـه في جنّـة صـدْق عنْـد مليـكٍ مُقْتـدر، نَحْسـبه والله حَسيبُه.



أبو تُراب النجديّ (١٦-٢)

الأميرُ الخادِم، و الدّاعيةُ الـمُوفّق، الهيّنُ اللّين والزّاهِدُ الورِع، الحييّ المؤدّب، كانَ أميراً للأخْوة في الصّناعة من جِهة "السّكراب"، و بِموازاة سيْطرة الفلّوجة على الطّريق السّريع.

وكُنْت مَع أبي تُراب منْذ أوّل يومٍ أُسّست فيهِ هذه الجبْهة، فَقد اتّخذ أميرُ جماعةِ التّوحيد والجِهاد في ذلكَ الوقْت قراراً بالسّيطرةِ على خمْسِ مدنٍ وفي ساعةٍ واحدة لا في يومٍ واحد. والمدُن هيَ الموْصل وبعقوبة وسامرّاء والرّمادي والفلّوجة الّتي كانَتْ بيدِ المجاهدين لكنّ الطّريق السّريع المحاذي كانتْ تمُرّ عليه أرتالُ اليهود، فتلقّينا الأوامْر بقَطعِه.

وتمّ ذلك، وأذْكُر مِنْ تلْك المواقِف أنّه بَعد عدّة أيامٍ سيْطَرنا على بيتٍ مُواجِه للسّيطَرة سابِقَة الذّكر، وتمّ عَملُ فتْحةٍ صَغيرة في جِدارٍ يُطلّ على الأمريكان، نَراهُم ولا يَرونا، ومِنْ تلك الفَتحة أذْكُر أنّنا أهلَكناهُم بالقَنْص، وأيضاً كانَت تَسْمحُ هذه الفَتحةُ لِرماية القاذِفة، فضَربْنا منها مرّة أو مرّتين بالقاذفة، وكانَ هو عينُ الخَطأ لعدّة أسبابٍ؛ منْها أنّ الفتْحة التي تَسْمحُ لِرماية القاذِفة تكونُ كبيرةً جِدّا بالمقارنة بِفَتْحة القنْص، ولأنّ صَوْت القاذفةِ مُرتفعٌ جِدّا ممّا يُحدّد مَكان الرّماية، وكذلك للقاذِفة هَبّة خَلْفيّة، ويُصاحِبُ خُروج القَذيفة غُبارٌ، وهذا أيْضا يُحدّد المكان.



المهم خرَجْت أرْمي بالقَنّاصة من الفتْحة فلَمْ أُصِب هدَفي، إلاّ أنّ العِلْج رمى بِنفْسه على الأرض، ولا أدْري لِيَوْمي هلْ منَ إصابةٍ أم خوْف.

وبَدا بَعدها لأبي تُرابٍ أنْ يرْمي بالقاذفة، وبيْنما كانَ يُسدّد قلتُ له: انتبه، أخْرِجْ القاذفة كِفاية إلى الأمام وحتى لا تَصْطدم مِرْوحةُ القَذيفةِ بالحائطِ حالَ انطلاقها. ونفّذ الرّجُل ما قُلْت وكانَ هذا مِنْ تمامِ معرفة العدوّ بنا وتَحْديد مكانِنا. وبيْنما كانَ يُسدّدُ دَوى انْفجارٌ ضَخْمٌ أمامَ عَيْنه فلَق الحائِط وفَتح به فتْحة ضَخْمة، ظَنَنْتُ أنا لأوّل وهْلةٍ أنّ المقْذوف انْفَجر على صاحِبي، ولأنّ الغُبارَ والدّخانَ مَلأ المكان،لمْ أتَبيّن ما حَدثَ لأخي وما هيَ إلا لحَظات إلا و أبو تُراب في يَده القاذفةُ يبْتسمُ و يقولُ لنا بَسيطة سلّم الله.

فقَد رأتْهُ الدّبابةُ المُواجهة لهُ وكانَت على بُعد ثلاثمائة مترٍ تَقريباً وسَدّدت للفَتْحة قذيفتين، لكنِ الأولى والأقْربُ جاءَتْ على بُعْد مِتر مِنْ أبي تُراب، وفَتحَت فيه فَتْحةً كَبيرةً ثمّ واصَلَتْ القذيفةُ مَسارَ مَسافةَ أربعينَ مِتراً لتَخْترق جِداراً أخَر، وكانَت لِغُرفة المبِيت ولتنفَجر هُناك، لكنَ الله سلّم، فَقدْ جُرِحَ أخوين بِجراح مُتوسّطة، جُرح أبو بِلال الجَزائريّ في رِجْله اليمين وأبو زَرْعة في كَتِفه.

وتمّ تَعيين أبو تُرابٍ أميراً لهذا الموقع الحسّاس، وقَد كانَ نِعْم الأمير، فما زالَ منْظرُه أمامَ عينيّ بنِظّارته يتَدلّى مِنْها خَيطان يَحمِلانها كأنّه كبيرٌ في السّن، على الرّغم أنّه لمْ يتَجاوز السّابعة والعِشْرين، ولم يكُن أبو تُراب أبداً أميراً على إخوانه بلْ خادماً لهُم.



فقَدْ كانَ يتَعهّدُهم بالماءِ البارِد ويدُور عليْهم يَسْقيهم، ويَذْهبُ يأتي بالطّعام ويَهْتمّ به، وفي الحِراسةِ يأخُذ أشدّ السّاعات خطراً، وقدْ كانتْ السّاعةُ الّتي تَكونُ معَ الفَجْر حيثُ يَعْتاد المجرِمون التّسلّل والهُجوم.

وأذْكُر يوماً حادثَةً لمْ أكُنْ فيها -أي بداخلها- وإنْ كنْتُ بجانِبهم، حدَث أنّ العدوّ قَصف هذه النّقطة بِكثافةٍ عَنيفةٍ مُنْذ الصّباح الباكر، وانْتَشر الأخْوةُ في خَطٍّ قتاليّ مُواجهٍ للخَصْم، واسْتمرّ القَصْفُ عَنيفاً مِن الصّباح إلى قُرابةِ العصْرِ معَ رِمايةٍ كَثيفة للرّمان الـمُتشظّي وصوتُ "البكّتا" الأمريكيّ سيّدُ الموْقف، فكأنّهم أوْصَلُوها بتِرْعة ماءٍ فلا تهدأُ الرّماية ولا ينْتهي الإطلاق، وكانَ الجوّ حاراً جداً مع ارتفاعٍ رهيبٍ للرّطُوبة في الجوّ، و أصابَ الأخوةَ في مرابِضهم عطشٌ شَديد، واستمرّوا على ذلِك إلى الظُّهر تقريباً، ولا يستطيعُ أحدٌ أنْ يرْفَع رأسهُ مِن شِدّة القَصْف والرّماية، فقَطْ تربُّصٌ حتّى إذا حاولَ العدوّ التّقدّم يتِمّ تَدْميره.

لكنّ العطَش اشتَدّ ولمْ يعُدْ بالإخوة طاقة، فتَسلّل أميرُهم ووفّقَه الله وخَرج مِنَ مَوضعِ الخطر، ثُمّ جاءَ بماءٍ باردٍ وأخَذ يطُوفُ على الإخْوة وكُلّما جاءَ إلى مجموعةٍ ليَسْقيهم، آثَروا الّتي بجانبهم، ولأنّ ما حمَلَه الأخُ كانَ قليلاً نَظراً لصُعوبة الطّريق مِنْ زحْف وغيرِه، فظلّ يطُوف على الإخوة وهكذا دَوالَيكَ، كلّ واحدةٍ تؤثرُ الأُخْرى بالماء، وامتنعُ أميرهم رغمَ عطَشه أنْ يشْرب حتّى شرِب إخوانه.



ولما أُصيبَ الأخُ في "كراج" الشّهداء سابِق الذّكر مع إخْوانه، نُقِلَ إلى مُسْتشفى الفلّوجة، وهُناك تَكفّل به أبو ياسر الأنْصاريّ، حتى لا يُكثِر الأخْوةُ العَربُ منَ الذّهاب إلى المستشْفى، والّذى كانَ وضْعُه أصْلاً حسّاساً، ودَخل أبوْ تُراب في غَيبوبةٍ عدّة مرّاتٍ ثمّ يُفيقُ، وفي كلّ مرّة كانَ يُبْكي مَنْ حَوْله، فكُلّما فاقَ مِنْ غَيْبوبته سأَل مَنْ بِجواره: "الأخوةُ هلْ تَغدّوا؟ مَنْ أرْسَل لهم الطّعام؟ ماذا أرْسلْتُم لهُم"، ثمّ يدخُل في غيْبوبتِه ويُفِيقُ بعد فترة يقول: "الإخوةُ ما عنْدهم ماء بارد، بالله عليكُم أرْسِلوا إليهم الثّلج، الحرّ شديدٌ لا تَنْسوهُم بالله علَيْكُم"؛ هكَذا مَنْ عاشَ على شيءٍ ماتَ عليه، حتى أرادَهُ الله إلى جِوار مَنْ اختارهُم قبْله، أفاقَ في هذا اليَوم أحْسَن ما يكون، حتى ظَنّ الجَميعُ أنّه بَرِأ مِنْ جُرْحه، ثمّ رَفع سبَابته وقال: "أشْهدُ أنْ لا إلهَ إلاّ الله، وأنّ مُحمّداً رَسُول الله".

فنَحسبُ أنَّ أبا تُراب صَدَق فيه حديثُ النّبي ﷺ: "مَنْ كانَ آخرُ كلامِه مِن الدّنيا لا إلهَ إلاّ الله دَخل الجنة"، فرَحْمةُ الله على أبي تُراب رحْمةً واسِعةً، والله لولا خَشْية الإطالة لوَقفْتُ على حياةِ هذا الدّاعية، وكيفَ كانَ يجْمعُ إخوانَهُ في الجَبْهة ويُعْطى أو يقرأ عليْهم مِنْ فِقْه الجِهاد، على تواضع الرّجل وقِصَصه الكثيرة في ذلك، ولكِنْ نحسَبُ أنّ الرّجُل قَدْ سُجّل لهُ كُلّ ذلك عِنْد من لا يَضيعُ عنْده شيء، ولكنّ البائسَ الكاتبُ، أسألُ اللهَ أنْ يعفُوَ عنّا وأنْ يَغفر لنا إنّه هو الغفُور الرّحيم...



الشّيخ المُجاهد (١٧)

هو الشّيخُ المُجرّب، والأسَد المحنّك، والأبُ الحَنون، والصّديقُ الرّفيق، والسّهلُ الهيّن المُتواضع، أبو حمزةَ الشّاميّ.

من مدينة حلَب، هاجَر أبوهُ من تُركيا إبّان الاضطِهاد الدّيني أيام الهالك "كمال أتاتورك"، ولذا كانَ يُتْقن التّركيّة لُغَة أبيه، ذاكَ الجَبل الذي غَرس في نفس ابْنه - كما حدثني هو - حُبّ الدّين وأهله، وقِيَم الإباء والشّموخ، وأهمّ شيْء عَشِقه؛ السّلاحَ والقَنْص.

حدّثني أنّ أباه لما بَلغَ به الكِبَر عِتيّاً، أراد أبناؤه أنْ يروِّحوا عنهُ بعْض الشّيء، فأخَذوه في نُزهةِ صيْد لِما يعلموا عنهُ من سابِق عهْده بهذا الأمر، فلمّا رأى الشّبابَ يتبارَون أمامَ الهدف، قال لأحدِهم أعطني بُندقيتك، فضحِك الشّاب من الشّيخ، وحتّى ابنُه ما أحْسَن الظّن بأبيه، فظنّهُ قد نَسيَ ما شاخَ عليه، وكانَ أمامَ الشّيخ عُلبةٌ معدنيّة، فقال لابنِه ألْقِها في الهواء، وإذا بالشّيخ وكأنّه عاد ابنَ العِشْرين رَبيعاً يُسدّد بخِفّة ورشاقة على العُلبة ليُصِيبَ كَبِدها، ويُسلّم البُنْدقية لولدِه تاركاً الشّباب في دَهْشة لما رأوا، فعِنْد هذا الوالد وبَيْن يَديْه نَشَأ شَيخُنا، وعلى يَديْه تَدرّب على السّلاح بكافّة أصْنافه وخاصّة الخفيفَ منهُ، والّذي ما خَلا قطّ منهُ بيتهم، وعلى حدّ تَعبير أبي حمزة حتّى في أحْلَك المِحَن أيّام أحداث حَماه وحَلب، تِلْك الأحداثُ الأليمةُ، والّتي شاءَ طواغيتُ العَرَب



أنْ يسْكُبوا عليها النّسيان، نِسْيان الحِقْد الباطني العَلَويّ ضدّ أهل السّنة، نِسيانَ الذّل والمهانة، وفَقْد الأهلِ والولد.

هذا ومازال أبطالُ القصّة يَعيشُون بيْننا أمثالُ أبي حَمزة وغيرهم في سُجون الطّاغية المُتجبّر الهالك "حافِظْ النّعجة"، ومِنْ بَعدِه عدوّ الله ابنُه "بشّار".

وعلى ذِكْر الأخوةِ في سُجون الطّاغية الباطنيّ النُّصيري، أجِدُ من الأمانةِ أنْ أذكُرَ قِصّةً حدَثتْ مع أخي أبي مُحمّد المِصْري، شهيدُ عَيْن الحُلْوة، ومعَ أخي أبي صالح الأسير فكّ اللهُ أسْره؛ وخُلاصَة الأمر أنّه لما سُجِن الأخَوين ومَعهُما مجموعةٌ من الأخْوة في قَضيّةٍ تتعلّقُ بعملٍ جِهاديّ ضِدّ قِطْعان اليهود بالأردنّ، أَدْخَلوا أبا صالح خطأً على مجْموعةٍ مِنَ الأشْباح، في مكانٍ ما يصعُبُ وصْفه من هَول الصّدمة، المُهم مكانٌ ما وجَد فيه أشْباهَ بَشَر، وأناساً يجلسونَ القُرفُصاء ليسَ عليْهم إلا ما يَستُر سَوْءتهم، شُعورٌ طويلةٌ جداً، وأظافرُ كأنّها مخالبُ وحْش، ورائِحةُ الجِيَف تفُوح من كلّ شيْء، وصَمْتٌ مُطبِق، ورجُلٌ بِسلاحٍ وبِيَده سَوْط يجْلسُ أمامَهم لكنّه بعيدٌ عنْهُم، وحتّى لا يتأذّى بالرّائحة، وأدْخَلوا صاحِبي على هذا المكان.

قال: "فلمّا رأيتُهم، سَقَط فُؤادي في قدَميّ، وشَعرتُ بِخَوفٍ خَلَع أطْرافي منْ مَكانها وأجْلَسوني بجانب أحَدِهم".



فاسْتَرَقْتُ الطّرفَ وحاوَلْتُ أن أُكلّم أحَدَهُم، فما مِنْ مُجيب، وحاولْتُ أُخْرى فما مِنْ مُجيب، اللّهم إلا دُموعٌ تَحجّرتْ تماماً كَتحجُّر أطْرافِهم، كلّ شَيْء ساكنٌ صامِتْ.

وبعْدَ عدّة ساعات نادَوا عَليه وأخْرَجُوه، وفَهِم بَعْدها أنّه دَخَل بالخطأ، وأنّ ما رآهُ ليْسَ مَنْظراً مِنْ أهوالِ يوم القيامة، وأنّه حقاً لم يَكُن بِغَيبوبةٍ أو كابوسٍ مُؤلِمٍ مُزْعج، ولكِنْ ما رآه كانوا أخوةٌ لَهُ يوماً ما مِنَ الدّهْر مُنْذ أكثَرَ مِنْ عِشْرين سَنَةً قالوا (لا إله إلا الله) في حَماه وغيرها، ومِنْ ساعَتِها إلى يَومِنا هذا، وهُم في وَضْعهم الذي رآه، لا كَلامْ لا شَيْءَ، لا شَمْس لا لا لا...

والثّانيةُ أنّ أخي أبا مُحمّد حدّثني: قال "لـمّا دَخَلْت السّجن كُنْت ما زِلْتُ غَبيّاً!، وحقّاً أحْمقاً جاهلاً"، قال "أذّن للفَجْر، فانْتَظرْت حتى كادَتْ الشّمْس أنْ تَخْرُج فطَرقْتُ الباب"، وأخَذَ صاحبي نَفساً طَويلاً أيْ شَهْقة مؤلمةً قائلاً "لا أدْري أطَرَقْتُ بابَ السّجْن أمْ بابَ الجحيم، وعلى الفَوْر جاءَت كِلابُهم مِنْ كُلّ حَدَب وصَوْب يتَعجّبون مِنْ ذاكَ الكائِن الغَريب والمخلوقِ الفَريد الذي استطاعَ أنْ يَطْرُق بابَ السّجن دونَ أنْ يُفتَح له وقَبْل ميعاده"، قالوا له" مالَكْ؟ وقبل أن يُعطوه الجَزاء، قالَ المِسكين: "صلاةُ الفجْر"، فَضحكُوا وضَحكُوا ثم أمسَك بِه جبّارُهم العَنيد ورَفع صَوتَه النّشاز قائلاً له وعُذراً "يا ابْنَ الكَلْب، صَلاة الفجْر آيه إحْنا كُفّار كُفّار فاهِم يَعني إيه إحنا كُفّار"، طبْعا بلهجَتهم العامّية.



ثُمّ أخَذ عدوّ الله يَضْرب أخي رحِمَه الله على أُذنه حتّى سالَ الدّم غَزيراً مِنْها، ومِن كثيرٍ من جِسْمه ثمّ تَركوه جُثّة هامدةً وانْصَرَفوا يَضْحكون. هذا هُوَ نِظامُ "البعْث"، وإلى يومِنا هذا وحتى لا يَظنّ أحدٌ خَيراً بِعدوّ الله "بَشّار" فهُو طاغيةٌ بنُ طاغية.

وعَودةٌ إلى شَيخِنا أبي حمزةَ، فَقدْ ساقَني ذِكْرُ أنّه شارَك في أحداثِ حماة، مأساةَ إخوانِه وإلى يومِنا هذا في سجون الطّواغيت. وأبو حَمْزة نَفسُه خَبِر هذا العَذاب لكنْ في قضيّة بَسيطَة جِداً مَكثَ عليها في سُجونِهم حيناً مِنَ الدّهر.

وكُنْت أجْلِس في أثناءِ حرْبِنا في الفلّوجة الثّانية معَ الشّيخ، وأطْلُب مِنْه أن يُحدّثني عن الأحداثِ في حلَب وحَماة، والحمْدُ لله سَردَها لي مِنْ أوّلها إلى قبْل نِهايتِها، ثُمّ في الأخير قال لي: "قرأْتَ كتابَ التّجربة السّورية لأبي مُصْعب السّوري؟"، قُلت "تقريباً نعَم الطّبعة القديمة المختصرةَ قرأتُها، والجديدةُ ليسَ كلّها"، قال: "عُموماً، الرّجُل أنْصَف في هذا الكتاب، وخَيرُ مَنْ كَتب في هذا الموضوع، وهذِه شَهادةُ شاهِدٍ على عَصْر الكِتاب".

ولمّا جاءَتْ دَوْلة الطّالبان هاجَر شَيخُنا إليها بِحيَلٍ وحِيَل، حيثُ أنّه مَمْنوعٌ مِنَ السّفر، وهُناكَ قاتَل إلى جِوار إخوانِه كلاً مِنَ التّحالُف الشّمالي والشّيعة المِلاعين في "باميان" وغيرها. وهُوَ الشّيخُ الكبير، فسَكَب بِعطْفه الحَنان على الشّباب فأحبّوه، ورَأَوا فِيْه الأبَ والأخَ الكَبيْر والصّديق الوَفِيّ، ولمّا انْهارَتْ دَوْلةُ الإسلام على أيدِ الخوَنة في حكومة الباكستان لا على أيْدِ الأمريكان فَحسْب، رَفَض وهُو العاشِقُ للجهاد وأهْلِه العَوْدَة إلى سُوريا ولو بِجَواز سَفرٍ



مزوّر كما عَرضَ عليهِ أحدُ أقارِبه، بلْ رَحل شَيخُنا إلى ساحَة أُخرى منْ ساحاتِ الجِهاد، ذَهبَ إلى مِنْطقة شَمال العراق "كردستان" يُقاتل عَدوّ الله "الطالباني" وحِزْبه الإلحاديّ المُجْرم، وأستمَرّ مَعهُم حتّى دُخول الأمْريكان.

ومِنْ ثَمّ عاوَد جِهادَ الأمْريكان، ولكن في الفلّوجة، والتي بها تَعرّفت على شَيْخنا، فَرأيْتُ شيَخاً عَجيباً، لا يَكِلّ عن العَمل، لا في حَرّ الشّمْس ولا تَحْت وابِل القَصْف.

فاقْتَرَبْتُ مِنه أكْثَر، فإذا به عسكريٌّ عَبْقري مُحنّك، فعَجِبْت كيفَ أمثالي يكونُ لهُم رأيٌ في الحرْب وهذا الكنْزُ ليس فيها، فتم إلحاقه بمِجْلس الشّورى العَسْكريّ.

وكانَ شيخُنا صِفَتُه الصّمت إلا إذا سُئِل، فإذا تَكلّم تقَطّرت خِبْرتُه مِنْ بَيْن ثَناياه، وعَلِمْت حقاً أنّ الرّجُل يَعشَق البارود طَيّبا. ثُمّ دارَت رُحى الحَرْب في الفلّوجة الثانية، وكانَ نَصيبُ شَيخِنا إلى جِواري مَع زُمرة مِن الأشاوِس في حيّ "نزّال"، وهُناك كانَ عاشِقُ القّنّاصة لا يُفارِق مَحْبوبَته، فَهي "دراغانوف" روسية الصّنع، مِنْظارُها مُصفّر جَيّدا، يتَنقّل بها مِنْ سَطْح إلى آخرَ لعلّه يَصْطادُ جُرذوناً مِنَ الأمريكان.

ثمّ اشْتَدّت رَحا الحرْب أكْثَر و أكثَر وتمّ اقْتِحام نَزّال مِنْ قِبَل العَدوّ، وأيْضاً انْحَزْتُ معَ أبي حمزةَ وعلى الرّغم أنَ الرّجُل كانَ في الخامِسَة والخَمْسين مِنَ العُمْر، إلاّ أنّه كانَ يقْفز مِنْ فَوْق الجُدْران مِنْ سُورٍ إلى سُور، ورأيْتُ رَشاقَتهُ



وخِفّته، قُلْت صَدَق القائل "جَوارِحُ حَفِظْناها في الصّغَر فحَفِظَتنا في الكِبَر"؛ وإليكَ يا أخي لَقْطةً مِنْ لَقطاتِ العِزّ والجهاد مع شَيْخنا.

فَقدْ انْحاز هُوَ ومجموعةٌ مِنَ الأخوة إلى أحَد البُيوتِ عَلى حَسْب الخُطّة المرْسُومة لذلك وكانوا بالطّابق الثّاني، وأتّفق هوَ و أبو جَعْفر على أمْر؛ أنّه إذا دَخل الأمريكان يُفتّشونَ البَيْت لا يَرمي كلّ الأخوة حتّى لا تُسْتَهلك كمّيةٌ كَبِيرةٌ مِنَ الذّخيرة في غَيْرِ مَوْضِعها المناسب، وحتّى لا يَرْمي الأخْوةُ بَعضَهُم البَعْض، وخاصّة إذا تقدّم المجاهدون نَحو العدوّ.

ولمْ يَنْتهوا بعدُ مِنْ كلامهم، حتىّ جاءَ الأمريكانُ إلى هذا البَيت وصَعَد جُنْديّ إلى الطّابق العُلْويّ لِتفْتيشه يَتْبعُه قِطعانُ الجرذان، فما أنْ رأى أبو حمزةَ عَدوّ الله حتّى أمْطَره بوابِلٍ سَقطَ إثْرها أمامَه كأنّه عُذْرة سَقطَت في بِئْر.

ثمّ تَقدّم هُو وأبو جَعْفر وأمْطروا قَطيع الجُرذان خَلفَه بِوابلٍ مِن الرّصاص فَفرّوا بِجِراحهم، ولكنّ عَدوّ الله المقْتول بَقيَ عِنْد الأخوة.

غَنِم أبو حمزةَ و الأخوة سِلاحَهُ وجُعْبَته، لكنّ الشّيخَ آثَر أبا جَعْفر بالسّلاح، ومَضَتْ المعْركةُ في هذا اليَوْم حامِيَةً مِنْ بَيْت إلى بَيْت، حتّى عَلا شَيْخُنا أبو حمزةَ سَطْح أحَدِ البُيوت ليَعْبُر مِنْه إلى بيتٍ آخَر، فكان لقائه مع قدّر الله، حيثُ التقطّه قنّاصٌ أمريكيّ يحتلّ سَطْح بيتٍ مُجاور أعلى مِنه فترجّل الشّيخُ في الحال.



وحّزِن الجَميعُ لِفَقْده، فَقدْ كانَ أبو حَمْزةَ وكان، لكِنّ الظّرْفَ والوَقْت لا مجال فيه للبُكاء ولا الأحزان، فالحَرْبُ تَطْحنُ الشّبابَ طَحْنا، ومَضى الشّبابُ تارِكينَ خَلْفهُم الشَيخَ والغُصّة في حُلوقِهم، لكنّ هذا كانَ هيّناً إذ قُورِن بما الذي نَكتَ في قَلْبي حُرْقةً وحَسْرة وإلى يومِنا هذا، وأكيدٌ سَتمُوت مَعي وحَتى أُحاجِجَ أمّتي بعُلمائِها يَومَ القِيامة.

فقَد استَقرّ بِنا الحالُ في بيتٍ آخَر مَع مجمُوعةٍ مِنْ أفاضِل الأخوةِ وأرْسلْنا الـمُجاهدَ أبا الزّبير اللّيبي إلى جسّد الشّيخ ليُحاولَ دَفْنها لكنّ الرّجُل وبِشقّ الأنْفُس اسْتَطاعَ فَقطْ أنْ يَتأكّد مِنْ وفاةِ الشّيخ ويأتِينا بِبَعْض أغراضِه الشّخصيّة التي كانَتْ في جَيْبيه. على أمَلِ أنْ نَعود إليه مرّة أُخْرى رَيثَما تَتحسّنُ الأحوال، لكنّها ساءَتْ ولا حول ولا قوّة إلا بالله، فَقدْ جاءَ القَنّاصَة إلى رأسِ الفَرْع الذي يَفْصِلُ بيْنَ بَيتَيْنا، مع دبّابة تحصّنتْ في نَفْس المَنْطقة أيضاً فما استَطعْنا إليه سبيلا؛ وبقي هكذا عدّة أيّام ونَحْنُ نَنْظر إليْهِ لا نَسْتطيعُ أنْ نُوارِيَ أخانا، تأكُلُنا الحَسْرةُ ويقْطَع أكبادَنا الألم، ونبْكي على ما آلتْ إليه الأحوالُ بِخُذْلان الأمّة.

وحينئذٍ كَتبْتُ قَصيدتي "المِحْنة"، أشَرْتُ في بَعْض أبياتها إلى قِصّة الجُثّة، ثُمّ أرْدَفتُها بِقصيدةٍ عنْ أخي وشَيخي أبي حَمْزةَ وكانَتْ كُنْيتهُ الحقيقيَة "أبو عبدو":

لهَفي عَليْك أبا عَبدو *** بَطلٌ مُجربٌ يَعْدو

عِنْد الشّدائِد ألفٌ *** لله دَرّك ... جدٌّ

قَعِد الشّبابُ و قُمْتَ *** بِواجِب الدّين تجُدّ



كُنْت المُعلّم والمُربّي *** أباً حَنُوناً.. لا يَشُدّ

يرْقى الشّريفُ لِحَتْفه *** والعَبْدُ للحَضيض يَعْدو

النّاسُ تبْعثُ جِيفَةً *** والمِسْكُ طِيبُك تَغْدو

الله يَرفعُ قَدْرَك *** كَما رَفعْت الدّين جدُّ



أبو نصر (١٨)

عودٌ زادَهُ الإحراق طيباً، وأَسَدٌ سُمِعَ زئيرُهُ في ساحاتِ الوغى، وتقيٌّ عُرِفَ ثباتُهُ عندَ تلاطُمِ المحن، يبتسمُ عند البلايا ويضحكُ إذا وطئتهُ بأظفارها، عابدٌ عارفٌ بربّه، شُجاعٌ مغوارٌ لا يعرفُ الخوفَ ولا الخوف يعرفُهُ، لبيبٌ عبقريٌّ حكيمٌ، قياديٌ إداريٌّ منظّم.

وما زلتُ أذكرُ تلكَ الابتسامة السّاحرة الّتي تعلو وجهَهُ وهو يدخلُ عليّ يرتدي طاقيةً بيضاءَ وعليهِ معطفٌ طويلٌ يحتضنُ رشّاشه، تنسابُ الكلماتُ من فمهِ كالماء البارد من فم السّقّاء في يوم حارّ، فتقعُ على نفسي وقلبي وَقْعَ السِّحْر، فينتابني العجب: أينَ كانَ؟ ومتى ظهرَ نجمهُ؟ ومن هو؟.

هو صيدليّ مصريّ، مِنْ إحدى قرى صعيد مصر، أنهى دراسته في كليّة طبّ الصّيدلة، وكان قبلها وبعدها يجلسُ القرفصاء أمامَ العلماء يشربُ بشغفٍ من عيونِ التّوحيد، فيزدادُ نقاوةً ونضارةً وترتسمُ على وجههِ الحيرةُ والأسى على حالِهِ قائلاً: إذن لا بُدّ من الجهادِ ولا طريق غيرُهُ، فطواغيتُ الأرضِ تجبّرت وعنادهُم فاقَ فرعون وهامان، وكُفْرهُم يبرأُ منه إبليس، وكثيراً ما كانت العيونُ تدمعُ والنّحيب يعلو على نفسهِ: أينَ أنا؟ وماذا قدّمتُ؟ وماذا يمكنني أن أفعل؟.

سافرَ إلى أرضِ الجزيرة وهناكَ عملَ طبيباً صيدليّاً ثمّ تزوّج من ابنة أَحَد رموز الحركة الجهاديّة قديماً ورُزِقَ منها بطفلين، وهو طوالَ هذه الفترة



يبحثُ عن الجهادِ وأهلِهِ، فقد سئمَ جلساتُ الحوار السّاخنة الّتي كانت تُقامُ في بيتِ عمّه عن الجهادِ وعيوبِ الجماعات، وكرهَ علم الجرح والتّعديل في رموز الأمّة كما ادّعى هؤلاء، وكلّما جَلَسُوا بدؤوا وانتهوا في نفسِ الموضوع، جدالٌ عقيمٌ وعقولٌ عشعشَ فيها الضّعف وصارَ شعارُ المرحلة: تكلّم ولا تعمل.

أخذَ إجازة عمل وتركَ زوجتَهُ مع والدها بعدما ودّعته والبكاءُ يملأُ عينها فهو كلّ ما لها، فقد ملأَ فؤادها وهي كذلك، لكنّهما اتّفقا على الجهادِ طريقاً وعَرَفَا أن التّضحية لا بُدّ أن تكونَ شعاراً.

فالزّوجُ الوفيّ والولدُ البارّ والوظيفةُ الجيّدة والمسكنُ الجميلُ ما كانوا أبداً من وسائل العُلَى في الجنان، ولن يقيموا للدّينِ أركاناً، كتمَ صاحبي الزّفرة في قلبهِ، وجفّفَ الدّمعة في مُقلته، وودّعَ زوجتهُ ووَلَدَاهُ متجلداً وشعاره: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ (طه: من الآية ٨٤).

وحطّ الحبيبُ رِحَالَهُ في منطقة (الجبيل)، وعرفَ المرادَ منه لأوّل وهلة فأخذ يطوفُ على مجاميعِ المهاجرينَ والأنصار، يُرتّلُ عليهم القرآن ويُلقي دروسَ التّوحيْد مُستخدماً ما أنعمَ اللهُ عليه من حُسْنِ العبارة ولطيفِ الإشارة.

وفي صبيحة يومٍ مُشرقٍ طُرِقَ باب بيتي طَرْقاً خفيفاً، فقمتُ وفتحتُ الباب فإذا بشابٍ بالثلاثين من العُمُر، مُعتدلُ الطّول والجسم، سلّمَ عليّ وقال: كيف حالك يا أخي؟ فقلتُ: أهلاً ومرحبّاً تفضّل بالدخول، نعم وجدتني أقول له



تفضّل بالدخول كأني أعرفهُ منذُ سنين، قال: سمعتُ بكَ فأردتُ لقاءك، فأجبتُهُ: تسمعُ بالمرء خيراً منْ أنْ ترَاه.

وبدأَ الرّجلُ بالكلام ووثقَ كلٌّ منّا بصاحبهِ ففاتحني بالعمل في مصر وأنّه مستعِدٌ لأي شيءٍ يُكَلّف به، وطلبَ دورةً في المتفجرات والتّشريك، فوعدتُهُ بالتّشريك ثمّ قلتُ له سأُرتّبُ لك إن شاء الله دورةً في التّصنيع، ففرحَ وقال أنا صيدليّ ولي خبرةٌ مختبريّةٌ جيّدةٌ وأرجو أن أنتفعَ بهذه الدّورة وبدأ فيها ومضت الأيّام واشتدّت رحى الحرب.

ودَخَلَتْ معركة الفلوجة الثانية وكان موقع قيادة المعركة في نزّال أمام جامع الفردوس، فجاء طلحة الخير -سأعود إليه إن شاء الله- يقولُ ماذا تأمرُ يا شيخي هذه مجموعتي جاهزة -وكان هو مدربّ التّصنيع-، قلتُ ائتني بهم، فجاؤوا والله كأنّهم ملائكةٌ من السّماء يكبّرون ويُهلّلون والفرحة تعلوهُم، فعجبتُ من هذا الرّكب الطيّب ومن هذه النّفسيّة والهمّة العالية في هذا الوقت العصيْب وبدأتُ بتوزيعهم، ثلاثةٌ عند هذا التّقاطع وثلاثةٌ في أوّل هذا الشّارع واثنان عند هذا المدخل.

وبقيَ أبو نصر مع اثنين من رفاقه، فقفز قائلاً لبّيك يا شيخ، قلتُ يا عزيزي تعرف تضرب على الـ RBG؟، قال: لا، ولكن قل لي كيف يضرب، فعلّمتُهُ على عَجَلٍ وخرجَ مُسرعاً الى نقطته، وما مرّ مغرب ذلكَ اليوم إلا وثلاثةٌ على الأقلّ من رفاقه شهداء.



واشتدّت رحى الحرب وحدثَ اقتحام الجهةِ الجنوبيّة، وتمّ تقطيع هذا الجزء إلى أجزاء وانتشر الإخوة في المدينة، كلُّ مجموعةٍ على حِدَة، ولم أعد أرى أبا نَصْر وبدأتُ أحاول الاتّصال بالإخوة في الأجزاء الأخرى من المدينة وفجأةً رأيتُ أبا نصر قادماً وهو يقول: الحمدُ لله يا شيْخ معي حوالي خمسيْن أخٍ أمّروني عليهم ماذا تأمرونَ وما هي الخطط في المرحلة المُقبلة؟؟؟.

فذهبتُ إلى مكانهم فوجدتُ الإخوة يلتفّونَ وهو معهم كالأب مع أبنائه شفقةً ومحبّةً وحرصاً، فإن كانت المحنُ هي الّتي تصنعُ الرّجال والحرب تُبرِزُ الأبطال فأشهدُ أنّ أبا نَصْرٍ من هؤلاء، ومن هنا تجلّت مقدرةُ أبي نَصْر القياديّة والإداريّة وبدأ الإخوة يتوافدون إليه ويكونون تحت إمْرَتِه، وكلّما مرّ الوقتُ يزداد الجميعُ ثقةً في حُسْنِ تدبير هذا القائد ويتعجّبون من شجاعتِهِ ورباطةِ جَأْشِه.

وقد رأيتُهُ مراراً يُقْحِمُ نفسه المهالك لأجلِ أن يُؤمّن طريقاً لإخوانه، فكان لا يريد إخوانه عبور طريقٍ إلا عَبَرَهُ أمامهم مخافة أن يكون هنالك قنّاصٌ يقطع الطريق، ثمّ رأيتُهُ - والله - لا يأكل إلا بعد أن يأكلَ جميع الإخوة، ولا يشربُ إلا بعدهم، فكان كثيراً لا يأكلُ ولا يشربُ لشدّة الحال والضّيق الشّديد الّذي ألمّ بنا، بل والله قد خلع معطفهُ أمام عيني مع شدّة البرد وأعطاهُ أحد الإخوة، ثم خلع حذائه وأعطاهُ لآخر، وهو يفعلُ كلّ ذلك متذرّعاً بأعذارٍ حتّى لا يحرج أو يتحرّج الإخوة.



وهو في كلّ أحواله يبتسمُ ويضحكُ ويحمدُ الله ويشكرُهُ على منّته أن وفّقهُ لهذا الطّريق ولهذا اليوم.

وكان الرّجل يحوطُ إخوانه كما تحوط الدّجاجة فراخها حرصاً ومحبّةً يأخذهم الى حيث يأمنون فيه من عيون العدوّ، ويعبرُ الأسوار والطّرقات ويذهبُ إلى المناطق البعيدة يستكشفُ هل تصلح لمجيء الإخوة إليها، وهو مع كل ذلك من أشدّ النّاس طاعةً لله، فلو اختلى بنفسهِ لحظةً لا تراهُ إلا فاتحاً لكتابِ الله أو مصليّاً أو مع كتابٍ من كُتُب العقيدة والّتي كنّا نعثرُ عليها في بعض البيوت.

ثمّ دارت المعركةُ واشتدّت رحاها وانحازَ الإخوة إلى أحدِ البيوتِ وجاءَ الأمريكان وداهموا هذا البيتِ وكانَ في هذا البيت إخوة القائد عمر حديد مع نخبة من المهاجرين والأنصار، فصعدَ عمر حديد ليُدافعَ عن إخوانه حتّى ينحازوا فضربهُ قنّاص، ثمّ صعد أبو نَصْر لكنّه أيضاً أُصيب ولم يُعْلَم أكان شهيداً أم لا، ثمّ عُرِفَ خَبَرُهُ بعد ذلك بعدما وجدَ الإخوة هويّته ونظّارته عندَ مَنْ دَفَنَه فبكينا وبكينا، لكنّ البُكاء لا يُرجعُ ميّتاً، ولو طلبنا منه الرّجوع ما قَبِلَ لأنّه حيّ، اللهمّ إلا ليفعلَ ما فعلَ ويعود إلى قتاله لما يجد من كرامة الشّهداء.

اللهمّ احفظ زوجته وولداه من كلّ مكروه وسوء، وبلّغهم أنّه استُشهد فالرّجلُ لا يعرفهُ أحد، ومن هنا هذه دعوةٌ لإخواني بجزيرة العرب إن كانَ أحدٌ منهم يعرفُ أخاً مِصْريّاً صيدليّاً متزوج من ابنة أحد قدماء المجاهدين



المصريين وتركها قبل أحداث الفلّوجة بثلاثة أشهر، أن بلّغوها أنّ زوجها اسْتُشهد وحتّى لا يكون الرّجل في عُرْف المفقود، والله في عون الجميع.



أَسَدُ الجولان أَبي ناصر الليبيّ (١٩)

هو البطلُ الهمام، والقائدُ المغوار، أَسَدُ المعارك، ورَجُلُ المواقف، مَنْ ترمقُهُ العيون في الشّدائد، وتَسْتتِر به الأبطال في المصائب، حاتِمٌ في الكَرَم، حمزةٌ في الشّدائد، عُمَرٌ في أمر الله، أبو ذرٌّ مع إخوانه، يملأ العين مهابةً، والقلب محبةً، والنّفوس شجاعةً، أَسَدُ الفلّوجتين وبطلُ الجولان، فمن هو هذا الرجل؟.

لحياة صاحبي (محطات) بدأها بالصَّبر وخَتَمَهَا بالشَّجاعة، والصَّبر والشَّجاعة صُنْوان فلا شجاعةَ بلا صَبْر.

وقصّة الصَّبر تبدأ عندما تعرفتُ على الحبيبِ الشَّهيد وقد حَطَّ رِحَالَهُ بالفلّوجة قبل المعركة الأولى بستّة أَشهرٍ تقريباً، غير أَنّ الشَّهيد كان في ذاك الوقت قد أخطأ المكان، أعني من لجأ إليه مِنْ أهل تلك المدينة فجاء إليَّ وقد جُرِّد من جميع ماله لسبب أو لآخر.

نَعَم مَالُه، فقد كان الشَّهيد وحيد أُمِّه، فلقد مات أبوه وتَرَكه مع بنات يعولُهُم الخال، ولكنّ الرَّجُل عمل بالتّجارة وفتحَ محل لبيع الملابس وبعد رحلات مكوكيَّة بين تركيا وفرنسا وإيطاليا أَسَّس عملاً تجاريّاً جيّداً مع خاله، لكن الخال والابن أعني أبا ناصر (فالخال والد) قرَّرا الجهاد بالنَّفس والنّفيس، فباع أبو ناصر وخاله ما لهما من تجارة وشَدّا الرِّحال إلى العراق، بعدما استأذن البطل أُمّه والتي امتلاء وجهها بِشْراً وسروراً قائلة له:



لكن سَلِّم لي على والدك في الجنّة عسى أن ألحق بكما وتكون لي شفيعاً، ألستُ أول من تشفع له يا ولدي؟.

تعانقا والبكاء -لغة المُحِب- كان سيّد الموقف ومَنْ حولهما أخواته يَبكونَه ويَدعونَه.

التحقَ أبو ناصر ببيت أبي عبد الله الشامي مع إخوةٍ له صالحين ينتظرون اليوم الذي يخرجون فيه يُزَغردون بسلاحِهِم غير أنَّ ذلك اليوم تأخّر، عذراً نسيت أن أقول وما أنسانيه إلا الشّيطان، أن أبا ناصر قبل أن يُودِّع الفلّوجة إلى بغداد كان قد وَدَّعَ خاله إلى جنّات عدنٍ عند مليكٍ مقتدرٍ نحسبُه والله حسيبُه، حيث خرجا في معركةٍ مع الأمريكان بالقرمة استشهد فيها خاله ونجا الشَّهيد، لكنّه تعلم الدَّرس الأول: "أن التّعجل وسوء التّخطيط عواقِبُه غير محمودةٍ وأَنّ القيادةَ لها مَا لها في المعارِك".

وببغدادَ سئِم أبو ناصر من الانتظار فقد طال ثلاثة أشهر، غير أنّي كنت أتفرّسُ فيه النّجابة، فقلتُ له يا أخي اسمع مني لعلَّ الله يُوَفّقك لعمل يرضيه عنك فاصبر، لأنّك لو خرجت من هنا هل تستطيع أن تقاتل في غيرها.

وكنتُ أقولُ لهُ ولغيرِه وبعد تجارب مريرة كثيرة: والله لو أعلمُ أنّي سأضربُ طلقة في نحر عدوٍ بعد عام لانتظرت حتى أضربها لأنّي أعلم أني لا أستطيعها في مكانٍ آخر، ولو استطعتُ ففي مدّة أكثر من هنا.



وانتظر الشَّهيد وجاءت الفلّوجة الأولى ولحقَ مع مَنْ لحقَ بها من المقاتلين وبدون ترتيبٍ مُسْبَق وجدتُ نفسي وإيّاه في الجولان والقصّة طويلة.

غير أَنّي هنا أحبُّ أن أقولّ شهادة لله ثم للتاريخ قد يظن القارئ أنه ليس لها علاقة بالموضوع، وهي كيفية التحاقنا بالجولان، وليعلم النَّاس شرف القائد وعلى الخصوص (عمر حديد) لما دَخَلَ الأمريكان أطراف الفلّوجة بعد حادثةِ المدربين الأربعة وكنتُ حاضراً على قصّتهم.

أقولُ جاء الأمريكان فجأةً إلى أطراف الجولان فلجأت إلى بيتِ الشَّهيد القائد عمر حديد فإذا به يزأر في إخوانه وأولاد عمّهِ هيا اخرجوا بسرعة كل واحد يأخذ سلاحه فتنازعتُ أَنا وأَخُوه سلاح كلاشنكوف بلا جُعبة، فقط السّلاح وشاجور وحيد، مرة أَحملُه ومرّة يحملُه، حتى فتح الله عليَّ في أول يوم بسلاحٍ غنيمةً من الحرس الوثني.

أقول خرج عمر وإخوانه مكشوفي الوجوه والنَّاس في عَجَب يقولون لهم غطّوا وجوهكم والرّجل يقولُ وبصوتٍ عالٍ اخرجوا دافعوا عن دينِكُم عن عِرْضِكُم عن أَرضِكُم ولا حراك لأحدٍ فأشفقتُ على عمر، ماذا لو سيطر الأمريكان؟!، ماذا لو دخلوا ووشى به الواشون؟ لكنّ الرجل كان يريدُ الله أَحسبُه والله حسيبُه لذلك رَفعَهُ الله في الدُّنيا وإنّه إن شاء الله في الآخرة أرفع.



أقول لجَئْنا إلى الجولان وبدأتْ المعركةُ حاميةُ الوطيس وبدأت حِمَمُ النّار تُصبّ على المدينة واستطاع أبطال الجولان وعلى رأسهم أبو ناصر وأبو عمّار السُّوري الأمير أن يحقّقوا أوّل مكسبٍ في أوّل تجربةٍ كانت الفصل.

تمَّ تحييز الطّيران الهليكوبتر (السّمتية) فحال دخولها مجال المجاهدين أمطروها بوابلٍ من رصاص البيكا والكلاشن فهوت أوّلها.

وفرَّ بقيتهم، فكبّرنا وكبّرنا وحَمَدنا الله، وبعدها تجرَّئنا على العدوّ وتمَّ انسحاب السّمتيات من المعركة، ودارت الحربُ وكان لأبي ناصر السَّبق حيثُ أُسْنِد إليه إمْرة سريّة من سرايا الجهاد المرابطة حذاء العدوّ والتي يتنزلُ فيها الموت كالسَّيل الجارف، وحينئذ وفي صباحِ أَحدِ الأيام جاء أحدُ الإخوة يقول سمعت في الحراسة دقّاً خفيفاً منتظماً يصدر من هذا البيت أظنُّ أنهم قناصة تقدموا في الظلال وسيّطروا على البيت لأن المنطقة حينها كانت خالية من السكّان، فأرسلتُ من يتحقق من ذلك من جهة الإخوة الأكراد فأَكّدُوا الخبر، فاجتمعنا وعلى رأسنا أبو عمّار السّوري الأمير وأبو ناصر وأمير الأكراد جُنْد الله وبعد الاستشارة أجتمع الرّأي أنه لابد من مهاجمة البيت لأسباب كثيرة أهمّها: أنَّ القناصة إذا سيطروا عليه شلّوا حركتنا واقترب العدوّ أكثر، ولا بُدّ من التضحية، فتمَّ ترشيح أبو ناصر ليكون أميراً على سريّة الاقتحام وتمّ تحديد كيفية الهجوم وأفراد المجموعة وودَّعتهم على بركة الله وكان من المنتظر أن تبدأ العملية بعد ساعة فجاء من يقول أن أبا ناصر حُوصِرَ هو ومن مَعَه، وسرى الخبر في الجولان وانتشر انتشار النّار في الهشيم ففزعَ النَّاس إلينا وكان ممَّن فزع



عمر حديد والشيخ أبو انس "تقبلهما الله" وغيرهم من أفاضل وأكابر الإخوة المجاهدين.

وبالفعل رأينا السَّمتية تنادي بالمكبّرات أنّكم محاصرونَ وأننا سوف نُبيدكُم خلال نصف دقيقة، فزحفت المجموعات باتّجاه الإخوة وجاءَ إلينا المجاهدون من كل صوبٍ وتمّ توزيع النَّاس لفكّ حصار الإخوة.

وبينما نحن كذلك إذا بالتّكبير ينطلق من الداخل وقذائف الـ RBG تهدّ حصون العدوّ علامة أنَّ هجوم أبو ناصر بدأ وليُبشّر أنّ القوم غير محاصرين، وبعد نصف ساعة من الاشتباك سيطرَ أبو ناصر على بيت القنّاصة، وكان هناك بيت آخر مجاور لم يكن يعلمُ الإخوة وجودَ أمريكان فيه، حيث قاموا بفتح النّار على أبي ناصر ومجموعته إلاَّ أنّ الله سَلَّمَ وغَنَمَ الإخوة أسلحة القناصة وقَتَلوا من داخل البيت ورجع أبو ناصر بشهيدٍ وجريحٍ فوجد النَّاس في انتظارهم، فقال ما لكم؟ قالوا ظنّناك حوصرت، قال: الحمد الله؛ لا، وهذا البيت تَنَاقلتْهُ وسائل الإعلام تصويراً.

وفي تلك الأثناء بدأت أكبر معارك الجولان وأشدُّها ضراوةً وأطولها مُدّة، لكن لأن المشيئة الإلهية هي التي تُدَبّر وتُوَفّق، ونظراً لأن النَّاس قد اجتمعوا لأجل فكّ الحصار وسدّوا الثغرات تمَّ صدّ الهجوم وتكبيد العدوّ خسائرَ فادحة في الأرواحِ والمعدات، حيث تمَّ تدمير دبّابتين ومُدرعة وأُسْقِطَت طائرةٌ والحمد لله وهذا من تدبير الله لنا، إذ لو جاء العدوّ بهذه القوّة قبل قضيّة الحصار بدقائق



لـدخلوا الجولان بكـل سـهولة، لكن الله هـو الموفـق والمسـدِّد والمدبِّر فمعركـة الفلّوجة كان لها ما لها.

ثم مضـت الفلّوجـة الأولى، وبين المعركـتين أعـني الفلّوجـة الأولى والثّانيـة انشـغلَ أبـو ناصـر بأمرٍ آخـر، حيث قـام بتـدريبِ عـددٍ كبـيرٍ من الإخـوة على تصنيع المتفجرات وتشكيل سرايا للقتال خارج العراق وتمَّ له ما أراد.

فلعلَّ الله يسمعنا عنهم خيراً قريباً إن شاء الله.

ومَضَت المعارك ضارية وخاصّة قبل موعد الفلّوجة الثّانية بشهرٍ أو شهرين فتم تنظيم الحماية للمدينة وتوزيْع الكتائب لحمايةِ مداخلها فأُسْنِدت الصّناعة للقائد عبد العزيز، وجبيل للقائد أبي ياسر، والعسكريّ للقائد أبي عُبيدة رحمه الله، والشّهداء للقائد أبي عبد الله التونسي، وأخيراً وأهم النّقاط الجولان للقائد الشَّـهيد أبي ناصـر، وحـتى لا أُطيـل قـام الشَّـهيد بـترتيبِ مجموعتِـه على قـدر المستطاع إلا أَنّ هذه الكتيبة كانت أحدث الكتائب تشكيلاً والتحق بها معظم الإخوة الجُدُد من قليلي الخبرة، وفجأة دَقَّ ناقوس الخطر واشتعلت نيرانُ الحرب وبدأت الفلّوجة الثانية، وحَدَثَ الاختراق المعروف للجبهة من جهة (الجغيف) النّقطة الوحيدة من الجبهة التي تركناها لغيرنا، والحقُّ يُقَال أنّهم أيضاً ما قَصَّروا ولكن هذا جُهدهم والله يعفو عنّا وعنهم.

دَخَلَ العدوّ وحاصرَ الجولان وانتشر القناصة فجأةً خلف ظهور الإخوة وسَيْطروا على كافّة الطّرق والتّقاطعات، وحتّى مآذن المساجد، وتقدّموا من



جهة الشَّط وقاتلَ أبو ناصر قتال الأبطال وبدأت اللّيوث تتساقط، فهذا أبو العيناء أمير نقطة الشّاطي شهيداً يتبعُهُ جاسم إبن عم عمر حديد ثم عبد الستار أخوه وغيرِهِم وغيرِهِم وازدادت الجراحُ في الإخوة وبدأت الدّماءُ تنزف ولم يبقَ مكانٌ آمنٌ في ذلك الوقت إلا القسم الجنوبي من المدينة.

فقام أبو ناصر وأبو همام الليبيّ "رحمة الله عليهما" بعمليّة بطولية أدهشت الجميع.

وضعَ أبو ناصر الجرحى في سيّارته البيك أب وقال لأبي همام تَوَلَّ أنت أمرَ القيادة وسنحاول تجاوز الشّوارع والتّقاطعات والتي ملأتها الدّبّابات والقنّاصة وكانت الخطّة أن يتقدمَ أبو ناصر ويفتح خطّاً كثيفاً من النّار باتّجاه الدبّابة من خلال الـB.K.C وفي تلك اللحظة يعبر أبو همام بالسيارة وبالفعلِ تمَّ تنفيذ الخطّة وتجاوزَ الإخوان أكثر من عشرة شوارع وتقاطعات.

ووصَلَ إليّ أبو ناصر في حي نزّال ففرحتُ بنجاتِهِ ومن معه، وفي تلك الليلة بِتُّ وإيّاه وأبو همام في بيتٍ واحدٍ مُظلم لا ماء فيه، فأشعلتُ ضوء كشافي لأرى أبا ناصر وأبا همام كأنهما قمرين طلعا وسط هذا الظلام وتعجبتُ لسِرّ هذا الجمال المفاجئ، وقد تعلمتُ وخبرتُ أن الأخ إذا حانَ وقت استشهاده جَمُلَ خُلُقُه ونضر وَجْهُه وصار في النَّاس شامه، فبدا لي الأَخَوان في تلك الليلة كذلك فاقشعرّ جسدي وقلت في نفسي: الله غالب.



ورمى حبيبي جَسَدَهُ على الفراش واستلقيتُ حذاءه وكان متعباً جدّاً وهنا قال لي، أمي قالت لي مثلاً: قالت أم لابنها الفقير يا بنيّ لا تأكُل إلا العَسَل ولا تنام إلا على الحرير، فقال لها: يا أمّي كيف ذلك وأنا فقير، قالت له: لا تأكل إلا وأنتَ جوعان ولا تنام إلا وأنتَ متعب.

وأصبَح الصّباح وتمّ تشكيل سريّة اقتحام من النّصف الجَنوبي للنّصف الشمالي وعيّنتُ عليها أبا ناصر أميراً، وقال له أبو عزام "تقبله الله" أرجو من الله أن تصلي الظّهر في جامع أبي عبيدة والعَصْر في الفاروق –يعني تفتح الجزء الشمالي حتى تلك النّقاط–، وكان ذلك ضرباً من الخيال، وسُبْحان الله صلّى أبو ناصر الظّهر في أبي عبيدة والعصر في الفاروق، إلا أَنّ جريحاً جُرِحَ عنده فوضَعَهُ في سيّارته وعاد لكي يضعه عندنا في مأمن وكان الحاجز بيننا شارع الحاج حسين أو الشّارع الذي يربطُ بين الجسر الجديد وجسر السّريع.

فوقف على الحاجز الآخر وقال أريدُ أن أعبرَ إليكم فقال له الأخ عبد الهادي لقد عبرتَ عدّة مرات هذا اليوم والدبّابات انتبهت إليك وأخاف عليك فلا تعبر، قال عندي جريح سيموت والله الموفق، فتقدّمَ أبو همّام يقودُ السّيارة وفتح أبو ناصر نار الـB.K.C على الدّبابة كالعادة، وقبل أن يصل إلى الجهة الأخرى بمترين استقرّت قذيفة دبّابة في السّيارة فاستشهد أبو همام في الحال وقُطِعَت قدم أبو ناصر فأخذ يكبّر ثم تَشهّدَ وانتقل إلى رحمة الله أمام عين عمّه أبي عبد الله الشّامي، ومن العجائب التي تُحْكى وليعلم النّاس أن الله هو الحافظ، نجا الجريح وقُتِلَ حاملوه حيث نـزلَ من السّيارة بسرعة وزحفَ إلينا، ونجا من الموت



بأعجوبة والله قادر غالبٌ حكيم فأصاب الجميع همّ وغمّ لا يعلمُ به إلا الله حيث فقدت المدينة في أحلك المواقف أهمّ وأجرأ قادتها أسأل الله أن يُلحِقنا به ولا يحرمنا أجره وأن يجمعني به في جنّات صِدْقٍ عند مليكٍ مقتدر.

و لا أظنّك يا أخي الكريم نُسّيتَ أختيك: أهل أبي عبد الله وابنته زوجة أبي ناصر، وكيف كان وقع الحال على المرأة وابنتها.

فالأم فَقَدَت زوجها في بلاد لا عَمّ ولا خال، ولا أخ ولا حتى مأوى يأمنون فيه، فَقَد تفضّلَ عليهم وعلى زوجتي أخ كريم وأجلسهم في بيته إلاّ أنّه لفرط خوفه عليهم دهنَ الزّجاج باللّون الأسود وأغلق عليهم جميع المنافذ حتى لا يخرج أي صوت الى الخارج.

وكان الخبر قد خرج مع من خرج من الفلّوجة أن أبا عبد الله حيٌّ يُرْزق وأنه خرج جريحاً الى منطقة الصقلاوية وأن العبد لله قُتِلَ شهيداً أو أنّي ما زلت مفقوداً وجلست أم عبد الله وابنتها يُصَبّران أهلي.

وفجأة خرجتُ من الفلّوجة بعد حرب السَّبعين يوماً وفوجئ الجميع بوجودي حي وباستشهاد أبي عبد الله وزوج ابنته، بقيَ عليّ وأنا مجروحٌ في صاحبي أن أُخْبر زوجته الغريبة المختبئة وابنتها بنبأ الشَّهيدين وفعلتُ، وما أردتُ، وحَدَثَ ما توقّعتُ، فقد بَكَت البنتُ على حداثة سنِّها على زوجِهَا حتّى قطعت أكبادي فهي ابنتي وأعرفها جيِّدا قبل الحجاب، ولم أستطع معها حلاً إلا أن أدعو الله لها ولأمّها وكافة أخواتها أن يحفظهم من كل مكروهٍ



وسُـوْءٍ وأن يُبْعِـدَ عنهم مكـرَ الأعـداء ومكـرَ الجواسـيس، وللعلم فهمـا الآن في مـأمنٍ والحمـدُ لله قـد ذَهَبَ عنهم بعض مـا وَجَـدوا والحمـد لله على النّسـيان ولُطْف الله بعباده.



أبو عبد الله الشَّامي (٢٠)

عَلَمٌ من أعلام الفلّوجة، ورمزٌ من رموزها، وأَسَدٌ خبيرٌ من أُسْدِهَا، طيِّبُ القلب، سليم الصَّدْر، نَقِيُّ السَّريرة، تقيٌّ زاهدٌ ورعٌ، يَأْلَفُ ويُؤلَف، ومهما وصفتُ أخي وحبيبي فلن أستطيعَ أنْ أُحيط بجميل خُلُقه ومحاسن أوصافه إلا كما يُوصَف المغبون.

ولأخي وصديق درْبي وفلذة فؤادي، معَ الجهادِ قصّة ونشيداً، مُوجَزُهَا أنَّ الشّهيد -نحسبه كذلك- كان سليمَ الصَّدر إلى حدٍّ بعيد، وكانَ لا يعرِف الكذبَ ولا يظنّ أَنَّ أحداً يحترفه، فبعدما عرفَ الجهادَ فريضةً لازمةً سافرَ إلى الجزيرة (السّعودية) -دولة الإسلام كما أقنعوه- وهناكَ عَرَفَ كُفْر آل سعود على حقيقته وكَرِهَهُم من أعماق أعماقِ نفسِه، وخاصّة بعدما التحقَ والتقى بـ(إخوان منْ أطاعَ الله)، وعادَ إلى بلدِهِ سوريا مدينة حلب، هناك سمعَ أنّ الشيخ أبا عبد الله أسامة بن لادن موجودٌ في السّودان وبالفعل سافرَ إلى هناكَ ولكنّ أَمَلَهُ خاب، لأنَّ الشيخ كان لِتَوِّه قد طُرِدَ بعدما سُرِق من الدجّالين (الترابي والبشير)، ثم سافرَ إلى اليمنِ بعدما باعَ بيتَهُ ومَحلَّهُ ورَحَلَ بأهله بعدما أخبروهُ أنّه من هناك يُسَهّلُ عليه الهجرة إلى أفغانستان، وبعد شهور من الضّيق والضَّنَك وقلّةِ الحيلة والمال عادَ والحزْن يملأُ قلبَه، ثم سافرَ أخيراً إلى أفغانستان، وهناك بدأَ أبو عبد الله أوّل خطواتِ الجهاد، قاتلَ في صفوفِ الطّالبان ضدّ التّحالف الشمالي، ثم حُبِّبَ إليه قتالُ الرّافضة، فَشَكَّلَ هو ومجموعة من الإخوةِ



العرب والعجم سريّة لقتال الرّافضة الإيرانيّين وكان أميرُهُم صلاح الدِّيْن الإيرانيّ فكانوا يُغيروا على معسكراتِ الرّافضة فيقتلُوْن ويَأْسرون ثم ينسحبوا آمنين بحول الله وقوّته، ثم قوَت دولة الإسلام فأسرع إلى كبح جماع الرافضة في "باميان" بعدما غَدَرُوا بالسُّنّة هناك ونَقَضُوا كلَّ العهود والمواثيق واتّصلوا بالغربِ وعلى رأسهم اليابان وكوريا وتايلاند وغيرهم ليبيعُوا لهم "بوذا" وليُبَرْهِنُوا لهم على محبَّتهم وولائهم قتلوا السُّنّة ومَثَّلوا بهم فوقعوا في شرِّ أعمالهم وأتاهم الموت من حيثُ لم يَحْتَسِبُوا، وكان من السّابقين إلى ذلك شهيدنا الحبيب، وفي أفغانسْتَان تَعَلَّمَ أُصُوْل عِلْم المتفجرات وعِلْم التّشريك، ثمَّ تتابعت الأحداثُ كما هو مَعْلُوم، وانهارتْ دولة الطّالبان تحت مكرِ وكيدِ الباكستان وعملائِهِم وانسحبنَا إلى الجبال، بعضُنا إلى جبال تورا بورا وعلى رأسهم الشّيخان، وبعضِهِم إلى جبال كرديز وكنتُ والشّهيد منهم، وهناك برزَ دورٌ آخر للشّهيد البطل فكان خادمُ الإخوة الذي لا يَمِلّ وسائقهم الذي لا يَكِلّ، هذا وأهلُهُ وأولادُهُ تحت ضنكٍ شديد فَرَّجَهُ الله بعد ذهابهم إلى باكستان، وبقى الشّهيد مع إخوانه، خادِمُهُم إذا نَزَلوا وفَارِسُهُم إذا رَكِبُوا، وأخيراً انطوت صفحة أفغانستان في حياة الشَّهيد وبدأت صفحة العراق، جاء إليها قبل سقوط بغداد بعدّة أشهر، وفي بغداد اجتمعَ نفرٌ يسيرٌ كان العبد الفقير خادِمهُم، واتّفقنا على جمع السِّلاح إذا سقطَ النّظام كما وبعد السّؤال اتّفقنا على عدمِ مُسَاعدة هذا الطّاغية بطلقةٍ واحدة، وسقطَ الطّاغية وبدأَ الفتح الإسلامي الثّاني للعراق، فتْح الصّحابة ثمّ فتْح المجاهدين، فبدأت والشّهيد وسابقاً شهيدنا أبو عمر وغيرهم نضع العبوات ونضع أوّل لمسات علم



التّفخيخ والتّشريك بالعراق، وكان أبو عبد الله الشّامي من أساتذة هذا الفنّ ففتحَ الله عليه خيراً كثيراً، وباركَ في جهودِهِ ومسعَاه، ولما جاءَ القائدُ المباركُ أبو مصعب الزّرقاويّ "رحمه الله" لَحَق ولحقنا بِرَكْبِه فكانت صفحةً جديدةً وقصّةً أخرى وليدة من حياة أبي عبد الله سَخَّرَ نفسهُ وأهلَهُ وبيتَهُ وحياتهُ لخدمة المجاهدين والاستشهاديّين، ولأنّ البيوتَ كانت موصدةٌ أمامنا.. فتحَ بيتَهُ، وفي بيته بدأت أوّل فصول العمليات الاستشهادية وعلى يديه سارت أوائل فصول قصّة الجهاد والاستشهاد في العراق.

وفي هذه القصة فصلٌ جميل لطيف أحبُّ أن أُوجِزْه، وهو أنه تم رصد هدفٍ مهم في حيّ الجامعة ببغداد، جنرال أمريكي كبير من الـ(CIA) يأتي لبيتٍ من البيوت يمتلأ ردّة وكُفْراً ونفاقاً، وعند لحظة التّنفيذ تردّدَ الأخ الاستشهادي، فما كان من أبي عبد الله إلا أن ركبَ السيارة وقال أذهبُ مكانَه، والله لا يضيعُ الهدف ولا ترجع العروسة بلا عريس "يعني السيارة"، وحاولتُ وحاولتُ لكنّه أصرّ وقال لي: وصيتك أهلي وأولادي وانطلقَ الرّجلُ باتّجاه هدفه إلا أنّ الهدفَ كان قد خرج لِتوّه وأبقى اللهُ لنا أبا عبد الله.

وبعدما فتحَ الله علينا الفلوجة وأَعَزَّ الدِّين وأهله وأَذَلَّ الشِّرك وحزبه قدم أبو عبد الله وواصل الليل والنّهار جمعاً للشَّمل وتقوية للصَّف ورأباً للصَّدع، تارة باللِّين وأخرى بالشّدة، النُّصح شعارُهُ والمحبة سبيله، ولما اكتملَ البنيانُ واستوى الرُّكبان، جَهَّزَ حقيبةً صغيرةً بعدّة التفخيخ وأخذ يطوفُ على كتائبِ المجاهديْن من دورةٍ إلى أخرى يُرْسِي دعائمَ هذا العلم، فلا ترى أبا عبد الله إلا بين



أحضان عروس، عفواً سيارة يجهزها، أو إخوة يدربهم، دَوِيُّ المتفجرات عَزْفُهُ وغبار البارود طِيبُهُ وتجارب المتفجرات لَهْوُهُ وأنيسه، نسى أهله وولده وعشق فَنَّه وإخوته، يمُرُّ عليه الليل ثقيلاً حتى إذا لاحَ الفجرُ بضيائه ترى أبا عبد الله فوق رؤوس إخوانه والبسمة تعلوه، هيّا كفاية نوم، نمنا كثيراً كثيراً.

وهو في كل ذلك نِعْمَ المُعِيْن، وخيرُ صّديق، كان لي إن نِمْتُ أو تكاسلتُ أخذ على يديَّ، وإن زُغْت أو تهاونت أقامني فلم يكن مساعدي بل أستاذي وصاحبي. ولما أحسَّ أبو عبد الله بِقُرْب الأجل ودنوّ الأمل، فاتحني أنه يريد أن يُزوّج ابنته من رجل صالح ويطمئن عليها في حياته فاخترتْ له القائدُ الهمامُ والبطلُ المغوار سيّد الجولان، أبا ناصر الليبيّ وحضرَ الشّيخ أبو مصعب الزرقاوي "رحمه الله" وكيلاً عن العريس وعقدتُ لأبي ناصر وأصدقَ الشّيخ ابنته ألف دولار، بالطّبع رفضَ أبو عبد الله إلا أنه ضُغِطَ عليه، ولم يدخلْ أبو ناصر بالعروْس لأنّها صغيرةً بعضَ الشّيء.

ثم جاءت الفلوجة الثّانية، وأدركَ الجميع أَنَّ النهاية قد اقتربت وأن رحا العمر أوشكت على التّوقف، وأن طاحونة الاستشهاد لابد أن تمرّ على ما تبَقّى من الأُسُوْد في الفلوجة، واشتعلت الحرب، وصَبَّ الحقدُ الصليبيّ نيرانَ الحقدِ والحسدِ والبغضاءِ وتبَسَّمَت السَّماء للشّهداء، وبدأَ الإخوةُ يرحلونَ واحداً واحداً، كلٌ يُودِّعُ رغماً عن الجميع، واستمرّت مواكبُ الاستشهاد تتدفق كالسَّيل الجارف، وبينما الأمور كذلك كان أبو عبد الله واقفاً على حافّة الطريْق من جهةِ مطعم الحجّي حسين وزوج ابنته "أبو ناصر اللّيبيّ" على



الجهةِ الأخرى، يناديْه عمّي سأعبر، ويردّ أبو عبد الله لا يا أبا ناصر الدبّابة تراكم، وعبرَ أبو ناصر قَدَمُهُ في اتّجاه عمّه، وفاضتْ روحُهُ أمام عينه وهو يقولُ اللهُ أكبر اللهُ أكبر.

وكنتُ على بعد مائة متر من الموقع، ومن بعيْد رأيتُ أبا عبد الله قادماً علَّي يحملُ قاذفته ويخطّ برجله الأرض.

وفي اليوم الثاني كَثَّفَ العدوُّ من رمايته ورَكَّزَها فَأُصِيب غالب إن لم يكن كل من في الخط الأول، ولم يكن هناك طبيب أو مُمَرِّضٌ وبَيْنَ يَدَيَّ نَزَفَ أَخٌ حتى الموت ولا حول ولا قوّة إلا بالله.

وعلى عَجَلٍ وقِلَّة عِلْم وحيلة تمَّ تجهيز مكان خلفيّ للجرحى، وطلبَ الإخوة من يقوم على رعايتهم، فطلب أبو عبد الله أن يذهبَ عندهم فقلتُ له ابقَ معي لكي تساعدني فليس معي أحد يفهمُ في التّشريك، قال: دعني أذهب، قلت له توكّل على الله ولكن تأتي عند الصّباح، قال إن شاء الله.

وذهبَ أمام عيني وأنا أرمقُهُ عند مغيبَ الشّمس وغابتْ الشّمس، ولم تعُد إلى يومنا هذا يا عزيزي، رحلَ أبو عبد الله مع أبي طارق الليبيّ تحتَ جدارٍ بعد قصفٍ مدفعيٍ عنيف، كما أودّ أن أسكبَ أيضاً دمعةً على أبي ربيْع الليبيّ حيث ذهبَ مع أبي عبد الله مع الشّمس وعندما ذهبَ أبو ربيع وكان جريحاً في ظهرهِ جاءَ يُقبّلني بحرارةٍ ويحضنني ويُقَبِّل رأسي فقلت: عزيزي هي مائة متر بُعْد بيتِكَ عن بيتنا، قال: الله اعلمُ أنلتقي أم لا، ولم نلتقي، ولعلّنا نلتقي في



مكان آخر في جنّات عدنٍ برحمة مِنْه وفَضْلٍ ولعلّي أعودَ بشيءٍ من التفصيل عن أبي ربيْع وأبي طارق في وقتٍ آخر.

بقيَ يا أخي أنّي نسيتُ صفحةً مهمّةً من حياة الشّهيد، فإنَّه وفي يوم من أيام الفلّوجة الطّاحنة قصف الأمريكان بِعُنْف حي الصناعة، فَأُصِيْب على إثر ذلك القصف أحد الإخوة العرب في رأسه وتَمَّ نقله إلى مستشفى الفلوجة لكن المستشفى قالت إنها لا حيلة لها به، ويجب نقله إلى مستشفى الحملة العصبية ببغداد – وهو مستشفى يسيطر عليه الرَّافضة ويقع بالقُرْب من وزارة الداخلية –، فتَمَّ نقل الأخ وتبرّع بالذهاب معه أحد أفاضل الإخوة الأنصار وأكثرهم حباً وخدمة للمجاهدين وهو الأخ إبراهيم العيساوي (كان ضابط شرطة تابَ الله عليه وبقي مع الأخوة) وفي المستشفى وتحت تأثير البنج تكلّم الأخ فبانَ من لهجته أنّه من الجزيرة وعلى الفور طار الخبر في المستشفى.

وفي تلك الأثناء قال لي الأخ الشّهيد: أنّه يريد أن يذهب ليطمئنَّ عليه، فقلتُ له يا أخي: المستشفى خَطر وبغدادُ وَضعُها خَطر، قال: لا بدّ من الاطمئنان على الأخ وإذا ما كانَ يحتاجُ لشيءٍ، المهمّ أنّه أصرّ على الذّهاب.

وذهبَ إلى المستشفى حاملاً معه أكياس الطَّعام والشَّراب يحثُّ الخطى لرؤية أخيه، لكنه وجدَ الرّوافض في انتظاره، وعلى وجه السُّرعة جاءت الشُّرطة، والمنتشرين أصلاً في جوانب المستشفى كميناً لمن يأتي من الأخوة.



وتم نقله إلى مسلخةِ وزارة الدّاخلية وهناك صبّوا عليه العذاب صبّاً – كهرباء، جَلْد، ضَرْب، ماءٌ قَذِر، حبسُ البول- كل أصنافِ العذاب وما تركوهُ إلا جثّةً هامدةً لا حول ولا قوّة له إلا بالله، ثم جاء الأمريكان لينقذوه من أيديهم وليكتشف الرّجل الميت أصلاً أنه وقعّ فريسة لرجلٍ آخر، وعلى الفورِ تمّ نقله إلى دولة مجاورة وبطائرة حربيّة وهناك خضعَ لاستجواب دقيقٍ وطويل، فلما لم يجدوا عنده شيئاً، عرضوا عليه مجموعة من الصّور لعلّهُ يعرفُ أَحَدَهُم وحينئذٍ صُعِقَ الرَّجل وظَنَّ أَنَّه الهلاك حيث كانت صورته بالصَّف الأول، وظن في أوّل الأمر أن عملية العرض ما هي إلا خدعة لكنهم والحمد لله لم يعرفوه، وكان عنده أوراق هي كأوراق الخريف سُرْعان ما تهوي إذا لامستها أيادي هَشَّة وكذلك كانت هويّات الشَّهيد، وفي السّاعة العاشرة صباحاً وبعد عشرة أيام من الاعتقال طُرِقَ بابي فخرجت وإذا بحبيبي وصديقي وعيني أبو عبد الله واقف أمام عيني يبتسم وإن كان الإعياء واضحاً عليه، فلم أُكَلِّمه كلمة واحدة حتى خررت لله ساجداً على النّعمة والتي ما ظنّ أحدٌ قط أن تكون، حيث أعلنَ العدوّ وقت اعتقاله أنه أعتقل أحد مساعدي الزرقاوي، ولكنّ الله كتب له النَجّاة. ثم بعد السَّلام والكلام قال لي: عذراً، ممكن أذهب أرى أهلي فزادتْ محبّة الرّجل في قلبي إذ أنّه أرادَ أن يُطَمْئِنَ إخوانه قبل زوجته وأولاده.

و بعد فترةٍ قال لي أبو عبد الله: تعرف يا أخي والله هممتُ أنْ أدعوا عليكَ وأنا بالسِّجن، فجزعتُ من قوله ثمّ قلتُ: ولم؟.



قال: لأنَّك منعتني مراراً من تنفيذ عمليّة استشهاديّة، قلت: والله يا أخي ما أردتُ إلاّ الخير والصَّالح العام.

ثم أردفَ قائلاً: لا تمنعْ أحداً من خيرٍ عندَ الله، ثم الله يُخْلِف علينا فالدِّيْن لا يتوقفُ على شَخْص كائناً ما كان ذلك الشَّخْص.

لكنّي وللأسف ما تَعَلَّمْت الدّرس ومنعتُ أحد الأخوة المقاتلين من عمليّة استشهاديّة، وهو الآن وديعُ السّجنِ أسألُ الله أن يعفوَ عنّي بفضلِه ومَنِّه وأنا تائبٌ إن شاء الله.



أبو محمّد الجزائري (٢١)

هو التّقيّ النّقيّ، والعسكريّ الشّجاع، بل والجريء المُتهوّر، طاهرُ السّريرة (كتابٌ مفتوح)، متى شئتَ قرأْتَهُ، لا لَبْسَ في حروفِهِ ولا معانيه.

وصلَ إلى بلادِ الرّافدين قبل الفلّوجة الأولى، ونزلَ على الشّيخ عثمان المعاضيدي، ولأن الشيخ رحمه الله وأسكنهُ فسيحَ جنّاته، كانَ مجاهداً صوفيّاً، وصاحبي سلفيٌّ متشدّد طلبَ أَن يَسكُنَ هو وعبد الهادي اليمني مع بعضهما في شقّة لحالهما وقد كان، ودارت الفلوجة الأولى، واشتدّت رحاها.

وبينما نحنُ في الجولان رأيتُ شابّاً نحيفاً طويلاً، به صَلَعٌ خفيفٌ يحملُ البكتا الروسي (جرينوف ثقيل). وقد حوّرها عسكريّوا العراق لتستخدم مثل الـB.K.C وجاءَ مع المِدَد الذين هبّوا لمساعدةِ إخوانهم في الجولان.

ولما جاءت السّمتية، تقدّم أسدُ الجولان (سابق الذكر) أبو ناصر الليبي إلى ساحة مفتوحة وبدأَ يُمطِرها بوابلٍ من رشّاشة البيكا.

وقد كانت عادتي أن أرفعَ من همّة الأبطال حتّى يلحقوا به ولتكون هناك غزارةٌ ناريّة، ولكنّي فوجئتُ بهذا الشّاب يخرج من غمار الناس مكبّراً ثمّ اتّخذَ مَكَانَهُ وبدأً يُمْطِر السمتية (الطائرة الهليكوبتر) بوابلٍ من الإطلاقات وهو يُكبّر ويُكبّر. وفجأةً كَبرّ الجميع ثمّ شاهدت دخاناً أبيضاً انبعث من مؤخرة الطائرة وبَدَأَتْ تهوي إلى الجحيم.



فتقدمتُ من الرّجل الأسد، وقلتُ له جزاكَ اللهُ خيراً، فوالله ما قَصَّرْتَ ولا خذلتَ، فما كان منهُ إلا أنْ قال بتواضعٍ وحياءٍ " الحمدُ لله " ولم يَزِدْ، ثمّ طلبتُ منه أنْ يبقى معنا في الجولان فوافقَ الرّجل، بل ورَحَّبَ بذلك، واستمرّت المعركة، وفي كلّ مرّة يُثْبِتُ الرّجل أنّه رجلُ المواقِف، ومع ذلكَ قال لي يوماً وبالحرفِ الواحد: "سبحان الله يا أخي لما أرى أبا ناصر جانبي في الضّرب أو الصّف والله أطمئن".

فحملتُ الكلمة إلى أبي ناصر، تشجيعاً، وثانياً، ليعلمَ الرّجل أنّ أبا محمّد يُحبّه، فقال: سبحان الله إنّي والله في نفسي ما في نفسِه، ولستُ أشكّ أنّه أشجعُ مني. ثم فاتحتُ أبا محمّد في الانضمام والبيعة، فقال أنا جنديٌّ مطيعٌ بلا بيعة، والبيعةُ شرفٌ ودينٌ فمرحباً بها ومن لا يتشرّف بذلك، ومن لا يحبّ البيعة على الموت. فوالله لقد فرحتُ به فرحاً شديداً وقلتُ في نفسي: هذا والله هو الكنز.

وانتهت الفلّوجة الأولى بالنّصر والظّفر وبدأنا مرحلة هي أصعبُ من الأولى، مرحلةُ البناء، بناءُ المدينة عسكريّاً ومن قبل إيمانيّاً، لكن أبا محمّد والحقّ يُقَال كان غيرُ مقتنعٍ أنّ النّاس هنا جادّين في أنّ الجهاد بالنّسبة لهم ديْن، لا وطنيّة ولا قوميّة، وقد كان على حقّ بالنّسبة لعددٍ من ضعافِ النّفوس الّذين جاءوا بعدَ المعركةِ وأرادوا أن يقطفوا الثّمرة على دماء الشّهداء وأطرافِ المعوّقين، فإنّا نعلم أنّا وجدنا من الخير في هذه البلادِ ما لم نَجْدُه في كثيرٍ واختارها الله لرفعة دينه وإقامة عَلَم الجهاد في أرضِهِ.



وفي يومٍ من الأيّام صدرتْ الأوامر بتجهيزِ المجموعاتِ والخروج إلى السّريع لقطع الطّريق على قوافلِ الأمريْكان، وكان أبو محمّد أميراً لإحدى هذه المجموعات، وكان ذلك خطأ فإنّ الرّجل شجاعٌ إلى حدّ التّهور لكنّه كان أيضاً حكيماً. وبالفعل استطلعَ مكانَ مجموعتِهِ وذهبَ بهم إلى أقرب مكان ممكن من العدوّ وقال للإخوة سوف نبدأ الضّرب من هذا المكان وعلى طريقة رأس السّهم تقدّمٌ وانبطاحٌ وحتى الوصول إلى الهدف. وإن جاءت الأوامر بالانحياز لسببٍ ما، سواء أكان عطلٌ في السّلاح أو كثافةٌ في رماية العدوّ، أو عدم فعاليّة سلاحنا مع الدبّابات، فهذه حفرةٌ كبيرةٌ وعميقةٌ انسحبوا إليها، فإذا دخلنا فيها لا يرانا العدوّ وبعدها نأخذ الخطوة الثّانية وهكذا حتى يأمنهم.

و بالفعل تمّ التقدّم وتقدّمَ أبو محمّد حتى أرهقَ العدو، وفي زحمةِ مشاغلته وإطلاقه عليهم التفّت عليهم الدبّابات فأمر بالانحياز وانحازَ هو ومن معهُ إلى الحفرة، وحَمَدوا اللهَ على السّلامة، فلما عملَ تعداداً لإخوانه، وجدَ أن اثنان منهمالم يعودا، فرجعَ ليبحثَ عنهُم وحاولَ الإخوة إقناعه بِعَدَمِ الذّهاب فالعدوّ أمامه، لكنّه رفضَ بشدّة وأبى إلا أن يذهبَ ليبحثَ عن إخوانهِ، غير أنّ أبا محمّد ذهبَ ولم يَعُد، نعم لم يَعُد إلى يومِنا هذا ولم ألتق به، ولعلّي ألتقي به في دارٍ خيرٌ من دارِنا وفي أَمنٍ بعد خوف، فالله أرحمُ الراحمين.

وبعد انتهاء المعركة، بدأنا بالبحث عن الإخوة فوجدنا الأَخويْن اللَّذَيْن ذهبَ يبحث عنهما أبو محمّد شهيدين- نحسبهم كذلك -، ولكن أبا محمّد لم نَرَه، وبحثنا وبحثنا، ولم نعثرْ له على أَثَر، فغلبَ على ظنّي أنّه أُسِر لكنه وبعد



خمسة أيّام وجدنا أبا محمّد تحت أبراج العدوّ المنسحب، فعرفنا أنّ الرّجل تقدّمَ حـتى اقتحم على العـدوّ لما لم يرَ إخوانـه، ثم استشـهد رحمهُ الله فوالله مـا تغيّر جسمهُ ولا لونهُ ولا رائحتهُ قيد أنملة على الرّغم من طول المُدّة وشدّة الحر.



أبو الغادية (٢٢)

جميلُ الخُلُقِ والخِلْقَة، طيّبُ الصُّحْبة والعِشْرَة، ذكيٌّ زكيٌّ نَحْسَبُه، متواضعٌ في غير ذِلَّة، ليّنٌ إلاّ في دِيْنِه، صَلْبٌ إلاّ معَ إخوانِه، خَدُوْمٌ مِنْ غير أَنَفَه، كان صاحِبُ سِرّ أسدُ الرّافديْن الأمين، وأوّل أصحابه المُقْدِمِين الأقْدَمِين "تقبلهما الله وغفر لهما".

من بلادِ الشّام من سوريا الحبيبة، طبيبُ أسنانٍ ماهر، هاجرَ إلى الله إبانَ فترة الدّولة الإسْلاميّة في أفغانستان، وهناك تعلَّمَ أوّل دروس العسكريّة، وتفجّرَت في نفسِهِ ينابيعُ العبقريّة الإداريّة، فقد كانَ يعشق النّظامَ والتّرتيب، يكره العشوائيّة والهمجيّة، يؤلِمُهُ كلّ شيءٍ في غير موضِعِه ولو كانَ كأس ماء، وكأنّ ذلك منبثق من طبيعة عمله كطبيب، لحقَ بركبِ أبي مصعب " تقبّلهُ الله وغفرَ له " مبكّراً واتّفقا على إحياءِ الجهادِ في بلادِ الشّام، وبدأ معهُ يرتّب أوّل لبنات البناء فكان معسكر هيرات، والتي ما تركَهَا إلا بعد الهجوم الرافضيّ عليها مستخدمين كلبهم "إسماعيل خان" وذلك إبان الهجمة التّتريّة الأمريكيّة على الإمارة الإسلاميّة الحبيبة.

وفي آخرِ لقطاتِ حياته في تلكَ المديْنة كنتُ أراهُ أمام عيني "أبا الغادية" مُحَاصراً مع مجموعةٍ من رفاقِهِ في بيْتٍ بقلبِ هيرات بالقُرْب من الجامع الكبيْر، وكأنّي الآن أسمعُ الحبيبَ وهو يتّصل بجهازه اللاسلكي ويُخبر أميره أبا مصعب



أنَّ مجموعةً من المرتزقة أحاطوا بمنزلِهم وطلبوا منهم الاستسلام، فيجيبُهُ القائد لا تفعلْ وسوف آتي لفكِّ الحصار مع الإخوة الطَّلَبة.

وبدأَ الحصار يشتدُّ ويتضايقُ الإخوة أشدّ الضّيق، وينشرُ أبو الغادية إخوانه في مواقع قتاليّة من السَّطْح وبالقرب من النّوافذ، وفجأةً تنهالُ عليهم الإطلاقات والرّمّانات اليدويّة من كلّ مكانٍ ويستبسل الإخوة في الدّفاعِ والقتالِ، وبعد يَأْسٍ من عدوٍّ جبانٍ يأتي الإخوة من الخارِجْ "الذين أرسلهم الشيخ أبو مصعب" فيفكّوا الحصار وينطلقُ الجميع سالمين آمين.

ثم يتّخذ الطالبان قرار مغادرة المدينة، فيستجيبُ أبو مصعب لقرارِ أولِيْ الأَمْر ويغادر المديْنة الى قندهار.

المهمّ، غادرَ أبو الغادية الإمارة كجلّ من غادرها بعد إصرارِ أولي الأمر فيها بتقليلِ العددِ إلى أقصى حدٍّ مُمْكِن وانتقل إلى موضع رأسه إلى بلاد الشّام، وهناك بدأت مرحلةٌ مهمّةٌ وخطيرةٌ من مراحل الشّاب الهادئ الوسيم.

وذلك بعدما ودّعَ "سابقاً" عيادَتَهُ والتي كان يعالجُ فيها النّاس مجّاناً حتّى لا يذهبَ أهل قريته إلى طبيْبٍ نصرانيّ كان يأخذ أجراً زهيداً جدّاً طَمَعاً منه في تنصيْرِهِم.

بالشَام بدأَ يضعُ لمسات التّنظيم العمليّة، فشاركَ مشاركةً فعّالةً في كلِّ مراحله، وفجأةً ظهر اسمُهُ وصورَتُهُ إلى العالَم بعد اتهامه بالضّلوع في محاولةِ تدميْر مقرّ الاستخبارات الأردنيّة الصهيونية، وحُكِمَ عليه بالإعدام غيابيّاً، لكنّ



الرَّجُلَ ما جلسَ في غرفةٍ مُصْمَتَةٍ وأحاطَ نفسه بهالةٍ من التّكتيم والحراسة، على الـرّغم من اشـتهار وانتشـار صـورته، بـل اسـتمرّ في العمـل وبلا كَلَـل، فقـادَ بتكليفٍ من الشّيخ أبي مصعب تنظيم بلاد الرافدين بأحد البلدان، وأخذَ الرَّجُلُ يحوطُهُ ترتيباً وتنظيماً حتى اشتدَّ عودُهُ وقَوِيَ أمْرُهُ وأصبحَ رافداً مهمّاً من روافدِ جهادِ العراق، ولما ضُيِّقَ عليه انتقل إلى العراق وبالتّحديد إلى الفلوجة، حيث حضرَ إليها قُبُيْل اقتحامها بشهر تقريباً، ففي إحدى أيّام العزّ كنتُ في زيارةٍ إلى ناحِيَةِ الشّهداء فاعترضني شابٌ وسيمٌ ممتلئ الجسم أبيضُ البشرة، أسودُ الشّعر ناعم، ببسمةٍ ملئ عيونه، وفرحةً باديةً على وجنتيه، قائلاً لي: خانتني كالعادة، فقلت: وجهك ليس غريباً عليّ لكن اسمك ما حضرني، ولا حتّى زمان اللقاء.

قال: يا رجل كنتُ آتيكم باستمرارٍ في مضافة الجماعة بكابُل، فتذكَّرتُهُ واحتضنتُهُ وجلستُ مَعَهُ نتذكرُ أيّامنا الخوالي، ونعيش أيّام عزّ الإمارة ولو لبضع دقائق، ثم انصرفتُ لسبيلي، وبعد ذلك أسند إليه القائد أبو مصعب "رحمه الله" إمْرَةَ شؤون المهاجرين بالفلوجة. وكعادته بدأ يُرَتِّب شؤون الإخوة أحسنَ ما يكون، فأحدث ولأوّل مرّة ديواناً للمهاجرين ورقماً سريّاً لكلّ مهاجر وأعطاهُ له، على أن يسجل اسمه وعنوانه وأهم ما يمكن عنه في ملفٍ سرّيٍ جدّاً في مكانٍ سِرّيّ.

فعملَ إحصاءً دقيقاً لعددِ المهاجرين لكل كتيبة، وتاريخ دخولهم، وأماكن تواجدهم، وأمرائهم، وغير ذلك من الدّواوين، فأجاد رحمه الله أيّما إيجادة.



ثم بدأت رُحَا الحرب أعني حرب الفلوجة الثّانية، وبدأت تزحف فيُرى دخانها ويُسْمَع أزيزها. واتّفقنا كما أسلفتُ على أنْ يكونَ مقرّ قيادة الأزمة في القلبِ أمام جامعِ الفردوس.

وهنا أُحِبّ أن أقفَ وقفةً عسكريّةً مهمّةً، لماذا مقرُّ القيادة في القَلْبِ وليس في المقدمة؟، حيث كُنْتُ منذ دقائق من كتابة هذه الأسْطُر في نقاشٍ مع بعضِ الإخوة بشأنِ هذا الموضوع، وأرى من الفائدةِ أن أنقلَ وجهةَ نظري إلى أحبّتي وإخْواني، اعلموا حفظكم الله أنّه من الخطورةِ أيّها الإخوة أن يكونَ قائد المعركة في المقدّمة، وخاصّةً إذا كانت المعركةُ مُتعدّدة الجوانبِ والأجنحةِ والفصائِل، فلقد جربتُ ذلك بنفسي ففي مرّة من مرّات هجوم العدوّ، حيث تقدمتُ إلى الأمام وصارَ القصفُ خلفي بحيث لا أستطيعُ الرّجوع، فأصبحتُ لا أرى إلا ذلك الحيّز الذي أنا فيه من الجبهة، ولا أستطيعُ متابعةَ شيءٍ سواه، وانقلبَ الأمر معي إلى جنديٍّ عاديّ وتحت العادي، إذ في الإخوة من هو أحسنُ وأشجعُ مني.

بينما ثبتَ إليّ بالتّجربةِ ما كنتُ أَقْرَأُهُ في القِدَم أنّ القائدّ لا بُدّ أن يكونَ في القلبِ أو في المؤخرةِ في مكانٍ يُشْرِف على المعركة.

المهِمّ أن يكونَ في مكانٍ يرى فيه جميعَ جوانبَ الجبهةِ ومحاوِرَها فيستطيع أن يُقَدِّمَ فصيلاً إلى محورٍ مَسَّهُ الضُّعْف أو يستجيب لنداءِ نقصِ العتادِ في محورٍ آخَر، أو يرى ثغرةً حدثت في نقطةٍ فيقدّم من يسدّها أو يسحبُ من قطّاعٍ جزءاً من قوّة لا يحتاجها أو يهتمّ بأمورٍ أُخْرى فيراها رأيَ العَيْن من الجرحى



والطعام وغيره. وهذا هو سرُّ بناء الصّحابة لعريشِ النّبي ﷺ في غزوةِ بدر، حيث كان في موضعٍ يتحكمُ ويُشرفُ على المعركةِ فيقدّم حمزةَ وعليّاً ويُؤخّرُ غيرهم، ويسدّ الميمنة ويُجْبِرُ الميسرة وغير ذلكَ من مهامِ القائد في المعركة.

المهمّ أنّ الشّهيد قد أخذَ مكانَهُ في حي نزّال أمام جامع الفردوس، وفي هذا المكان تجلّت شجاعةُ الأمير الشّهيد، حيثُ كان يتقدّم إلى المقدمة ويأخذ يحفّزُ الإخوة ويرتّب شئونَهُم ويقوّي من عزيمتِهِم، وما زالَ في ذلك على النّحو المعروف حتّى تمّ اقتحام نزّال وفي تلكَ الليلة المظلمة كنتُ جالساً وإيّاه مع أبي جعفر وعددٍ آخر من الإخوة ثم انحزت وإيّاه الى مكانٍ آخر، وأصبحَ الصّباحُ على معاركَ ضارية تكبّدَ فيها العدوّ الكثيرَ والكثير.

وما زلتُ أتقلّبُ معَ أخي وحبيبي من مكانٍ إلى آخر حتّى آخر ساعةٍ من ساعاتِ الفلّوجة، فما افترقنا قطّ في تلكَ الأزمة، وهنا أحبّ أن أُسَجّل بحصرِ الأشياء المهمّة التي حَدَثَتْ معهُ ومعنا والّتي كانت في بعض الأحيان ظّريفةً ومضحكةً، ومن ذلك

أنّنا لما اشتدُّ الخطبُ وأحاطَ بنا العدوّ من كل مكانٍ اجتمعنا ليلاً في بيتٍ من بيوت الجهاد، وفي إحدى غرف هذا البيْت الواقعة في مؤخّرة المنزل يُضيءُ مصباح "الكيروسيْن" والمجاهدوْن حوله يقولون يا الله.

و بدا لي حينها أنْ أقترح اقتراحاً، فقلتُ: إخواني، أرى واللهُ أعلم، حالُنا أشدُّ ضيقاً وضنكاً من أصحاب الصّخرة الذين دَعَوا بصالحِ أعمالهم، فهيّا ندعو



بصالحِ أعمالِنا لعلّ الله أن يُفرّج عنّا، وقلتُ: كأني يا أخواني أفهمُ من الحديث أن يكون الدّعاء علانية، أي أن يجهرَ كلّ واحدٍ منّا بأرجى أعماله عند الله، وذكرتُ أنّ المجالسَ بالأمانات، وتعاهدنا أن ينسى كلٌّ واحدٍ منّا ما قاله أخوهُ أو يتناساهُ بعد الدّعاء.

وبالفعلِ بدأَ الإخوة يجتهدونَ في التّقرب إلى الله بأرجى أعمالهم إلا أَخَوَيْن اثنين استحيا أن يذكرا شيئاً. وتمرّ الأيام والليالي، وإذا بجميع من دعى في تلك الليلة المباركة يخرج سالماً آمناً من أحداث الفلّوجة، والعجب العجيب أن الأخوين سالفا الذكر كُتِبَ لهما الشَّهادة ولم يخرجا، فالحمد لله على شهادة الإخوة وعلى سلامة الباقين. وكان مما دعا به حبيبي عبد الهادي "أبو الغادية" أمراً يتعلق بموضوع خدمة الإخوان ولولا ما تعاهدنا عليهِ لذَكَرْتُهُ الآن فالعذر منكم يا أحبابي.

و في هذه الأزمة تَنَقَّلْتُ والرَّجُل من بيتٍ إلى آخر واختبئنا من مكان لمكان حتى اضطرتنا ظروف الحرب أن جلسنا في جُحْرٍ صغير، والذي صارَ بصحبة عبد الهادي "أبي الغادية" قصراً كبيراً، فكانَ يخدِمُنا خدمةً عجيبةً إلا أنّه كان مقتنعاً أنّه طباخٌ وليس بذلك. ففي بعضِ الأيامِ صارتْ لنا فسحة الطّهي، فطهى لنا أرزاً تبيّن عند الأكل أنه وصلته النّار من الوسط ولم يكتمل طبخُهُ من الجوانب، فَأَوَّلَها أنّ النّار كانت صغيرةً تركّزت في الوسط، وفي المرّة الثانية جاء الأرز قد اكتمل طبخه من الوسط وغير جيّد من الجوانب، فادَّعى أنّ النّار كانت كبيرةً فلم تصل إلى الوسط. وفي المرّة الأخيرة كانت المفاجئة، حبّة أرز



مطبوخة وأخرى لم تكتمل، فادّعى أنّه خلط نوعين من الأرز، المهمّ لا يمكن أن تأكلَ أرزاً مطبوخاً بصورةٍ جيدةٍ أبداً والعذر دائماً موجود، فأخبرتُهُ أنّي سأشهرُ به في العالمين، وها أنذا أوفِ ما قلتُ وأعلم أنّه سيُسامحني لأنّه حبيبي.

كانَ لوجودِ عبد الهادي في الأحداثِ دوراً مهمّاً، حيث كانَ الطّبيبُ الوحيدُ معنا في تلك الأحداث، أعني في حي نزال، فكانَ على الرّغم من كونه صيدليّاً، إلا أنّه كان يُضمّدُ الجراحَ ويعطي العلاجَ ويقومُ بعملٍ جبّار في هذا الأمر، غير أنّه كانَ حريصاً ألا يعلمَ أحدٌ أنّه طبيب، فكان رحمه الله يجوبُ المنازلَ بحثاً عن بقايا دواء أو مُطَهّر أو عَسَل أو أي شيء يمكنُ أن يُفِيْد في تطبيبِ الإخوة والذين نزفَ أحدهم حتى الموت ولمدة ساعتين كاملتين، وأذكُرُ كل هذا ليَعْلَمَ المسلمون حاجة الجهاد للأطباء وكافّة التّخصصات الأخرى.

خرجَ أبو الغادية من الفلّوجة الثانية مُحمّلاً بالهمومِ وبالأفكار وأخذَ موضعه المعتاد بجانبِ صاحبه أبي مصعب الزّرقاوي فكان رسوله إلى النّاس وموضع سرِّه الأمين، وكالمعتاد، وفي إحدى المرّات أرسله الشّيخ إلى الحدود، أعني حدود الجزيرة (السّعودية) لاستقبال الشَّيخ "عبد الله الرشود" مع الشيخ أبي اللَّيث النّجدي رحمهُ الله، وفي تلك اللّيلة جاءت مداهمة الى تلك المنطقة، واستعدّ لها الإخوة ثمّ بدأوا بالاشتباكِ مع العدوّ، وبعد فترةٍ وجيزةٍ قصفَ العدوّ الجبان البيت بصاروخٍ مُوَجّه من طائرةٍ حربيّة ليجعلَ البيْتَ رُكَاماً ويبني للثلاثة قصوراً في جنانِ عَدْنٍ عند مليكٍ مقتدر.



هـذا وأُحِبّ أن أن أُنـوّه أنيّ أعلم جيـداً أنيّ لم أقـف على شـيءٍ من سـيرةِ الرّجل إلا مواقف بسيطة ما زالت بالذَّاكرة، لكنْ ما لا يُدْرَكُ جُلّه لا يُترُكُ كُلّهُ، والله يعفو عن خَطَأي وتَقْصِيري، أسألُ اللهَ أنْ يرْحَمَنَا برحمتِهِ التي وسعتْ كل شيء، اللهمّ آمين.

كما وأُحِبّ أنْ أُرَوّح عن نفسي وإخواني بنكتةٍ بسيطةٍ حكاها لي الدكتور أبو الغادية "عبد الهادي" حدثت له مع الشَّيخ الدكتور أيمن الظواهري إبان وجوده في أفغانستان، مفادها: أن الأخ (ذو الهمّة) أو (اللّوح) كما كان يُدْعَى من ضخامة جسمه وسُرْعة غضبه وقوّة بأسه لمن يبطش به، حتى أنّه ضرب عموداً للإنارة فأوقعه. المهم أن ذو الهمّة أرادَ أن يعمل عمليّة بواسير، وكان الذي سيتولّى عملها لهُ الدُّكتور أيمن "حفظه الله"، فجاء أبو الغادية مع ذي الهمّة، وقال للدّكتور: أُساعدك يا دكتور في العمليّة (لعدم وجوْد مُسَاعد)، فقال له الدّكتور أيمن: وحضرتك ماذا تعمل؟ قال: طبيْب. قالَ لهُ: أي تخصص؟، قال: أسنان، قال له الدُّكتور أَيْمن، "إحنا شغلتنا النّاحية الثّانية خالص".

وفي الختام: هذهِ قصيدةٌ في رثاء أبي الغادية "رحمه الله"، كَتبَهَا صديقه ورفيقَ دَرْبِهِ وأحد أحبّ الناس إليه، وهو الأخ أبو أحمد:

فؤادُكَ مكلومٌ وصُبْحُكَ غيهبُ *** وحُزْنُكَ من بحرِ النَّوائبِ يشربُ
مُصَابُكَ يا قلبي عظيمٌ فهل *** سَيُسْعِفُهُ دَمْعٌ من الشِّعر يُسْلَبُ
وغاية آلآم وجفن مسهد *** وبيداء أحزان بها العيس تنصبُ



نُمَسِّكُ بالآمال وهي بعيدةٌ *** وتُدْرِكُنا آجالنا وهيَ أقربُ

أبا خالد هَبْ لي بياناً فإنّني *** لفقدِكَ موتورُ القريحةِ مُتعبُ

أَعِرْ قلبيَ المحزون بعضَ فصاحةٍ *** فقد كنتَ في كل الميادين تخطبُ

ورشّاشك الهدّار أبلغُ خطبةٍ *** تُرتّلها يمناك زهواً وتسهبُ

أتتكَ علوجُ الرُّوم تنفثُ سمّها *** لها من ثعابيْن الرّوافض تسربُ

وقد كان صدّ الرّوم سهلاً فمن لنا *** بجرذان ليْلٍ وهي بالصّبح ثعلبُ

إذا صدقت ابدتك محض خيانة *** فكيفَ وفي كلِّ المحافلِ تكذبُ

قضى اللّهُ أمراً ما له غير عزمة *** يفجّرها ليثٌ سديدٌ مُجرّبُ

قَذَفْتَهُم ناراً فكانوا وقودها *** وصُبَّ عليهم من حتوفك أشهبُ

كأنّك في كفِّ المنيّة سيفها *** تطيح رؤوس الكفر أيّان تضربُ

أبا خالد هذي البطولة تزدهي *** على ذِكْرِكَ الميمون تيهاً وتطربُ

بعثتَ بروحِ الصِّدّق صَحْب محمّدٍ *** فحمزة والفاروق حيٌّ ومصعبُ

ستشهد هيرات بأنّك ليثها *** وتشهدُ بغداد بذاك وتكتبُ

وأنّك في ساح البطولاتِ ماجدٌ *** وأنّك في ليلِ الكريهة كوكبُ

وأنّك في تيهِ الشّدائدِ فرقدٌ *** وأنّك في جدبِ السباسب صيّبُ

ستذكُرُكَ الأنبار مُسعِّرُ حربها *** إذا انسلّ من صفّ الخميسين مُذئَب

ستبكيكَ شام العزّ نسراً محلّقاً *** جناحاك إيمانٌ وعزمُكَ مخلبُ

أبا خالد عذراً فمالي سوى الّذي *** كتبتَ وهل بحر المآثر يُكتبُ

رثاؤك فرضٌ ما قضينا أقلّه *** وهل يجبر الأركان شعر مهذّبُ



الأُخوّة الصَّالحة: أبو دجانة وأبو ناصر (٢٣)

عاشا معاً منذ الصِّغَر، يجمعُ العائلتين حُسْن الجوار، كانا لا يفترقان، زَلَّتْ أقدامهما في التّيه فترةً من الزَّمن، ثم عادا إلى الله معاً وصَدَقا في توبتِهما (نحسبهما كذلك ولا نُزَكّي على الله أحداً)، حَفِظَا القرآن معاً، ثم بدأَ التّفكير في الجهاد يُرَوادهما، ثمَّ يَسَّرَ الله لهما سلوك الطّريق فَخَرَجَا معاً مُهَاجرين إلى الله، وفي أرضِ الجهاد لا زال حادي الشَّهادة يدعوهما، ويَترَنَّمَان بها، ويجدّان في طَلَبِهَا، فاختارا العمليّة الاستشهادية وبلا تردّد، وما كان أحدٌ منّا يستغربُ أَنْ يطلبا ذلك لشدَّة عبادتِهما، صيامُ يوم وإفطارُ يوم، قيامُ اللَّيل، تلاوةُ القرآن آناءُ الليل وأطراف النّهار بلا انقطاع، تجلُسُ معهم فإذا الْتَفَتَّ حولكَ وجدتهم بين راكعٍ وساجد.

ومن أبرز ما وجدتُ فيهما أنّهما يطلبان من الله ما يريدان قبل النّاس، مهما كان الأمرُ صغيراً، ففي أحدى المرات ونحنُ جلوسٌ دخلَ الأمير ثم أعطاهم مبلغاً من المال، فكبّرا وفرَحَا جدّاً وقال أحدهما للآخر: ألم أقل لك؟. فسألناهما عن الخبر. فقال أحدهم: كنّا محتاجان إلى مبلغٍ من المال لنشتري به مصاحف لتوزيعها على النّاس، فقال أبو ناصر دعنا نطلبها من الله وحده، فما فرَغَا من دعائهما حتّى دخلَ الأميرُ يحملُ لهما المال، وأعجبُ من هذا حرصهما على توزيعِ المصاحف أكثرَ من قضاءِ احتياجاتهما الشّخصية، وقد أثّروا في النّاس فلا



تكاد ترى الإخوة قبيل غروب الشّمس إلا وهم منتشريْن ممسكٌ كلٌّ منهم بكتاب الأذكار "حصن المسلم" ويذكرون الله أنصاراً ومهاجرين.

جلسَ معهم أحدُ الإخوة ذاتَ يوم، فقال: الحاجة إلى الاستشهاديين شديدةٌ والانتخابات على الأبواب وقد عزمتُ على تنفيذِ عمليّة فما تقولان؟، فقام أبو دجانة وبَسَطَ يده للأخ وقال: أنا معك، أبايعك على الموت، ولم يقم أبو ناصر، وفي المساء بَسَطَ يده مبايعاً على العمليّة الاستشهادية، مَكَثَا في بيت الاستشهاديين، يختمون القرآن كل ثلاث، ووقع عليهما الاختيار للتنفيذ مع اثنين آخرين وخرجوا بعد صلاة الفجر وتواعدوا على اللقاء في التّاسعة صباحاً في الجنة، وفعلاً ما أتت التّاسعة إلا وقد رُزِقُوا الشّهادة (نحسبهم كذلك ولا نزكّي على الله أحداً) إلا أبو دجانة لم يُدْرِك هَدَفَه، فظلّ يبكي بكاءاً شديداً لفواتِه إلى صلاةِ الظهر وقالَ لمن معه: إنْ كنتَ تحبّني فابحث لي عن هَدَفٍ لا أرجع اليوم، ثمّ وصلَ إليه خبر تنفيذ إخوانه فازداد حزنه وبكائه، وبقيَ إلى صلاة المغرب ثم عادَ إلى البيتِ يبكي فحاولَ إخوانَهُ تصبيرَهُ وتهدئتَهُ وهو يبكي، فحاولَ أخونا أبو معاذ وقال: أخشى أن يكون بكاؤك لفراق أخيك أبي ناصر وليس شوقاً للقاءِ الله فراجِعْ نيّتك، فنظرَ إليه أبو دجانة وقال: لا أقول إلا شيئاً واحداً " اللهم قضيتَ حوائجَ المحتاجين وحاجتي لم تُقْضَ "، وظلَّ ثلاثة أيّام يخرجُ فجراً ويعودُ مساءاً لا يدرك هدفه حتى تغيَّرَ لَوْنَهُ واصْفَّرَ وجهه ولا يُجالس أحداً، يخلو بنفسه يقرأُ القرآن ويذكرُ الله ويبكي، وفي صباح اليوم التّالي، تهيأ للخروجِ فنظرتُ إليه وقلتُ لأبي معاذ، وجهه ليس من وجوه أهل



الدّنيا، ولمستُ وجهَهُ بيدي متأمّلاً فيه، وأذّنَ لصلاة الفجر أذانا تلذّ الآذان بسماعه ثمّ خَرَج، وبعد صلاة المغرب كان موعِدُهُ مع الشّهادة لِيَلْقَى ربّهُ بعد طول اشتياق وقد قتلَ أكثر من ثمانين مرتدّاً وأكثر من مائة جريْح.

أما أبو ناصر فكانَ يقولُ لإخوانه:

أيعجزُ اللهُ أن يجعلني في الفردوس الأعلى، ليس ذلكَ على الله بعزيْز، حُسْنُ الظنّ بالله لا بِعَمَلي، فاللهُ أكرمُ الأكرمين ولن ينقص من ملكه شيئاً، وإذا خرجتُ للتّنفيذ سأقولُ يا جوادُ يا كريمُ إلى أن ألقى الله، وقتلَ في ضربته أكثر من خمسيْنَ مُرتدّاً سوى الجرحى، فرحمهما الله وأسكنهما الفردوس الأعلى.



مُعَلِّمُ الفُرْسَانِ: أبو جعفر المقدسي (٢٤)

غايـةٌ في الأخلاقِ وعَلَمٌ في الجهـادِ، فهـوَ مِنْ أجملِ النَّـاسِ خُلُقَـاً، وأَنـداهُم صوتاً، وأشجعُهُم قلباً، وأقواهُم شكيمةً، وأحسنُهم فراسةً، وأوسعُهُم صَدْرَاً، وأجودُهُم يداً، وأحلمُهم طَبْعَاً.

صاحبُ الهمَّةِ العاليةِ، والنفسِ الأبيَّةِ، مُسَدَّدُ القولِ والعملِ الطَّيبِ المحبوبِ، لا يُعْجِبُكَ شيءٌ مِنْ أمورِ الدِّينِ والدُّنيا إلا وهو فِيهِ رأسٌ، - فلا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ -، ذلكَ هو الأخُ الحبيبُ "أبو جعفرٍ المقدسيُّ".

والعالمُ لا يُعلَّمُ، والعارِفُ لا يُعرَّفُ، فمن عجائبِ الأمورِ أنْ يَتحدّثَ النَّكرةُ عن المعارفُ، وأنْ ينبريَ لوصفِ قممِ الجبالِ قيعانُ الأرضِ، وأنى لها هذا وهي تسمعُ بالشّموخِ سَمعاً، فلا هي يوماً صعدتْ إليـهِ وحاشا للقممِ أنْ تهبطَ أو تهوي.

ما ظننتُ يوماً - أيُّها الأحبةُ - أنيَّ سَأَتَكَلَمُ عن هذا الأسدِ، أو أنيَّ سأَصِفُهُ قـطُّ، غـيرَ أَنَّ جميـلَ سِـترِ اللهِ يفيضُ عليَّ، فَلَـو أَنَّ للـذّنُوبِ رائحـة لـزكمتِ الأنوفَ، فيا ربّ سترِكَ وجميلَ عفوك.

أقولُ كنتُ دائماً وأبداً مقتنعٌ أنّي لن أودّع هذا الرّجل إنما هو من يودّعني، أولُ يومٍ رأيتُ هذا الأسدَ، كان في مخيّم عينِ الحلوةِ بجنوبِ لبنانَ حيثُ أتى مع صديقٍ لنا، ولمْ يتكلمْ تقريباً، فرأيتُ صمتاً لَطالما حلمتُ أنَّ يكونَ خُلقي، ولما



تكلَّمَ تحدرتْ مِنْهُ همومُ أُمةٍ تُشْعِرُ بأنَّ بركاناً يوشكُ أنْ ينفجرَ، وكان ساعتها يطلبُ طريقاً إلى أفغانستانَ غيرَ أنَّ اللهَ لمْ ييسرْ لهُ ذلكَ، فعادَ الرّجل إلى مكانهِ.

ومرتِ الأيامُ وتقلّبتُ بعدها في البلدانِ، وبعد حادثةِ الفلوجةِ الأولى وبينما أنا في زيارةٍ للشهداءِ - أعني حيَّ الشُّهداءِ - فإذا بشابٍ جسيمٍ وسيمٍ يُقبِلُ عليَّ متهللاً والبسمةُ ملئَ وجهِهِ يحضنُنِي ويُقْبِّلُنِي، ثُمَّ ذكَّرَنِي بنفسهِ وعلى الفورِ تذكرتُهُ، وأقبلَ علينا الأخُ الحبيبُ والأريبُ "أبو محمد اللبنانيُّ رَحِمَهُ اللهُ" قائلاً: أتعرفانِ بعضاً؟ قلنا: نعم، مُنذ زمنٍ.

كان البطلُ يُكَلَّفُ بالمهامِ الخاصةِ جداً فشاركَ في عمليةٍ استهدفتِ الـ"CIA" في شارعِ المطارِ- أعني مطارَ بغدادَ -، ثُمَّ كُلِّفَ بالبَحْثِ عن هدفٍ أجنبيٍ لاصطيادهِ أسيراً، وما زالَ يجدُ في هذا ويجتهدُ حتى كلَّفَهُ أبو محمدٍ اللبنانيُّ بإمرةِ سريّةِ العملياتِ الخاصةِ، والتي قامتْ فيما بعدُ بالهجومِ على بيتٍ في حي المنصورِ بعد الفجرِ مباشرةً، حيثُ تمكّنَ الأبطالُ من أَسْرِ بريطانيٍ واحدٍ وأمريكيينِ اثنينِ، وقد حَكى لي أبو جعفرٍ فيما بعدُ تفاصيلَ تلكَ الغزوةِ، وكيفَ استغلوا انقطاعَ التيار الكهربائي وخروج أحدهم من البيت لتشغيل المولد الكهربائي الذي كان أبو جعفر أتخذَ منهُ ساتراً فما إن وصلَ إليهِ عدوّ اللهِ حتى عالجَهُ أبو جعفرٍ وأوثقهُ قيداً دون أنْ يشعرَ بهِ أحدٌ مِمّنْ كانوا داخلَ المنزلِ ثُمَّ انطلق أفرادُ المجموعةِ بخفّةٍ عجيبةٍ وتدريبٍ راقٍ، كلٌ يعرفُ مكانَ اقتحامِهِ والغرفةَ المحددةَ لهُ كي يُطهرَها، وفي أقلِ مِنْ خمسِ دقائق انطلقتِ المجموعةُ بصيدِها تاركةً الحسرةً في قلوبِ أسيادِهم، أما سببُ اختيارِ وقت



انقطاع التيار الكهربائي فلهُ أسبابٌ كثيرةٌ، لكنَّ أهمَ شيءٍ هو أنَّ أعداءَ اللهِ كانوا لا يخرجونَ قط من المنزلِ وكانتْ أبوابُهُ غايةَ في الإحكامِ وقد زادوها أبواباً حديديةً أُخرى، والعمليةُ لابُدَّ أن تتمَ بهدوءٍ؛ لأنَّ المنطقةَ مليئةٌ بالجماعاتِ الخاصةِ.

ثم مضتِ الأيامُ وبدأَ أبو جعفرٍ بتشكيلِ (قوةَ التدخلِ السريعِ) وذلك بأمرٍ مِنَ القائدِ الشَّهيدِ والسَّيدِ الحبيبِ أبي مُصعب الزرقاوي [تقبّله الله وغفر له]، حيثُ كانَ ذلكَ قبْلَ أحداثِ الفلوجةِ الثانيةِ، وكانت لهذهِ القوةِ أهدافٌ كثيرةٌ أهمّها:

- سدُّ أيَّ ثغرةٍ قد تنشأُ في نقاطِ الحمايةِ التي تحيطُ بالمدينةِ.
- دعمُ نقاط الضّعفِ حالَ المعاركِ وفقدانِ الرّجالِ.
- حمايةُ المدينةِ من أي إنزال يتم خلف الخطوط، بحيث يكونُ مكانُ القوةِ في القلبِ.

فواصلَ هو وأخوهُ القائدُ الشَّهيدُ "أبو خُبيبٍ التركيُّ" العملَ ليلاً ونهاراً من أجلِ تشكيلِ هذهِ القوةِ، وقدْ تمَ ذلكَ في ظَرفٍ حسّاسٍ جدّاً، حيثُ كانَ القصفُ يطالُ أدنى تجمعٍ، فكانَ التَّدريبُ فَردياً (يُدرّبونَ واحداً واحداً)، ثم يتمُ جمعُ كلّ مجموعةٍ مع بعضٍ في بيتٍ من بيوتِ المدينةِ والتي أُعِدّتْ سلفاً في قلبِها.



ثم بَدأَ التناغمُ بينَ تلكَ البيوتِ بحيث تَشكلَ فريقُ عملٍ مترابطٍ على الرغمِ من تباعدِ الدِّيارِ، وكما قلتُ لصدِّ أي إنزالٍ قد تتعرضُّ إليهِ المدينة، وقدْ نفعَ اللهُ بهذهِ القوةِ نفعاً كبيراً إبانَ معارك الفلوجةِ الثانيةِ، حيثُ احتلَّ أعداءُ اللهِ مُستشفى الفلوجةِ العامَ، فقلتُ لأبي جعفرٍ: أشعرُ أنَّ نقطةَ (الجُغَيفِيّ) ضعيفةٌ -وهو حيٌّ من أحياءِ الفلوجةِ- فادفعْ بمجموعةٍ إليهِ، وبالفعلِ انطلقَ أُسُودُ التَّوحيدِ إلى الجبهةِ وبينما هُم أثناءَ الطريقِ إذا بالعدو يندفعُ بقوةٍ من هذهِ النقطةِ وعلى طريقةِ رأسِ السَّهمِ، فانتشروا أمامهُ وقد أخذوا من بعضِ البيوتِ ساتراً، ثم شرعوا في فتحِ البيوتِ على بعضٍ فثقبوا الجدرانَ حتى أصبحَ أعضاءُ الفريقِ يتحرّكونَ من أولِ الخطِ إلى آخرهِ بحريةٍ، وبدؤوا يتقدمونَ للنزالِ ثلاثةً ثلاثة.

وكان أبو جعفرٍ في ذلك الوقتِ قد حُوصِرَ في حيّ الأندلسِ مع أسد اللهِ القائدِ أبي صُهيبٍ اللبنانيّ، والأسدِ المغوارِ أبي حفصٍ المقدسيّ والذي كان شِبهُ مُعاقٍ؛ لأنَّهُ كان مُصاباً في رجِلهِ. وبدأَ أبو جعفرٍ وأصحابُهُ بحيّ الأندلسِ معركةً من أشرسِ المعاركِ حتى أَنَّ أبا صهيبٍ أوشكَ أنْ يأسرَ طاقمَ دبّابةٍ أمريكيةٍ لوحدهِ غيرَ أنَّ الظرفَ والحالَ لمْ يشجعاهُ على ذلكَ.

ومن عجائبِ الأمورِ أنَّ الفريقَ الثلاثيَّ "أبو جعفرٍ - أبو صهيبٍ - أبو حفصٍ" اشتبكوا مع إحدى الهمراتِ من منزلٍ كانوا فيهِ فدمّروها بالكاملِ وقتلوا مَنْ فيها ثم أصابَ أبو صهيبٍ بقاذفتهِ كبدَ مدرعةٍ كانتْ بالقربِ مِنْها، وفي ذلكَ الحين جاءتْ الدبّاباتِ إلى إخوانهم من كلِّ حدبٍ وصوبٍ



وحاصرتْ الفرعَ الذي كانَ فيهِ الإخوة واقتربتْ دبّابةٌ من البيتِ الذي هم فيهِ ثم وجهتْ مدفعَها ناحيةَ البيتِ واستعدَّ الإخوة للموت.

وإذا بديكٍ على سطحِ البيتِ يرفعُ رجلَهُ ويقفُ على الثانيةِ، ثم أخذَ يصيحُ، فو اللهِ -والقولُ لأبي جعفرٍ-: "ما وقفَ عن صُياحهِ حتى لكأنّ الأمريكانَ يسوقُهم ملكُ الموتِ! أخذوا يفرّونَ مِنْ الفرعِ بما فيهم الدبّابةُ التي كانتْ أمامَ بيتِنا حاملينَ قتلاهُم وجرحاهُم، فسجدنا للهِ شكراً".

وبدأتْ بعضُ المعاركِ الجانبيةِ إلا أنَّ حيَّ الأندلسِ يكادُ أن يكونَ الآنَ مسيطرٌ عليهِ من قبلِ الأمريكانِ؛ ولأنَّه أولُ الأحياءِ من جهةِ الجسرِ، وكذلكَ فهو الحيُّ الذي يوجدُ فيهِ السّوقُ، فهو من الأهميةِ بمكان بالنسبةِ لمنْ يريدُ السّيطرةَ على المدينةِ، وفي تلكَ الأثناءِ كانتْ بالجهةِ المقابلةِ في حيّ نزّال، وقدْ فقدَ الجميعُ القائِدَ أبا ناصرٍ الليبيَّ، فقلتُ: اللَّهُمَ أجرني في مصيبتي واخلفْ لي خيراً منها.

وأرادَ أبو جعفرٍ وأخواهُ العبورَ إلينا إلا أنَّ أبا حفصٍ المقدسيَّ رفضَ ذلكَ وقالَ: لا بُدَّ من عبورِ الشَّارعِ العامِ وهو ملغمٌ بالدبّاباتِ، وكانتْ نقطة عبورنا أمامَ الدبّابةِ لا تتجاوزُ المائةَ مترٍ.

وبينما هُمْ في صمتٍ يفكرونَ، فإذا بأبي جعفرٍ يقولُ لأبي حفصٍ: أتسمع!؟ قالَ: نعم، ولكن قلْ لي باللهِ عليكَ أنتَ ماذا تسمعُ؟، قال أبو جعفرٍ: أسمعُ صهيلَ خيولٍ، فقالَ أبو حفصٍ: واللهِ إني لأسمعُ وقعَ أقدامها على الأرضِ،



وقطعوا الطريقَ ولم يطلِقْ العدو عليهم طلقةً واحدةً، فسبحانَ مَنْ أعمى عنْهُم العيونَ وسَتَرَهُم بسترهِ بعدما أسمَعَهُم كرامتَهُ.

وفجأةً رأيتُ القائدَ أبي حفصٍ والقائدَ أبي صهيبٍ أمامي فسجدتُ للهِ شكراً، وقلت: سبحانَ الله فقدنا واحداً ورُزِقْنَا باثنينِ، وعلى الفور أُسْنِدَ إلى أبي جعفرٍ قيادةَ الجبهةَ الشَّرقيةَ، وأُسْنِدَ إلى أبي صهيبٍ قيادةَ الجبهةَ الغربيةَ، وأُسْنِدَ قبْلَ ذلكَ قيادةَ المقدمةَ إلى أبي أحمدَ الأنصاريِّ.

وبعدَ طولِ معاركٍ وقَصفٍ عنيفٍ بكلِّ أنواع الأسلحة طالَ كلَّ شبرٍ من نقاطِ الجبهةِ اقتحمَ العدو الخطوطَ الأماميةَ في ليلةٍ سوداءَ مستخدماً المناظيرَ الليلية، وتسنِدُهُ في كلّ ذلك القاصفةُ (C130) جوّاً، حيث كانت تقصفُ كلَّ من يحاولُ التصدي، فكانوا يرونَنا ولا نَراهُم؛ لأنَّ طائراتَ الاستطلاعِ كانتْ تطيرُ بسمائِنَا بكثافةٍ إلى درجةِ أنَّهُ كانَتْ تُوجدُ لكلِّ دبّابةٍ طائرةُ استطلاعٍ صغيرةٍ جداً أمامها نسميها نحنُ "النسر" لشبَهِها بهِ.

اقتحم العدوُّ الجبهةَ وفي صباحِ اليومِ الثاني بَدأنا حربَ شوارعٍ ضروساً، وفي لحظةٍ مِنْ تلكَ اللحظاتِ حملَ القائدُ البطلُ أبو جعفرٍ قاذفةً وتقدمَ إلى وسطِ أحدِ الأفرعِ وبينما هو يسددُ إلى العدوِّ القاذفةَ، أمطرهُ عدوُ اللهِ بوابلٍ مِنْ مدفعِ دبّابةٍ (عيار ٣٢ ملم).

فأُصيبَ عِضْدُ أبي جعفرٍ، فجاءَ إلينا متبسماً قائلاً: لم أتمكنْ للأسف من ضربِ القذيفة، وواللهِ ما تأوّهَ، وكشفنا ثيابهُ (عفواً مزّقناها)، وهالني منظرُ



الضربةِ، كنتُ أستطيعُ أنْ أضعَ قبضةَ يدي في حفرةِ الجُرحِ!، فأغمضتُ عيني وتنحيتُ جانباً تاركاً لإخواني القيامَ بمعالجتهِ.

وأسدلَ الليلُ ستارَهُ، وأَطبقَ صمتٌ رهيبٌ على أماكنِ تجمّعاتِ الشّبابِ وتحجمتِ الحركةُ إلا ما شذَّ ونَدَرَ، وبدأَ الإخوة يضعونَ الحراساتِ، وبالطبعِ لم يضعوا أسمَ أبي جعفرٍ، فقالَ: واللهِ لا أشكو شيئاً، أستطيعُ أنْ أحملَ السلاحَ بيدٍ واحدةٍ، ثم قالَ: انظروا وكذلكَ أُسَدِدُ. وكانَ أبو جعفرٍ مفتولَ العضلاتِ وحَبَاهُ اللهُ بوافرٍ من الصّحةِ تماماً كوفرةِ أخلاقهِ وشجاعتهِ.

فتعجبتُ -يعلمُ اللهُ- من عزيمتهِ وقوّةِ بأسهِ وشكيمتهِ لنفسهِ وعدوّهِ ومصابرتِهِ الآلامَ كما هي الأحزان، وفي تلكَ الليلةِ كانتْ حراستي معهُ، وأشهدُ باللهِ أنَّه كانَ لا يدعني أخرجُ إلى الطريقِ لأتحسسَ أيَّ صوتٍ غريبٍ أو إنارةٍ شاردةٍ، بل كان يحميني بنفسهٍ ويَعزُ عليَّ ذلكَ، على الرّغمِ من مرورِ ساعاتٍ قليلةٍ على جرحٍ ثقيلٍ، وسبحانَ الله، لم يكنْ عندنا بالطبعِ دواءٌ ولا غيرهُ إلا أننا وجدْنَا في بعضِ البيوتِ بقايا عسلِ نحلٍ، فجعلَ أحدُ الإخوة (وهو الأخُ الدكتورُ أبو الغاديةِ) ينظّفُ جرحَهُ ويضعُ عليهِ قليلاً جداً من العسلِ، واستمرَ العلاجُ لمدةِ أسبوعينِ، بعدها فوجئ الجميعُ أن أبا جعفرٍ برئَ من جرحِهِ!، بل واللهِ رأيتُ لحمَ عضدهِ ينمو مكانَ الجرحِ بصفةٍ يوميةٍ ملحوظةٍ، حتى ليُخَيَّلُ إليكَ كأنَّ أحداً يأتي بقطعِ اللحمِ ويضعها في الجرحِ الغائرِ، والذي يحتاجُ إلى أشهرٍ طويلةٍ، ولكن التأمَ في أيامٍ قليلةٍ -فسبحانَ الله-.



ومضتِ المعركةُ وبدأتِ الأحزانُ تهبطُ علينا وكان أبو جعفرٍ لا يعرفُ الحزنَ وليس له بصاحبٍ، بل هو المبتسمُ دائماً، يزيلُ الهمّ بمجردِ رؤيتهِ. ومضتِ المعاركُ قويّةٌ ضروسٌ وانتشرَ الإخوة في مجموعاتٍ قتاليةٍ، وأنحازَ أبو جعفرٍ مع مجموعةٍ ولكنهم حوصروا من كلِّ حدبٍ وصوبٍ، وتفرقَ الإخوة في البيوتِ وأرادَ أبو جعفرٍ أن يلحقَ ببعضِ إخوانهِ، بينما هو أفلتَ بأعجوبةٍ من قصفِ بيتٍ خرجَ منهُ كأنَّهُ لتوهِ خرجَ من القبرِ، وقد وجدَ أمامهُ ممرّاً صغيراً بين بيتينِ، فاندفعَ فيهِ ولما توسطَ الممرَ إذا بجنديٍ أمريكيٍ يُصَوّبُ رشاشهُ من سطحِ البيتِ (STOP) قفْ- قفْ، فتوقفَ الأسدُ ونظرَ فوقهُ فإذا بعدوّ اللهِ يُصَوّبُ عليهِ رشاشهُ، وبخفةِ البرقِ استلقى على ظهرهِ ثم أمطرَ عدوَّ اللهِ بوابلٍ مِنْ رشاشهِ فوقع على ظهرهِ، ثم أندفعَ أبو جعفر بسرعةِ البرقِ إلى داخلِ البيتِ ولا يدري أبو جعفر إن كان قُتِلَ عدوُ اللهِ أم لا. وفي داخلِ البيتِ وجدَ مجموعةً من الإخوة بينهم الأخُ محمد جاسم العيساويُّ، وإذا بالبيتِ يُحاصرُ من كلِّ مكانٍ، وتنطلقُ مكبراتُ الصَّوتِ أنْ سلّموا أنفسَكم أنتم محاصرونَ من كلِّ مكانٍ لا مفرَ، هيا اخرجوا.

ولم يخرجْ الإخوة، وبعد ثواني معدودةٍ أُمْطِر البيتُ بوابلٍ من مِدفعٍ (البكتا)، ثم قذائف الدبّابةِ حتى لم يبقَ على ظنّهم ذو نفسٍ إلا وقَضَى، واقتحمَ عُبّادُ الصَّليبِ البيتَ ثم دخلوا إلى أحدى الغرفِ فوجدوا الأبطالَ بانتظارهم، حيث أمطروهم بوابلِ رشاشاتِهم، فخرجَ عُبَّادُ الصَّليبِ يهرعونَ تاركينَ ورائهم ثلاثةً من القتلى غيرَ ما سحبوهُ من الجرحى، وعندها بدأتِ المدفعيةُ تدكُّ البيتَ من



كلِّ جانبٍ واستمروا على ذلكَ فترةً يرمونَ البيتَ بكلِّ ما يستطيعونَ، ولما اطمأنّوا أنَّهُ لا يمكنُ يقيناً أن يَبقى أحداً حيّاً دخلوا إلى البيتِ على وجلٍ، وإذا بليوثِ الجهادِ يمطرونهم بوابلٍ من الرصاصِ، لكن هذه المرة مِنْ سائرِ الغرفِ ومن الطابق العلويِّ (عفواً بقايا الطّابق العلوي). وهرولَ عُبَّادُ الصَّليبِ تاركينَ عدداً من القتلى مع ما بِهِم من الجرحى، ثم أخذوا يقصفونَ البيتَ مرةً أخرى من كلِّ حدبٍ وصوبٍ ولما اطمأنّوا أيضاً إلى النتيجةِ الحتميةِ لهذا الركامِ من الترابِ وإنَّهُ حتماً لا أحياءَ احتاطوا في هذه المرة فجاؤوا من أعلى (أي من السّطحِ)، وبدؤوا بإلقاءِ القنابل بكثرةٍ داخلَ سطحِ البيتِ وفي الغرفِ، فوقعتْ إحدى القنابل بين يدي محمد جاسم، ففقدَ بصرهُ في الحالِ، ووقعتْ أخرى بين قدمي الشهيد الأسد سامي الشرجيّ" فقطعتْ قدماهُ، ورأى أبو جعفر المنظرَ فخرجَ إلى عُبَّادِ الصَّليبِ يصليهِم برشاشهِ، ولكنَّهُ ولمزيدِ البلاءِ توقفَ رشاشهُ فجأةً وحشرتْ فيه إطلاقةٌ، وكان أبو جعفر على خلافِ الإخوة يحملُ (M16 أمريكي) بينما عامّة المجاهدينَ سلاحهُم (الكلاشنكوف الرّوسي)، وسَمِعَ محمد جاسم أنّ سلاحَ أبو جعفر قدْ توقفَ، فتحسسَ سلاحهُ ونادى أبا جعفرٍ أن خُذْ سلاحي ولا تجعلهم يقتربونَ منّا فإني لا أرى شيئاً، فتناولَ الأسدُ سلاحَ أخيهِ وبدأَ يسطرُ ملحمةَ البطولةِ ومازالَ بهم حتى ردّهم عن البيتِ!، ثم رفعَ أبو جعفر قدما سامي الشّرجي إلى بعض الرّكامِ.

وبدأتِ الدماءُ تنهارُ غزيرةً من الأَخَوَيْنِ وبدأتِ الدّموعُ معهم أغزرُ وأشدُ، فلمْ يطقْ الأسدُ المنظرَ فأخذَ رشاشهُ واقتحمَ على العدوِ خارجَ المنزلِ وبينما هو



ينقضُ عليهم كالأسدِ إذا برصاصِ العدوِ ينهالُ عليهِ، فألقى بنفسهِ بخفةٍ شديدة وكأنَّ ملكاً رفعهُ إلى الجانبِ الآخرِ من الطريقِ! ودخلَ أحدَ البيوتِ، إلا أنَّ أعداءَ اللهِ تركوهُ ولم يدخلوا عليه واكتفوا بعدةِ قذائف أصابتِ البيتَ ودمرتْ واجهتهُ وحطتْ ما فيهِ إلا أنها كانتْ برداً وسلاماً على أبي جعفر.

استمرتْ معركةُ البيتِ سابقِ الذكرِ من التاسعةِ صباحاً إلى الرابعةِ عصراً، وقد كنتُ على مقربةٍ من البيتِ على بعد نحو خمسينَ متراً أسمعُ هذا الاشتباكَ ومعي بعضُ الإخوة، إلا أني لا أفهمُ ما يدورُ حتى عرفتُ ذلكَ بعد من أخي؛ وذلك لظروفِ القتالِ والاشتباكِ والذي كان يدورُ من بيتٍ لبيتٍ ومع كلِّ مجموعةٍ على حدة.

نامَ أبو جعفرٍ في تلكَ الليلةِ مع أخٍ آخرَ كانَ معهُ، كلاهما أقعدتهما الجروحُ، فقد أُصيبَ أبو جعفرٍ في أكثرِ من عشرةِ مواضع بالقدمِ والكتفِ وبالقربِ من أماكنَ خطيرةٍ منها القلب و...، وقد عالجتهُ بنفسي من هذه الجروحِ، عفواً كنت فحسب أمسحُ ما يخرجُ منها من صديدٍ، ونضعُ عليها بعضَ الملابسِ النظيفةِ يومياً، وهذا كان تضميده!.

يقولُ الشَّهيدُ [نحسبه كذلك]: أردتُ في منتصفِ الليلِ أنْ أذهبَ إلى الخلاءِ وبينما أنا أَهِمُّ بالجلوسِ لحاجتي سقطتُ وقد أُغميَ عليَّ وما يشعرُ بيَّ صاحبي لشدةِ آلامهِ أيضاً، ثم فقْتُ بعدَ نحو ساعتينِ، وما هو إلا قليلٌ حتى أغميَ عليَّ أيضاً ثم فقتُ وزحفتُ إلى صاحبي وبينما نحنُ في شدةِ الآلامِ وضراوةِ الجروحِ،



قلت لـهُ: لا بُـدَّ أنْ نغـادرَ هـذا الـبيتَ وهـذا الفـرعَ إلى الفـرعِ المقابـل، قـال: فتحملنا حتى دخلنا إلى بيتٍ آخرَ.

وبـدأنا نشعرُ بعطشٍ شـديدٍ أنا وصـاحبي، وعبثاً فتّشـنا عن مـاءٍ لنشـربهُ فلم نجدْ، فنمتُ وصـاحبي ننتظرُ الموتَ ومـا شـككنا في رحمةِ ربِّ العـالمينَ، وفجـأة استيقظنا من النومِ فـإذا (بقربـةِ مـاءٍ!) ليسـتْ معلومـةً لنـا كمـا إنَّها لا تستخدمُ للشربِ (في هـذهِ المنطقةِ) فأسرعنا إليهـا وشرِبْنَا منهـا، فمـا شـككنا أنَّها من اللهِ وأنَّها من السّماءِ.

قـال: ونظرنا غـيرَ بعيـدٍ فـإذا ببطيخـةٍ طازجـةٍ كأنَّها لتوّهـا قـد جيءَ بها من الزّرعِ تلمعُ بخضـارها ونضـارتِها!، فأسـرعنا إليهـا حبـواً وفتحناهـا، يقـول أبـو جعفـر: فـو اللهِ مـا ذقتُ قـط أطيبَ ولا أجملَ، ولا يمكنُ أنْ أصـفَ حلاوتَها وطيبَ مـذاقِها، وكـذلك مـا شـككنا أنها من الله. إذ أنّ الـوقتَ ليس وقتُ حصادِ البطيخِ وأنى للبطيخِ الآنَ؟، وحتى لو كان ذلك متى جاءتْ إلى هنا وقد مضى شهرٌ ونصف على خروجِ كلِّ العوائلِ وهذه خضراءُ يانعةٌ!؟، فحمدوا اللهَ وسجدوا لهُ شكراً وبقوا على رعايةِ الله المنّانِ.

وفي تلك الأثنـاءِ كـان الأخُ أبو الربيعِ -فكَ اللهُ أسرهُ- قـد جمعَ ثلاثـةً من الشّبابِ على رأسهم الشَّهيدُ أبو الزبيرِ وقال: هيا نبحثُ عن إخوتنا، هيا نفتش المدينة بيتاً بيتاً، نجمعُ الإخوة ونساعدُ الجرحى ولعل اللهَ يجمعنا بأبي الغادية وأبي جعفرٍ وفلان (يعني العبدَ الفقيرَ).



وبدؤوا رحلةَ البحثِ ومضى اليومُ الأولُ بتعبهِ وكثرةِ مخاطرهِ، ولم يعثروا على أحدٍ، ثم استأنفوا البحثَ في صباحِ اليوم الثاني، وبينما هم دلفوا إلى ساحة أحدِ المنازلِ وكعادتِهم إذا دخلوا أيَّ منزلٍ سلّموا على من فيهِ بسرعةٍ ثم صاحوا بأسماءِ الثّلاثةِ المعنيينَ؛ ولأنَّ الجميعَ يعرفُهم فهو أجدى لخروجِ الإخوة إذا سمعوا من يذكرُ أسمائَهم. وبالفعلِ عثروا على أبي جعفر في كنفِ اللهِ يأكلُ البطيخَ ويشربُ من فضلِ اللهِ، وفي نفسِ اليومِ عثروا عليَّ وعلى باقي الإخوة؛ إذ كنا قد اجتمعنا جميعاً في منطقةٍ واحدةٍ أعني- نحنُ أصحابُ "حي نز ال"-، وبالفعل تمَّ تقسيمُ الإخوة إلى مجموعاتٍ مرةً أخرى وكان نصيبُ أبي جعفرٍ معي وفي مكانٍ ما (اللهُ به عليمٌ) بدأَ أبو جعفر رحلةً أخرى، بدأ يحفظُ كتابَ اللهِ فتعجبتُ من سرعةِ حفظهِ؛ إذ كان يحفظُ بسهولةٍ نصفَ جزءٍ في اليومِ! وفي وقتٍ قصيرٍ! وكانَ يسمِّعني يومياً، وأحياناً يزيد ربعاً أو ربعينِ.

ولا أُطيلُ عليكم فقدْ مضتْ أيامُ الفلوجةِ بحلوِها ومرِّها، واستقرَ المقامُ بأبي جعفرٍ في المنطقةِ الغربيةِ التي يسيطرُ عليها مجاهدو القاعدةِ حيثُ حرّروها مدينةً مدينةً، وكانتْ منها القائمُ (محطةُ العبورِ) كما كانَ يحلو للأمريكانِ تسميتها، فشنَ العدوُ هُجوماً عليها أسماهُ عمليةَ (قرنِ الثورِ) وأراد أن يخرق بالقرنِ سياجاً من صلابة الإيمانِ بمكان، فردَّ اللهُ كيدَهُ في نحرهِ، وكان أبو جعفر آنذاك مَسْؤُولَ الإخوة العسكري، فأمرَ بإخراجِ الإخوة من منافذَ أُعِدتْ سلفاً لذلك، وبقى هو في قلّةٍ قليلةٍ يقاتلُ حتى الموت؛ حتى لا يأخذُ أعداءُ اللهِ المدينةَ لقمةً سائغةً، ومرتْ أيامُ الحربِ وفي كلِّ يومٍ يزدادُ العدوُّ خسارةً وانكساراً، ويزدادُ



الإخوة في أسبابِ السَّماءِ، وفي لحظةٍ من لحظاتِ الضّيقِ وقسوتهِ، اجتمعَ جندُ الإيمانِ واستشاروا أبا جعفرٍ في تركِ المدينة، فكان قوله "والله ثم والله ساعاتٌ ويولي العدو الدُّبُر"، وكان ذلك يومُ الجمعةِ، وبالفعلِ أرادَ العدوُ أن يقتحمَ نقطةً مهمةً فانفجرتْ دبّابةٌ لهُ، بفعل لغمينِ وضعا على نغمةٍ واحدةٍ في نفسِ المكانِ إلا أنَّ عبوةً واحدةً فقطْ انفجرتْ وأصابتْ هدفها وظنَّ الإخوة أن العبوتينِ انفجرَتا، ولما جاءتْ الدبّابةُ الثانيةُ؛ لحملِ جثثِ وأشلاءِ أُخْتِها المتناثرةِ الخائبةِ الخاسرةِ، عبثَ أحدُ الإخوة بجهازِ التفجيرِ مازحاً مع من بجوارهِ، فقال: أضغطُ؟، (يمكن يا ولد عندي كرامة)، فضَحِكَ الجميعُ، وضغط فإذا بالكرامةِ تنطلقُ لتفجيرِ العبوةِ الثانيةِ بدقّةٍ في قلبِ الدبّابةِ!، فهللَ الإخوة وكبّروا، وتركَ العدوُ أشلائَهُ وانصرفَ، وظن الإخوة أنَّه سيعاودُ الدخولَ مِنْ مكانٍ آخرَ، وباتوا ليلتهم وهم راغبونَ إلى اللهِ وطامعونَ في فضلهِ، وفي الصَّباحِ نَظَرَ الإخوة فإذا بالعدوّ ينسحبُ تاركاً بعضَ أغراضهِ وأشلائهِ، معلناً للعالمِ أنَّ عمليةَ رأسِ الثَّورِ أو قرنِ الثَّور (نجحتْ وحققتْ أهدافَها!).

فعَجِبَ القائدُ وجنودهُ من لطفِ اللهِ ورحمتهِ وتوفيقهِ بالنَّصرِ، وكيفَ يأتي اللهُ بهِ لأسبابٍ لا يعرفُها البشرُ ورأوا كرامةَ ذلكَ، وهل تعجبُ أكثرُ يا أخي؟ عندما تعرفُ أنَّ عددَ من قاتلَ مع أبي جعفرٍ لا يزيدُ على (خمسةَ عشرَ نفراً!)، بقوا فقطْ ليموتوا وطلباً للشهادةِ ونكايةً في العدوّ، فأرادوا أمراً وأرادَ اللهُ لهذهِ القلوبِ والنِّفوسِ أمراً آخرَ، أرادَ لهُم العزةَ وفرحةَ النَّصرِ، وواللهِ ما أخطأتِ الشهادةُ أحدَهم بعد ذلك فإنا للهِ وإنا إليه راجعون، ومضتِ القافلةُ.



وفي يوم من الأيامِ وصلتْ إلى القائدِ أبي جعفر رسالةً من أخيهِ الإمام أبي مصعبٍ الزرقاوي [تقبّله الله وغفرَ له] يأمرهُ فيها بإعدادِ وتدريبِ عددٍ من الإخوة إعداداً شاقاً وأنْ يختارَ من الإخوة خيرِهم خُلُقاً وديناً وجسماً وذلك لمهمةٍ خاصةٍ، يقومُ بتقسيمها لمجموعاتٍ صغيرةٍ كل مجموعةٍ مكونةٍ من خمسةِ أشخاصٍ عليهم أميرٌ، وأَمَرَهُ بأنواعٍ معينةٍ من التدريباتِ كتسلقِ الجدرانِ وعبورِ الحواجزِ المائيةِ وغير ذلكَ، فانخرطَ الأخُ في إعدادِ للإخوةِ متواصلٍ بلا كللٍ أو مللٍ، وفي سريةٍ تامةٍ، وكانتْ هذه هي مجاميعُ اقتحامِ سجنِ أبي غريب -فرضي اللهُ عن أبي جعفر وإخوانهِ-، ثم أُنيطَ للقائدِ تشكيلِ قوّةٍ خاصةٍ مهمّتها عملياتُ الخطفِ للأجانبِ وخاصةً أعداءَ اللهِ المحتلينَ منهم.

ثم بدا لأسدِ الرافدينِ أنْ يؤثرَ نفسهَ بالقائدِ أبي جعفر؛ ليكونَ رفيقهُ في حلِّهِ وترحالهِ ونومهِ وقيامهِ، ورسولهُ إلى المناطقِ ومستشارهُ العسكريُّ وحتى الإعلامي، وبدأتْ مع القائدِ رحلةٌ شاقةٌ لا يعرفُ صعوبتَها إلا من يعرفُ كيف كان يعيشُ أسدُ الرافدينِ أبو مصعبٍ.

وبدأتْ الأيامُ تمرُ، وفي مرةٍ قابلتُ أبا جعفر فوجدتُ الإجهادَ واضحاً عليهِ، قلتُ: ما لكَ؟ قالَ: واللهَ لو كلّفني الشيخُ بهدِّ جيشٍ من الأعداءِ ما تعاجزتُ بحولِ اللهِ، أما مسؤوليةُ حمايتِهِ ومرافقتِهِ، فهي واللهِ المسؤوليةُ، وتلك واللهِ الأعباءُ التي تنوءُ منها الجبالُ، يا أخي، الشيخُ رجلُ أُمّةٍ لو حدثَ لهُ مكروهٌ ماذا أقولُ لربي؟.



ومضتِ القافلةُ، ومضى أبو جعفر يتقدّمها بجوارِ أخيه أبي مصعبٍ، وفي كلِّ يومٍ تنزلُ عليهم الأتراحُ والأفراحُ، هنا خبرُ استشهادِ أخٍ، وهناكَ تدميرُ دبّابةٍ، وهكذا كانت حياةُ الرجلينِ لا يعرفانِ النّومَ، فقد كان أبو مصعبٍ لا يعرفُ النّومَ تقريباً؛ مذاكرةً لرسائلِ الإخوة وشؤونِهم، حتى إذا أصبحَ الصَّباحُ جاءتْ تعليماتهُ للأُسُودِ في أنحاءِ البلادِ.

ولقدْ شاهدَ العالمُ بأسرهِ ذلك الشَّابَ المتينَ وهو يجلسُ بجوارِ الشَّيخِ (الثاني من جهةِ اليمينِ)، في شريطِ الشَّيخِ المصوَّرِ الأخيرِ، وعلَّقَ الأمريكانُ كثيراً لما بادرَ أبو جعفر بشدِ أجزاءِ سلاحِ الشَّيخِ، كعادتهِ في مساعدةِ الشَّيخِ في كلِّ شيءٍ: طعامهُ، وشرابهُ، ولباسهُ، ونومه، وقد كان الشَّيخُ -رحمهُ اللهُ- ينوي تزويجهُ ابنتَهُ وصرَّحَ بذلك لأحدَ الإخوة، وأنا نفسي كنتُ قد طلبتَها منهُ لأبي جعفرٍ، فقالَ: " واللهِ ما أعرفُ بأبي جعفر عيباً ولم أرى لابنتي مثلَهُ أو شبيهاً، لكن صبراً قليلاً حتى أطمئنّ أنها تصلحُ للزّواجِ، ثم هي لهُ إن وافقتْ بحولِ اللهِ وقوّتهِ، وما أظنها إلا لهُ ".

ومضتِ القافلةُ، ولكنَّها هذه المرّةُ مضتْ إلى رحلةِ السَّعادةِ والطَّهارةِ والنّقاءِ والبهاءِ، مضت إلى الدَّارِ التي لا أتراحَ فيها ولا هموم ولا آلام، مضت إلى رضىً من اللهِ ورضوانٍ -نحسبهُم-، مضت إلى النعيمِ المقيمِ والعزِّ الأبديّ إلى الجاهِ والسلطانِ الحقيقيّ، مضتْ فجأةً بِلا سابقِ إنذارٍ، وهكذا تلك الرّحلةُ على وجهِ الخصوصِ، مضت وما صدَّقَ أحدٌ أنَّهم مضوا، مضتْ القافلة وهي في أمسِ الشَّوقِ للرّاحةِ من العناءِ، لكنَّها يعلمُ اللهُ مضتْ بعدما أرستْ قواعدَ



وأعلنتْ بنياناً وسطّرتْ عِزّاً ورسمتْ بسمةً، مضتْ بعدما قَسَّمَتْ الناسَ فريقينِ: فريقُ إيمانٍ لا نفاقَ فيهِ، وفريقَ كُفْرٍ لا إيمانَ فيهِ، مضتْ بعدما أماطتْ لثاماً وسطّرتْ بدمائِها تاريخاً.



رجلٌ بألف: طارق الوحش (٢٥)

هو أَسدُ الله، وأَسدُ المجاهدين، مَنْ يَطْمَئِنُّ الشّجعان بجوارهِ ويتجرّأُ الجبان برؤيته، لا يعرفُ الخوفُ طريقَه، ولا التّردد والخور فؤادَه، ينهضُ إذا قعدَ الشّجاع، ويتقدّم إذا تبارى الفرسان.

هو أبو أحمد "طارقُ الوحش" كما كانَ يُسَمّيه أقرانُهُ، من مدينة الرمادي رمزُ الإباء والثّورة على الظّلم والطّغيان الأمريكي.

كانَ من أوائلِ من انظمَّ إلى ركبِ التّوحيد والجهاد، بل من مُؤسّسيه وكانَ الشيخُ أبو مصعب "رحمه الله" يثقُ فيه ثقةً مطلقةً وكان أهلاً لذلك، كان بطلُنا عسكريٌّ مُتمرّسٌ، فهو على خبرةٍ عاليةٍ في جميع الأسلحة الخفيفة والمتوسطة وكذلك عِلْم التّشريك والمتفجرات.

فهو من أوائلِ من صنعَ الأحزمة النّاسفة، وطَوَّرَ تشريكَ السّيارات وأدخلَ الفتائل المتفجرة في التّشريك وأحسنَ استخدامها، كذلك كان له السّبقُ في تحطيمِ أوكارِ الكُفْرِ والردّة في بغداد وغيرها.

وممّا أَذكُرُهُ جيّداً أنّه هو الذي رَصَدَ ونفّذَ مع مجموعة من إخوانه فندق شاهين.

وطارقُ هو من قامَ بعمليّة محافظ الرمادي وأكرهه على الاستقالة بعد أن أعتقلَ أولادَهُ الثّلاثة، ولم يُرْجِعْهُم إلا بعد أنْ أعلنَ المحافظ التوبة من الذَّنب



والتّعهد بعدم العودة إلى عملِهِ ومساعدة المحتل، فرأيتُهُ فرحاً جدّاً يقول ((الحمدُ لله الذي جعلني سبباً في إنقاذِهِ من النّار)). لكن كل ما مضى لم يكن شيئاً إلى جانب ما رأيتُهُ من أبي أحمد في الفلوجة. فلما اشتدَّ الخطبُ وعرفَ الجميعُ قُرْبَ الاقتحام العام للفلوجة عرضتُ على الشيخ أبي مصعب "تقبّله الله وغفرَ له" أنْ يكونَ الرّجل المسؤول العسكري للمدينة، فوافقَ الشّيخُ على تعيينه مستشاراً عسكريّاً ورئيساً للجنة المسآلة والمتابعة، فقد كان طارقُ جريئاً جدّاً يقتحمُ المهالك ولذا رفضَ الشّيخ تعيينه مسؤولاً واكتفى أن يكون مستشاراً فقط .

وفي هذه الفترة عرفتُ طارق الإداريّ والعسكريّ، فقد اجتمعَ مع القادة الميدانيّين للفلوجة وعرضَ خطّته، كانت الفلوجة تقريباً لا يوجد بها كتيبة دفاع جويّ منظمة ومرتّبة لهذا الهدف، بل سلاحٌ مع هذه الكتيبة وآخر مع أخرى.

فأقترح تشكيل سريّة الدفاع الجوي وبدأ الرجل:

أ- اختارَ نخبةً من الأبطال أوّلاً ثمّ أَدْخَلَهُم دوراتٍ تدريبيةً مكثفةً وسريعةً كل مجموعةٍ على سلاح بعينه، فهذه على الدوشكا وأخرى على (٣٧) والثالثة على (٥٧).



ب- سعى في جلب ضابط سابق يقوم بإدارة هذه السريّة ويتولى هو بنفسه أي الضّابط تحديد أماكن توزيْع الأسلحة ومربّعات السّيطرة ويأْمُرُ بإطلاق النّار ونقل القطاعات، وإلى غير هذا من الأمور المهمة.

ج- جمعَ كل ما لدينا من سلاح جويّ وأدخله للصّيانة وبحضور الطّاقم المختص بكل سلاح وحتى يتعوّد على تصليحه وصيانته بنفسه.

د- تمّ تحديد نقاط كثيرة في الفلّوجة لتكون محلاً لإشعال النّفط فيها لتكون كثافة دخانيّة تمنع الرؤيا، وحتى يضطرّ طيران العدو إلى النّزول كثيراً ممّا يدخله في مرمى نيراننا.

وفي تلكَ الأثناء ذهبتُ مع طارق إلى الصّناعة، أثخن نقاط الجبهة، وزُرْنا نقطة الإخوة الأكراد فرسانُ الصّناعة، فأَخَذَنَا أحد أهمّ أبطالها وهو الأخ (شامل) إلى منطقة الرّصد والقنص، وأثناء رَصْدِنا للسّريع ونقاط العدو رأيتُ غباراً كثيفاً ومفاجئاً في منطقة المعارض، ونظرَ طارق فإذا هي دبّابات العدوّ كانت تسيرُ على السّريع ثم دخلت مسرعة في اتجاه خطّ الإخوة بالشهداء.

و كنّا في مساء العاشر من رمضان تقريباً، فأسرعنا بالعودة إلى الإخوة في الشّهداء، وذهبَ طارق إلى مجموعة خلفيّة أعدَّها لهذا الأمر، يعني المعونة والمسَاعدة دون الاشتراك المباشر في جبهةٍ من الجبهات، وكانت هذه هي مجموعته التي يعتمد عليها منذ كان محلّ عمله بالرّمادي.



وأَخَذْنَا عدداً من الإخوة وانطلقنا باتجاه العدو وكان المغرب على الأبواب وهنا رأيتُ طارق الوحش على حقيقتِه، لبس جعبة الـ RBG وحملَ قاذفه وقال لي لا بُدّ أنْ تبقى في الخلف وحتى إذا احتجنا إلى مددٍ تقوم بالأمر ثم دوّى زئير الأسد، اللهُ أكبر اللهُ أكبر خربت أمريكا، ((سيهزم الجمع ويولون الدبر))، الصّبر الصّبر يا عباد الله.

وتقدّمَ إلى أقرب نقطة للعدوّ وبدأَ الإخوة يلتفّونَ حَوْلَهُ ويتشجّعون برؤيتِهِ بينهم فقد كانوا يَسْمعونَ عن شجاعتِهِ وإقدامِه. واستمرّ الاشتباك طويلاً، وفي هذه الأثناء أصاب الإخوة جوعٌ وعطشٌ شديدين فقد كانوا أصلاً صياماً والعدوّ لم يَأْت إلا السّاعة الرّابعة قرب المغرب فلم يشاءوا أنْ يفطروا.

فأرسلتُ في إحضار ما يُمكِن إحضارُهُ من ماءٍ وطعامٍ على شدّة وخوف شديد ألمَّ بالإخوة، إذ أنَّ القاصفة كانت فوقنا وتضربُ كل ما يدبُّ على الأرض أو لا يدبّ من بنيان ومآذن، وكذلك طائراتُ الاستطلاع المتوسطة والميدانيّة مثل (النّسر والصّقر) والتي يُطْلقها العدو للاستطلاع القريْب وعلى ارتفاع منخفض جدّاً وحتى يُشْغِلَ الخصم بالسّيطرة عليها وهي بدورها تنقلُ صورةَ المقاتل الذي يضرِبُها وأماكن وجودَه، فعلِمَ أنّه من الخطأ الانشغال بها على الرّغم من خطورتها.

أقول زوّدْنا الإخوة بماء قليل وطعام، وأعطاني هذا درساً في ضرورة أن يكون كل مجاهد يتجهّزُ بقليلٍ من الطّعام (كالزّبيب والتّمر) وكذلك الماء ولا يُفَارِقْه ذلك أبداً.



وقُتِل في هذه الأثناء أحدُ الإخوة وتمَّ سحبه إلى الخلف وأثناء إحضاره رأيتُ الإخـوة يُكَبّرون فتعجبتُ فلما قربـوا مـني زال عجـبي، فوالله ثمّ والله مـا زالتْ رائحةُ مِسْك أخي هـذا - والـذي أصلاً لا أعرف اسمه إلى يومنا -، أقول ما زالتْ في أنفي ولقد انتشرتْ رائحةُ المسك منه إلى مسافةِ مائة متر، وهذا ما لم يسبق له مثيلٌ قَطْ، فقد صارَ مشهوراً والحمدُ لله في قتلانا رائحةُ المسك ولكن ذلك يكون إذا اقتربتَ من الشّهيد وشممت مباشرة دمه أو ملابسه، أما على مائة متر فلا.

وبقيتُ إلى جانبِ الشّهيد خوفاً عليه من السِّباع المنتشرة في المنطقة، ثمّ وَضَعْتُهُ في سيّارة وانطلقت به ليُدْفَن، وما دَفَنَهُ غيري من الإخوة.

سبحانَ الله رجلٌ هذا حالُهُ لا يُعْرَفُ اسمُهُ ولم يَدْفِنْهُ إلا واحد، وكلابُ أهل النّار تُقَامُ الدّنيا ولا تقعدُ إذا ماتوا، هُمْ عندَ النّاس والله أحقرُ من الجيف، لكنْ حسب أخي أنَّ الله يَعْرِفُه.

وعودة إلى طارق الوحش فقد عدتُ إلى الجبهةِ وسألتُ عنه فقالوا مازال في المقدّمة وحوالي السّاعة الثّانية ليلاً سمعتُ تكبير أبي أحمد يدوّي ثمّ سمعتُ صوت آليات وما هو إلا قليل حتّى جاءَ البطل وقال انسحبّ العدوّ والحمدُ لله.

ومضتْ الأيّامُ واقتحمَ العدوّ مستشفى الفلوجة عند صلاة العشاء في الخامسِ والعشرينَ من رمضان على ما أذكر. وبتُّ تلك الليلة أنا وأبي عبد الله



الشّامي مرابطين حذاء الجسر الجديد وفي نقطة حدّدت سلفاً لتكونَ محل الإدارة إذا تمّ ما حدث، وأصبح الصّباح وكان الجوّ بارداً جدّاً فاستعرتُ معطفاً من الأخ عمر حديد، ثم قابلتُ الوحش وقلتُ له ما العمل، ثمّ أردفت قائلاً: أشعر أنَّ أضعفَ نقاط الجبهة من جهة (الجغيف) فمع أنه لا وقتَ لكن يا ليتَ تذهب أنت ومجموعتِكَ تسدّ هذه الثّغرة (وقد كانت من نصيب الشيخ عبد الله الجنابي وإخوانه جزاهم الله كل خير) وأثناء حديثنا قطع القنّاصة شارع الحضرة المحمدية.

ومَضَى الرّجل لعمله لكنّه وفي منتصف اللّيل بل قبل ذلك حَدَثَ ما توقعتُ وللأسف بعد فوات الأوان، دخل الأمريكان من جهة الجغيف واخترقوا المنطقة بطريقةِ رأس السَّهْم ثم انتشروا في الدّاخل.

وحُوْصِرَ الإخوة في العسكريّ والجولان، بل فوجىء الإخوة في العسكريّ بالأمريكان معهم في الأفرع وبدأتْ المطحنة والملحمة.

وأمّا طارق الوحش فقد انحاز بحمد الله إلى نزّال مقر القيادة في ذلك الوقت وقالَ ما العمل: قلتُ العملُ أن نقسمَ المدينة نصفين جنوبي وشمالي ثمّ ندافعَ عن القسم الجنوبي ونغيرُ على القسم الشمالي حتى نستردَ ما فقدْنَاهُ منه ونعاونُ من حُوصِرَ من إخوانِنا.

وتمّ تكليف أبي أحمد طارق بمهمّةِ إنشاء خط جبهة يحمي القسْم الجنوبيّ وقد فعل الرّجل وسدَّ الثغرة. ومراراً حاولَ الأمريكان اختراق الخطّ لكن أبا أحمد



كان لهم بالمرصاد يسدّ هذه، ويُجْبِر هذه واستمرَّ به الحال هكذا أيام والعدوّ لا يستطيع التّقدم، وكلما احتاج إلى إخوةٍ أو سلاحٍ أرسلَ إلي وزوّدته بذلك وكان الإخوة في هذا الوقت يتساقطون تساقُطَ أوراق الخريْف لكنّها غضَّة طريَّة خضراء.

وفوجيء أبو أحمد أن قنّاصاً تسلّلَ إلى عمارة مهمّة مُطِلَة على أحد التّقاطعات (وهو تقاطع الطّريق القديم مع طريق شارع الفردوس) فقال أبو أحمد لأحد الإخوة - أظنّه أبي جعفر رحمه الله - غطّي علي بواسطة البيكا وأنا أخرج أضرُب مكانَ القنّاص بصاروخ مهداد RBG. وفعل الاثنان لكن أبا أحمد جاءته طلقة في كِلَتِهِ أسقطتْهُ أرضاً.

ولما سُحِبَ إلى بيتٍ مجاورٍ ظلّ يبكي ويقول يا ربّ شهادة لا جُرْحاً، يا رب أنت أرحم الراحمين، يا ربّ إخواني، ولما أرادوا أنْ يَسْحَبُوهُ من المعركة رفضَ ركوب السّيارة وقالَ والله لا أخرجُ لا أُخَذّل إخواني اتركوني، فقال له أحد الإخوة اتّق الله إنك مجروحٌ، يشْفيكَ الله وترْجِع، فرجعَ والبكاءُ هو حالُهُ، لا جزعاً عَلِمَ اللهُ ولكن حُبٌّ للجهاد، ثمّ سُحِب من الجبهة وانسحب معه كثير من الإخوة المثخنين بالجراح وحاولتُ أنْ أَسدّ مكان طارق لكن كل جهودي ذهبتْ سُدَىً وبفقدي لأبي أحمد في الجبهة، كُسِرَ الخطّ وتقدّم العدوّ إلى نزّال. فقد كان طارق واللهِ " أمّة " كأنّه ألفُ مقاتل، فلم يستطع أحدٌ قطّ أنْ يقومَ مقامه.



وأثناءَ نقله إلى الخلف لاحظَ أبو جعفر رحمه الله شيئاً على وَسَطِه، حاولَ فَكَّهُ لكن طارق صرخَ فيه اتركه، وقد كان هذا الشيء هو حزامٌ ناسفٌ يُتَوّج به جسمه ويثيره في عدوّه إذا أضطرّ لذلك. فهو الأبيّ الذي لا يقبل الضّيم وهو الشّجاع الذي لا يحتملُ ذُلَّ العدوّ.

ولما اقْتُحِمَ حي نزّال دخلَ الأمريكان بيت أبي أحمد والذي كان جريحاً فيه وعندما رآه الأمريكي جريحاً ظنّه أنّه عصفور كسيْر تقدّمَ ليأخذه وحتى يلهو ويضحكَ به، وفجأةً ثارَ البرْكانُ على هذا الجَمْع.

فَجَّرَ أبو أحمد طارق الوحش حزامَهُ فقتل عدداً من علوج الأمريكان ولبّى نداء ربّه بالخلود إلى جوار الصّديقين والشّهداء "نحسبُهُ كذلك"، فنسألُ الله أن يُخْلِفَنَا في الرّجل خيراً وأنْ يُعَوّضَنَا عنه وأن يُلْحِقْنَا به في جنّات عدن عند مليكٍ مقتدرٍ، فقد كسرَ والله قلبي والّذي لن ينجبر إلا برؤيته هناكَ في الجنّة إن شاء الله.



أبو رضوان التونسي (٢٦)

ها قد رجعتُ لتوّي أخطُّ بِرِجْلي الأرضَ والعَبرُةُ تملأُ عينيَّ والحيرةُ تملأُ قلبي، أعودُ بعدما وقفتُ على سيّارة كيّا بيك آب يمتدُّ بطولِها شابٌّ وسيْم في نومٍ أَبَديّ هادئ وأحاطَ به عددٌ من إخواني وإخوانه وقوفاً، إلا أبا زياد جالسٌ بجانِبه يضحكُ ثم يَبْكي، يُمْسِكُ بوجه أخيه وحبيبِه ورفيقِ دَرْبه حتّى الممات "أبي رضوان" قائلاً: مع السّلامة، فُزْتَ يا حبيبي ثمّ تدخله حاله أشبهُ بالهستيريا قائلاً: هيه.. هيه مع السّلامة ويضحك ثم يبكي حتى أبكى جميعَ من حولِه.

وقال أبو أسامة وهو واقفٌ على رأْسِه: كان وجهه قبل الذّهاب للعمليّة كالقمر وأشهدُ أنّه كانَ أشجعُ من رأيت، فقلتُ في نفسي: وأنا أشهد، ثم قال أبو سمير "صاحبه": أشهدُ أنّك كُنْتَ تقاتل لتموتَ وتُرْزَق الشّهادة وقد نِلْتَهَا يا حبيبي.

ثمّ قالَ ثالث: والله ما كان فينا أشجعُ منك ففي يوم كذا فعلتَ كذا وكذا....

وقال رابع: أشهدُ أنّك ما أردتَ يوماً ما إمرةً ولا سمعةً وكنتَ دوماً محباً لإخوانك مخلصاً صادقاً...

كلُّ هذا وأنا أسمع.. لا أستطيع أن أنظرَ إلى حبيبي، وفجأةً انفجرتُ بالبكاء محاولاً التّجلّد وما استطعتُ، ثم أشرتُ بإصبعي إلى أبي رضوان: هؤلاء هم



شهداءُ الله في الأرض، وأشهدُ أنّك كُنْتَ كما قالوا، وإني لأرجو يا حبيبي أن تجَد هذه الشهادة أمامك وأن يرفعك الله في أعلى عليّين.

و هنا بكى من لم يكن بكى، ثم أطبقَ صمتٌ على المكان ثم حاولتُ التّجلد قائلا: ما لكم يا شباب، هذا هو ديننا، إننا أمّة لا تموت على الفراش، والشهادة أسمى أمانينا، وإنّا لنرجو من الله أن نلحق به مقبلين غير مدبرين كما كان. ثم قلت هيّا يا شباب انصرفوا واتركوا عدد قليلاً من الإخوة يدفنوه ولا يبقى في المكان إلا الإخوة الأنصار، ليذهب كل المهاجرين وحتى لا يكون تجمعنا سبباً في هلاكنا جميعاً، وبسرعة أمتثل الشباب لنصائحي، ثم خلا بي "أبو زياد- أبو سمير - الفاروق" قائلين: اسمح لنا أن ندفن أخانا فقد كان وكان، فسمحت لهم وانصرف الجميع والحسرة ملئ عيونهم وقلوبهم.

اسمه "حمزة" وكنتيه "أبو رضوان" والاسم والكنية على مسمّى، من تونس من مدينة بنزرت. ولمجيئه إلى العراق وجهاده فيه قصّة ونشيد، وإليك يا أخي مختصر هذا المشوار.

جمعَ "حمزة" ما يمكن أن يجمعه من مالٍ حتّى استكملَ تذاكرَ السّفر ثم سافر إلى "ليبيا" ثم منها إلى "مصر" ثم ركبَ من ميناء نويبع المصري إلى العقبة عن طريق العبّارة، وفي العبّارة سلّم جواز سَفَرِه وحتى يُختم للدّخول كما هي العادة، لكن الجميع رجعت إليهم أوراقهم إلا صاحبنا، نودي عليه ثم أدخل إلى غرفه بها أشخاص ملتحين ويتظاهرون بالصّراخ، وصلت الفكرة إلى أخينا، ثمّ أُخرج وأدخل إلى سرداب تحت الأرض ووجدَ نفسه في وسطِ جمعٍ غفيرٍ من



الجنود المدجّجين بالسّلاح، كلٌّ قد وجّه إليه سلاحه، ثمّ أُخِذَ على الفور إلى غرفة التّحقيق، فلمّا لم يصلوا معه إلى شيء، حيث كان أهمّ سؤال يدندنون عليه، أنت تريد أن تذهب إلى العراق، وصاحبنا ينكر.

ثم رفعوه إلى غرفة التّعذيب وضَرَبُوْه حتّى سقطَ أرضاً ثم أخذوهُ إلى غرفةٍ بها كراسي متراصّة في صورةٍ دائريّةٍ وعبارة عن مجموعة من الدوائر، وفي وسط هذه الكراسي الدائرية يوجد كرسي في الوسط هو مركزها، أدخلوه إلى ذلك الكرسي وأجلسوه عليه ثم ربطوه به وهو الجثةُ المنهكةُ من التعذيب.

أسندَ المسكينُ ظهره إلى الكرسي فإذا بسكّين بارز من الخلف، حتّى إذا حاول أن يسند ظهره يدخل فيه، بالطبع صاحبنا معصوب العينين، ثم وضعَ يده على جانب الكرسي ليعدّل من نفسه ويستريح، فإذا بالدّم ينزف منها، فقد هُيّئت حافة الكرسي، وصنعت على شكل سيف يقطع عند لمسه، وظل هكذا على هذا الكرسي يومين بلا طعام ولا شراب، فقط الضرب والتعذيب هو كل شيء وليس لهم سؤال إلا لماذا تريد أن تذهب إلى العراق؟.

ثم اتّصلوا على تونس، ففرحت الحكومة التّونسية، قائلة إنه مطلوب بقوّة إلينا، أرجعوه لنا.

فأرجعوه بنفس خط السّير الذي جاء فيه، فلما وصل إلى "مصر" اعتقلوه وعذّبوه أياماً، "لماذا تريد أن تذهب إلى العراق؟"، ثم سُلّم إلى "ليبيا" وهناك



اعتقلوه وعذّبوه عذاباً تَرَحَّمَ فيه على عذاب "الأردن" و"مصر"، والسؤال ما زال هو السؤال: "لماذا تريد أن تذهب إلى العراق؟".

ثمّ سُلّم إلى "تونس"، وفي سيّارة وزارة الداخلية كانت المعاملة كما هو معتاد لمثله من أهل الصّلاح فهو معروفٌ عندهم.. مُشاكسٌ شديدٌ وإرهابيٌّ عنيد "لطالما سُجِنَ بسبب لحيته وأفكاره ثم يحلقوها له ويعود إليها ويعتقلوه وهكذا مراراً".

وفي هذه المرّة ولأنه كان عبارةً عن كومة من اللّحم والعظم، لم يفعلوا معه شيء حتى يصلوا به إلى تونس العاصمة، وفي الطريق استراح الرّكب بمطعم على الطريق لأجل وجبة الغداء وذهبوا جميعاً لإحضار الطّعام، ثم جاء عمّال المطعم بالطعام إلى مكان الجلوس الموجود فيه الشهيد، فتوسّم الخير في هذا الرجل الذي أحضر الطعام، فقال له: خذ هذا الجواز وانصرف، احتفظ به أو أحرقه، المهم افعل شيئاً فإني توسمت فيك الخير.

فأخذه ذلك الرّجلُ وانصرف، ثم جاء لصوص الترحيل وأخذوه وانصرفوا به إلى وزارة الداخلية، ولما وصلوا سألوه عن الجواز (جواز السفر)، قال: ما عندي، ضربوه شهراً كاملاً عليه، وهو يقول ألقيته من السّيّارة، ثم أُفرج عنه للعلاج ولشدّة حالته.

وبعد أيّام قلائل ذهب "حمزة" - "أبو رضوان" إلى مدينة "مانز" المجاورة، وبينما هو يسير في الشّارع إذا بذاك الرّجل صاحب المطعم يلتقي به صدفةً،



فتعانقا وحمدا الله على السّلامة، وقال له هذا الرّجل: لقد جئتُ أبحثُ عنك لأعطيك الأمانة وسألتُ الله أن يُفرّج عنك، فالحمد لله. وبعدما استلم " أبو رضوان " جواز سفره وعلى الرغم من أنه مختوم بختمٍ أحمر وبجواره عبارات " أنّه مطلوب" أو إرهابي وغير ذلك.

ذهب أبو رضوان إلى أبي زياد وأبي سمير وعدداً من الإخوة بلغ ستّةً من أصحابه واتفقوا على السّفر مره أخرى، وسافر الجميع ومعهم أبي رضوان وبنفس جواز السّفر الذي اعتُقِلَ به وعُذّب حتى الممات وبنفس الهمّ.. وإلى ليبيا نفس الدولة التي عذّبته، فلما وضع جوازه أمام شبّاك التذاكر وضع الضّابط يده على رأسه متعجباً ناظراً إلى أخينا، ومن غير أن ينطق بكلمة أعطاهُ الجوازَ بلا ختم، ثم قال: أتفضل ادخل. دخلَ أبو رضوان ليبيا وهو لا يُصدّق، ثم سافر إلى دولة أخرى ثم بحث عن منسّق له وفي رحلة طويلة شديدة العذاب وصل إلى العراق.

وإنّما ذكرت القصّة لأسباب كثيرة أهمّها:

- ليعلم كل أخ أن للأسباب حدود.

- أن من يتوكّل على الله يجعل له من أمره يُسْراً.

- ليعلم كل قاعد مهيأ له السَّفر للجهاد أن الله لن يُسامحه، فهذه حالة الرّجل وسافر، فكيف بكم.

- أن من يَصْدُق الله يَصْدُقه.



وبالعراق كان أبو رضوان الفارس الذي لا يُبَارَى والأسد الذي لا يهدأ ولا يعرف الرّاحة، يُلقي بنفسه بين أحضان الموت لعلّه يُرْزَقُ الشهادة، وفي كلّ مرّة كان يعود سالماً باكياً أنه بعدُ حيّاً، وقد شارك في أهمّ عمليات الإخوة في العراق، شارك في عملية السجن أبو غريب الثالثة "غزوة أبي أنس الشامي"، وكان أبو رضوان أوّل من وصل إلى سور السّجن هو وأبو عبد الرحمن اليمني وصعدا السّور وكبّرا عليه، وفجّرا باباً فرعياً كان مقرّراً الدّخول منه، إلا أنهما فُوجِئَا بساتر ترابي خلف الباب.

و شارك في عملية سجن مكافحة الإرهاب، وكان أحد الشّخصين الوحيدين اللّذين نفّذا المرحلة الأخيرة من العملية، حيث دخل إلى باحة السِّجن وحاول أن يفكّ أسر إخوانه، وشارك في عمليّة حيّ الرسالة ضد مركز الشّرطة وكان له اليد الطولى فيها.

و ما زال يتقلّب مع إخوانه من معركةٍ إلى أخرى حتى جاء ميعاد آخر غزوة في بغداد في الخامس من شهر رمضان، ثم تمّ تأجيل الغزوة لسبب أمنيّ على أن نعود إليها في اليوم الثاني، وذهب الجميع ضاحكين إلا أبي رضوان خلا بنفسه في ناحية البيت وأخذ يبكي بكاءاً حاراً، جاء إليه أحد إخوانه قائلاً: ما بك؟، قال: والله ما رجعنا اليوم إلا لذنوبنا، الذّنوب هي السّبب، لا الأمن ولا الطّريق، مَنْ لزوجة الشّيخ "أبي عزام" ؟... إذا لم نأخذ أسرى.. لن يُطْلِقُوها.. مَنْ للنّساء.. ؟ مَنْ..مَنْ ؟ ثم انخرط في بكاءٍ حار.



وبعد أن هدأَ جئتُ إليه وقد عرفتُ بالأمر، إلا أنّه كان قد ذهب ما به وبدا طبيعيا ثم استقبلني بابتسامةٍ ساحرةٍ وأخذني بالأحضان وحاول تقبيل رأسي وحاولت منعه، ثم ودّعتُهُ وانصرفت، وأنا في حيرة من أمري، أحقّاً اقترب موعد أبي رضوان، فقد بدا عليه سيما الشّهداء، وليس هذا دَجَلٌ وسِحْر، فقد عرفنا هذا الأمر بالتّمرس وكما سبق أن قلت، يبدو الأخ جميلاً أكثر من المعتاد، نفسه طيبة، وعلى الجملة يبدو "مخبتاً".،، و في نفس اليوم رأى فيه أبو زياد رؤيا:

" رأى أنّ أبا رضوان يلبس ثياباً بيضاء جميلة جداً، ورآه يُقبل عليه والنّور يشعّ من كل شيء فيه، ثم نادى على أبا زياد قائلاً: تعال.. الشّجر هنا تخرج منه رائحة المسك، وكان أبو أسامة أيضاً في نفس اليوم قد رأى رؤيا، قال أبو أسامة: "رأيت كأنّي أنظر إلى السّماء، فإذا بها مفتوحة، فقال أبو رضوان ممكن نفوت (أي نمرّ إلى السماء)؟. قال أبو أسامة: لا ذنوبي كثيرة.. قال أبو رضوان: "لا، نقدر نفوت، بإذن الله الأمر سهلاً".

وفي اليوم التّالي المقرّر للغزوة، وبينما كان الإخوة يهمّون بالرّحيل جاء الإخوة يُودّعون بعضهم قبل الغزوة، فعانق أبو سمير صاحبه أبي رضوان، فنزع أبو رضوان ساعته وأعطاها لأبي سمير قائلاً.. خذ هذه تذكرني بها فإني لن أعود في يومي هذا، فضحك أبو أسامة وقال: يا رجل إن شاء الله تعود سالما آمناً..



قال أبو رضوان: صَدّق.. لن أعود، والله لن أعود، واستغرب صاحبه إصرار الرّجل فهو الذي لا يعرف المزاح والكذب، ومضى الرّجل إلى غزوته، وعلى إحدى سيطرات مغاوير الداخلية والمكونة في معظم أفرادها من " فيلق الغدر بدر " سدّد أبو رضوان قاذفته إلى سيّارة من سيّارات الدّورية ثم رمى بقذيفتين على بُعْد مئة متر. ثم رمى بالقاذفة في السّيّارة وأخذ الكلاشنكوف وانطلقَ يعدو تجاه الهدف وسط استغراب الجميع، حتى وصل إلى سيّارة المغاوير وأخذ يُطلق في الرّأس لكل طاغية ثم أخذ يَصْلي (طلقات سريعة) مَنْ تبقّى بالسّيّارة المجاورة، فلما انتهى عتاده، عاد مسرعاً إلى إخوانه وأخذ من احدهم الـB.K.C وراح يعدو مرّة أخرى تجاه الهدف.

وهنا جاءته رصاصة في رأسه سقطَ مباشرة على إثرها شهيداً، فحمله أخوه أبو زياد وضمّه إلى صدرهِ ونطلق يعدو به نحو سيّارة الإخوة وعاونه أصحابه، ثم انصرفوا بعدما قضوا على عدوّهم ومعهم عريس قد زُفّ إلى عروسه.

تُرى يا أخواني ماذا رأى أبو رضوان حتى يُصِرّ أنّه لن يعود؟، وتُرى ماذا فعلَ لكي يراه اثنين من إخوانه في هذه الحالة الحسنة؟.. هل هو الجهاد فحسب؟ .. أم أنّه الإخلاص؟.. أم أنّه حبّ الله ورسوله والدّفاع عن أعراض المسلمين؟.. أم أَنّه شيء آخر؟، المهمّ أن الله يعلمُ لماذا ذلك، وهو وحده القادر على أنه يجزيه خير الجزاء..

أسألُ الله أن لا يحرمنا أَجْره ولا يَفْتِنّا بعده.. آمين.



مؤسسة الفرقان للإنتاج الإعلامي





أبو المرضيّة اليمنيّ (٢٧)

هو أسد الله القائد المغوار، والمقاتل البار، أشجع من رأيتُ من شباب اليمن، ومن أعذبهم صوتاً، وأصدقهم وفاءاً، وأجلدهم في أمر الله، لا يخشى في الله لومة لائم، ولا عذل عاذل، من أصل طيب ونطفة صالحة.

أتذكرون أحبتي القائد البطل سابق الذكر "أبو طارق اليمني"؟ هو الشقيق الأكبر لأبي المرضية والسابق الى الله في الجهاد والشهادة.

وإن أنسى فلا أنسى أبداً يوم أن خرج أبو طارق من السجن وقيل أن أخاه قد حلّ مجاهداً ببلاد الرافدين وكان ذلك بعد معركة الفلوجة الأولى والتي كان أبو مرضية أحد قادتها وفرسانها وكان قد أصيب فيها.

فجاء على عكّازين له يجرّ رجله بينهما، ووقفت على بُعْد أرقب لقاء الأخوين، لقاء الحبيبين في أرض الجهاد، وبعد فترة غياب طويلة رأيت كيف عدى أبو طارق نحو أخاه وكيف سالت الدموع على الوجنتين وكيف كانت القبلات على الرأس والجبين تقول الكثير الكثير، فهذا ابْتُلِيَ بالأسر وهذا ابْتُلِيَ بالإصابة، وعجزت كلمات الأخوين عن الكلام، فكان الصمت أصدق تعبير وأكثر وفاءاً وأبلغ فصاحة.



لبّى أبو طارق نداء ربّه وسبق أخاه إلى الشهادة على النّحو سابق الذّكر، وأبقى الله لنا أخاه ليترك بصمات رائعة في أرض الجهاد ملخصها "لا نامت أعين الجبناء".

قدم أبو المرضية بلاد الرافدين قبل أحداث الفلوجة الأولى بقليل وجاء التعليمات إلى أسود التوحيد بالنزول إلى المدينة وحراسة مداخلها، ولأنّ الوضع قد أخذ في التصاعد وبدأ العدو يصعد من لهجته وحِدّة كلماته فأرغد وأزبد وهدّد وتوعد، فما وجدت كلماته إلا أبطال لا تهاب الموت وتعشق الحرية، لا يرضون بالعبودية لغير الله في الدنيا، رايتهم لا إله إلا الله وقدوتهم محمد رسول الله، وأشهد بأن أبا المرضية كان منهم، بل من ساداتهم.

حلّ أبو المرضية بحي الضباط ونزال، ولم يكن حتى ذاك الوقت يُأبه به فهو رجل كثير الصمت قليل الذكر، تزدريه العيون إذا نظرت إليه لصغر قامته ونحافة جسمه حتى قال فيه الشيخ أبو أنس الشامي رحمه الله "تكاد تحمله على كفّك".

ترى الرجل النحيل فتزدريه *** وفي أثوابه أسد هصور

فإن كانت المحن هي التي تبرز الرجال وتصنع القادة وتطيش بالأكاذيب، وترسخ الحقائق، فإن أبا المرضية وضع في معركة الفلوجة الأولى قدمه في سربال العزّ وارتدى رداء المجد فصنع من الفخر تاجاً، ولما لا وقد كانت الأسود تختبأ وراءه، ويحجم الأبطال أن يقتحموا بعده، فقد تقدمت يوماً ما



دبابة من أحد الفروع الجانبية فبرز لها أبو المرضية بقاذف RBG وعلى مسافة عشرين متراً تقريباً ووقف أمامها وبدأ يُصَوّب عليها، فتسمر عدو الله مكانه وما تحرك الجبان حتى تحركت قذيفته لتستقر في سويداء هدفه، في منظر روع الجميع وأرسى فيهم دعائم الشجاعة والجرأة على أعداء الله وما كان أحوج القوم لمثل أبي المرضية في أول نزال حقيقي بين أسود التوحيد والأمريكان رعاة البقر، وترك أبو المرضية قاذفة وحمل قناصة وأخذ يترقب ويتربص بغرمائه، ولم لا وشباب اليمن معروف عنهم دقة الإصابة وحُسْن الرماية لشهرة السلاح عندهم والتصاقهم به، أسأل الله أن يرفعوه في وجه عدوهم "عدو الله صالح اليمني".

و ما زال أبو المرضية هكذا حتى فتح الله عليه الكثير وأثلج الصدر بقتال تعجب له الجميع وأهم ما قام به هذا الأسد زرع الثقة في نفوس إخوانه. رآه العالم أجمع في لقاء صحفي قامت به قناة "LBC" مع بعض مجاهدي الفلوجة فما زال الجميع يذكر هذا الشاب النحيف القصير وقد التف حوله مجموعة من إخوانه يقول: "سننتقم لإخواننا الذين قتلوا في الشيشان وأفغانستان وفي فلسطين، لن ننسى هذا، والله الذي لا إله إلا هو ما دمنا أحياء على هذه الأرض فإنا سننتقم منهم حتى لو خرجوا من أرض العراق وخرجوا من أرض فلسطين سنلحقهم ونقطع دابرهم بقوة الله ليس بقوتنا وسترون هذا بإذن الله تعالى" وأشهد أن الرجل قد برّ بيمينه وصدق ما وعد الله ورسوله فما ترك سلاحه حتى مات وهو يحضنه ملبياً نداء ربه.



أعود فأقول أن أبا مرضية أصابته طلقة قناص أقعدته في آخر المعركة من المشاركة، ثم شفاه الله منها بعد الفلوجة الأولى وأُسند إليه بعد ذلك حراسة مدخل المدينة من جهة النعيمية، ثم أُسند إليه حراسة كافة المداخل الواقعة في الجزء الجنوبي من المدينة، فكان بحق نعم القائد بهذه المهمة الصعبة فكان يدور عليهم يتفقد أحوال السيطرات من حيث القوة والضعف والاستعدادات اللازمة لقرب معركة تدق في الأفق القريب، وبدأت طبول الحرب تدق بعنف وبعنف وبدأ القصف مستعراً على المدينة واستمر القصف عنيفاً لا يكاد يتوقف قرابة الشهر وكذلك أخذ العدو في حرب استنزاف استمرت شهرين، فقد جرب جميع نقاط الجبهة من ذلك جهة السيطرات والتي شهدت معارك ضارية وخاصة من جهة الشهداء وسيطرة النعيمية والتي كان أبو مرضية مسؤولاً عنها.

بدأت معركة الفلوجة الثانية وكان موقع أبو المرضية من أخطر المواقع وأشدها ضراوة، حيث كان عند أول مدخل نزال من جهة الصناعة وبالتحديد فوق العمارة الموازية لجامع الخلفاء، وهناك تقدم الأمريكان حتى وصلوا أمامهم من جهة الضباط وغيره، ودارت في نقطة أبي المرضية معارك ضارية أكلت الكثير والكثير من الشباب، وبدأ القصف عنيفاً على الخطوط الأولى فذهبت إلى تلك النقطة ووجدت الحالة صعبة جداً وحاولت قدر المستطاع سد الثغرة وتقوية الهمة وواعدت أبا المرضية مكانٍ ما إذا أرادني أن يأتي إليّ فيه فكان لا



يكاد يتوقف عن الحركة بين جنوده وإخوانه لا يعرف الكلل ولا الملل على الرغم من بقايا أصابته القديمة فكان لا يزال به قليل عرج يعوق سرعة حركته.

وانتشر القناصة في الجهة المقابلة لأبي المرضية فترك الأخوة البناية التي تقابلهم فلما جاء أبو المرضية ورأى ذلك غضب غضباً شديداً وأصر على الذهاب إلى البناية مرة أخرى وحده وألح عليه الأخوة قائلين له إن الشارع الذي ستسلكه للبناية يسيطر عليه قناص ولكنه أصرّ على الذهاب وسد الثغرة فما إن كد يقترب من هدفه حتى أصابه قناص في قدمه وفي نفس موضع إصابته القديمة، فسقط على وجهه وأخذ يزحف حتى رجع الى الأخوة قائلاً "الآن قد أعذرت إلى الله" فما تأوه ولا اشتكى بل أخذ يربط عالي قلوب إخوانه تماماً كما يربط ساقه ويضمد هذه وهذه، وأخيراً اقتحم الأعداء حي نزال وكان نصيب أبي مرضية معي في الحركة فأخذنا نتنقل من بيت إلى بيت ومن سور إلى سور ولا أظنك يا أخي تجهل تلك الآلام التي كان يشعر بها الجرحى حال الحركة.

وأخيراً استقرّ بنا المقام في بيت مع مجموعة من الجرحى، وبينما نحن كذلك إذ بدأت الجرافات تمسح البيوت ووصلت إلى البيت الذي كان أمامي فأسرعت إلى الجرحى وأخذت وإخواني نساعده على العبور إلى بيت أكثر أمناً، وبالفعل تم ذلك مع آخر واحدٍ إلى أننا لم نستطع العبور وبدأت الجرافات تهدم البيت علينا ولكن الله سلم في آخر لحظة ونجو بحمد الله وفضله. واستقر أبو المرضية مع مجموعة أخرى وكذلك الحال بدأت رحلة المطاردة. وبينما هم كذلك عبرت مجموعة من الأخوة من أحد البيوت وإذا بطائرة إف F16



تقصف ما تبقى من الأخوة في البيت المستهدف وكان من ضمنهم البطل القائد والشهيد المغوار أبو المرضية.

و أشهد بالله أني ما رأيت منه تأففاً ولا توجعاً بل جلداً وصبراً وثباتاً عجيباً بل ما زالت البسمة والضحكة ملئ جبينه وصوته العذب ينشد لإخوانه بين الفينة والأخرى ولم لا وهو من أندى شباب المهاجرين صوتاً ولقد أنشد أكثر شريط (رياح النصر) الصوتي.

عذراً أخي، نسيت أن أذكر شيئين هامين في حياة الرجل الغنية بالأحداث العظام والمواقف النبيلة، وهي أنه وعند مجيئه إلى أرض الرافدين عن طريق الشام أُسر في سوريا فترة طويلة ثم أطلق سراحه على أن يغادر البلاد، فما ادّعى أنه أُعْذِرَ إلى الله، بل احتال في كسر المراقبة ومنّ الله عليه بدخول بلاد الرافدين. والشيء الثاني المفرح في حياة أبي المرضية أنه كان قد تزوج قبل المعركة بقليل من ابنة أحد المجاهدين والذي أستشهد بعد ذلك وقد رزقه الله ولداً منها بعد مماته، وهو أشبه الناس بأبيه ولعل الله يعوضنا به خيراً ويكون خير خلف لخير سلف.



أَبو تُرابٍ الليبيّ (٢٨)

هو طالبُ العلم، الحافظٌ لكتاب الله، ابنُ الشرف والنّسب، من عائلةٍ ثريةٍ مترفةٍ، يمتلك والِدُه مصنعاً للألمنيوم، وقد حاول معه وأخوه الأكبر كثيراً ليثنياه عن الهجرة للجهاد فما استطاعوا لذلك سبيلاً، فقد حزم أمره وكره القعود والخذلان وعرف ماذا يريدُ اللهُ من العبد وما ينبغي عليه، فتوجّه إلى القاهرة ومنها إلى الأردن، والتي اعتقلته بمجرد وصوله للاشتباه في كونه يريد التوجّه إلى العراق، وبعد ساعات من التحقيق أُفْرِجَ عنه، ثم توجه بعدها إلى العراق والتحق بمعسكر للتدريب الخاص، ثم دخل دورةً أخرى خاصة أعدّها الإخوة الأمراء تمهيداً لاقتحام سجن أبي غريب، وكان صاحبنا متميزاً فيها، ثم أقدمَ مع الفرسان الذين اختارهم الأمير لشرف المشاركة في اقتحام السِّجن.

كما شارك في معركة غزوة الثأر حيث كان أميراً لإحدى المجموعات، وشارك في الهجوم على سيطرة الحصوة وفي اقتحام ما يُعْرِف بـ "مركز مكافحة الإرهاب"، وعلى الجملة شارك في كافة المعارك التي خاضتها كتيبته منذ أن دخل فيها، ثم أُسْنِدَت إليه إمارة كتيبة الدفاع الجوي، أو بالأحرى أُسْنِدَ إليه تأسيس هذه الكتيبة، فجدّ واجتهد وأخذ يُدرّب الإخوة ويجمع السّلاح اللازم لها ويجهز الأحاديات والأنسفات وغير ذلك من الأسلحة التي تصلح للدّفاع الجوي.



وفي إحدى المرات كان يقود سيارته، وعنده بالخلف (أنسفا) بها طلقة وعند مطبّة ترابيّة اهتزّت السّيارة بشدّة فخرجت الطلقة باتّجاه السّائق، وإذا بها تنفذ في فخذ أبي تراب، فنُقِلَ على الفور للعلاج وبقيت الكتيبة بلا أمير، وفي فترة العلاج كان يتحامل على نفسه ويخرج ليتفقد إخوانه، وما زال كذلك حتى برأ من جرحه وعاود نشاطه.

وقد جلس مع إخوانه يوما بحضور الأخ المسئول الدعوي فقال: "ها هو المسئول الشرعي عندكم، فمن عنده مظلمة عليّ يقولها ويقتصّ منى الآن، لا أُحِلّ لأحد أن يحمل في نفسه عليّ شيئاً، الآن تكلموا قبل أن أقع فيها".

وفي ليلةٍ ظلماء كالحة السّواد، وبعد آذان العشاء تحديداً، كنتُ مع مجموعة من الإخوة وقد أوينا لتوّنا من يوم شاق، وإذا بأزير طائرات الأباتشي، في الأفق ثم أخذ يدور غير بعيد فخرجت أنظر مكانه، وإذا به في مكان يفترض أنه بالقرب منه مجموعة أخرى من الأخوة، وما هي إلا ثواني حتى انطلق صاروخ من السمتية فقطع انفجاره سكونَ الليل، ورأيتُ احمرار الصاروخ الثاني (اللهبة الخلفية) تنطلق من السمتية ليدوّي انفجار ثانٍ، ثم انفجار ثالث.

فركبني الهمّ وعلمتُ أن الأمر يتعلق بإخواني وأن الطيّارات لم ترمِ إلا على شيء، وأصبح الصباح وكان الجو يسودُهُ عاصفةٌ من الريح والمطر لم يسبق لها مثيل منذ زمن بعيد بالعراق، وكأن الرياح تتألم لفقد حبيب ما، فبكت عليه السّماء.



ثم خرج أحد الليوث إلى موقع القصف فلم يستطع الدخول إذ أن الأعداء قد منعوا الناس من الدخول والخروج من موقع المعركة.

نعم معركة، ففي يوم القصف خَرَجَت كتيبة الدفاع الجوي كعادتها إلى الرباط وانتشر ليوثها في بقعة جغرافية كبيرة، واستعدوا لأي غريب يحاول أن يخترق السّماء، وعند الظهر لمع شيء في السّماء -رآه أحد الأخوة بالمنظار عن بُعْد-، وبدأ القائد يرسل رسائل تحذيرية إلى أبطاله: "شباب، أظن أن أعدائنا قد أتوا، استعدّوا".

وما لبث غير قليل حتى بدأ أزير الأباتشي في الأفق، تلك الطيّارة التي حكى عنها العدوّ الأساطير: تضرب في كل اتجاه، وتتعامل مع عشرات الأهداف في وقت واحد، ويستطيع جهاز الإنذار والتحكم فيها أن يُرسلَ صواريخه على العدوّ بالحرارة والصوت والضوء، وغير ذلك من الكذب المحض أو الصّدق الذي يبطل سحره إذا التقى مع جُنْد الإيمان.

كبرّ القائد تكبيرته الأولى ثم الثانية ثم الثالثة، وبدأ الشّباب بالهجوم على الطيّارات في تناغم شديد، كُلٌّ حَسْب مهامّه ومسئولياته، وكلما دخلت الطيارات سريعاً يتولى أمير المربع الضّرب، حتى إذا انتقلت إلى مربع آخر كان بانتظاره ليوث آخرين ينقضّون عليه، فما يجد عدوّ الله إلا أن يرتفع ويرتفع حتى يكاد يكون نقطة في السّماء، فلا تصل إليه نيران الأبطال، وكذلك لا يستطيع هو أن يحدث من الأمر شيئاً، فانسحبت الطيّارات تُولّي الأدبار، وعند العصر تقريباً عاد أعداء الله وعاد الأبطال إلى التصدّي لها، وحاول الأعداء



شيئاً لكنّ قدرة الله غالبة، فطلقة الـ "BKC" عليها أشدّ من صواريخ صدّام وعملاء الغرب، فولّت الأدبار ثانية، وبعد ساعة تقريباً، جاء أعداء الله الأمريكان راجلة من طريقٍ خلفي عبر الأراضي الزراعية والمسالك الضيقة محاولين أن يتفادوا الألغام الأرضية، جاءوا بالعدد والعدّة، وطار الخبر إلى سريّة التدخل السريع والتي تجوب المنطقة وتتربص بالأعداء، فما هي إلا لحظات حتى أقبل الأُسُود كالسّيل الجارف، وعلى رأس هؤلاء البطل المقدام والأمير الهمام وأسد الله "أبي تراب الليبي"، وهو أمير المنطقة وقائد قوة التدخل السريع فيها، وبالسيارة الأخرى جاء أُسُود التوحيد وجنود الله، وعلى رأسهم "أبي هاجر اللبناني" الـمُدرِّب المحنك والقائد المغوار والاستشهادي البطل، وإلى جانبه الاستشهادي "أبي حزم اليماني" صاحب الهدوء والسكينة والوقار، وفي المجموعة الثالثة "أبو محجن المكي" -حفظه الله- وأبقاه ذخراً للدِّيْن وأهله ونفع به وأعلى درجته في عليّين.

جاءوا، وعلى عجل بدؤوا في توزيع صفوفهم وأخذ مواقعهم القتالية وإذا بـ "أبي حزم" يخرج إلى الشارع بالبيكا غير مستتر ولا متترس. يواجه الأمريكان بصدره ويكبّر، فسقط على الفور ثلاثة منهم صرعى، ثم سقط "رحمه الله" شهيداً، وفي هذه اللحظات كان "أبو هاجر اللبناني" يضع صاروخ القاذفة فيها وينشد "الحور تنادي"، وتقدّمَ وصوّبَ صاروخه في وسطهم، ثم رجع وحمل البيكا، وكما فعل أخوه "أبو حزم" استقبل الموت بصدره حيثُ عَلِمَ ما



يُضْحِكُ الربُّ من عَبْده، [كما في حديث معاذ بن عفراء قال: يا رسول الله ما يُضحك الربّ من عبده؟، قال: "غَمْسه يَدَه في العدوّ حاسراً"].

فما برح حتى سقط شهيداً "رحمه الله" وأسكنه فسيح جناته، ثم أمر القائد "أبو تراب" أخاه "أبا محجن" بالانسحاب حاملاً معه أحد الجرحى، فرفض "أبو محجن"، فأَصرّ عليه أميره وقال له اذهب واركب السيارة وانطلق بأخيك وسأغطّي عليك عندما تعبر من أمامهم، وانطلق الليث "أبو تراب" بالبيكا صَوْب العدوّ، وصبّ عليهم حمم العذاب حتى انسحب "أبو محجن" بالجريح سالماً.

ثم هدأ القتال أو توقف عن تسعة قتلى من الأمريكان وشهيدين من الإخوة أعلى الله درجتهم، ثم انحاز الشباب إلى أحد البيوت، وظنّ كمين الطيران أن الأمر قد انتهى فانحازوا هم كذلك. وما لبث أعداء الله أن أحاطوا بالبيت الذي انحاز إليه الشباب وبدءوا في إلقاء القنابل عليهم طالبين منهم الاستسلام بالمكبّرات الصوتية.

وكان ردّ الأخوة حاسماً وسريعاً، زخّات من الكلاشنكوف والبيكا صَوْب أحد جنودهم الذين تقدموا تحت ستار رمايتهم فخرّ على إثرها صريعاً إلى الجحيم، فاستمر الأعداء في إلقاء القنابل حتى إذا ظنوا أن الأخوة قد انتهوا تقدم اثنان أو ثلاثة، وإذ بليثٍ من ليوث الله يخرج إليهم ويلحقهم بمن سبقهم إلى الجحيم. فما استطاع أعداء الله شيئاً حتى جاء الطيران وقصف البيت



بثلاث صواريخ، مع استمرار إلقاء القنابل عن بُعْد، فدمّر البيت تدميراً شديداً. ولحق الأمير الهمام أبو تراب ومن معه إلى رحمة الله ورضوانه.

أسأل الله أن يتقبلهم عنده في عداد الشهداء، وأن يجمعنا بهم ولا يحرمنا أجرهم ولا يفتنّا بعدهم.



أبو طارق التّونسي (٢٩)

هو القارئُ الحافظُ لكتابِ الله، المحافظُ على السُّنَن، البشوش الضحّاك، والفارسُ المغوار، والمهاجرُ إلى الله والدّار الآخرة، البائعُ نفسه لله، والصّابر المصابر للهِ وبالله، والقابضُ على دينه في زمان الفتن، أعني به "زياد المحرزي" من تونس الخضراء.

كان الشّهيدُ الحبيبُ يَدرسُ في كليّة التّجارة حيث الفساد يتقطّر من هذا الصّرح الجامعي، ويندر أن ترى شابّاً أو فتاةً إلا وله خليلةً أو خليلاً ويتفاخرون في ذلك وكأنّه ميداناً للفروسيّة، بل وهم يعتقدون ذلك، فقد أفهمَ عدوّ الله وزبانيته من شيوخ السّوء وأساتذة الجامعات أنّ الحياة بلا حبٍّ كحمار يأكل التّبن، لكن هذا الشّاب خَالَطَتْ بشاشةُ الإيمان قلبه واطمأنّت إليه نفسه وعرف الحقّ وطريقه، وكَرِهَ الباطل وحِيَلَه، ففرّ من الفساد، ونادى بالإيمان، فكان داعيةً إلى الله في هذه الكليّة ولا يعرف أصحابه له مكانٌ إلى المسجد، حيث التصق به وكأنّه حصن النّجاة وبرُّ الأمان، وراحةُ البال، وهو والله كذلك.

وفي المسجد تحصّنَ بالقرآن فأكبّ على كلام ربّه قراءةً وحفظاً حتى رَفَعَهُ الله ومَنَّ عليه بحفظ كتابِ الله، وكما كان يقول: "أصبح البيت عامراً"، لأنّ القلب الّذي ليس فيه شيء من القرآن قلبٌ خَرِبْ.



بكى "أبو طارق" لما قرأَ آياتِ الجهاد وذاقَ من خلالها معاني العزّة، فالتفتَ يميناً ويساراً فلم يرَ غير الذُّلِّ والخنوع، وكانت أخبار بلاد الرافدين وأُسْدُها تأتي إليه، فيتطاول بعنقه إلى تلك الدّيار، وظلَّ هكذا يُعِدُّ ويُرتّب أوراقه وماله حتى حانَ وقت السَّفر، وعلى الحدود أخبرهُ ضابط الجوازات أنّك طالب والقانون يُمْنَعُ ذلك ثم أَمَرَهُ بالرّجوع، لكنّ الرّجل رفضَ الرّجوع وألحّ عليه وعلى غيره، وأخذ يطوف من مسؤولٍ لآخر حتّى عَلِمَ الله منه صِدْق النّيّة والعزيمة فألانَ قلوبهم وسمحوا له بالسّفر، وبعد هذه الرِّحلة الشّاقة وصلَ الرّهط الطيِّب الى سوريا، وهناك كانت المفاجأة، وهي أنّ الإخوة ببلاد الرافدين لا يستقبلون حالياً إلا الاستشهاديين وأصحاب الكفاءات العالية، أما المقاتلين العاديِّين فلا حالياً، وأخبروهم بأنّ الرّجوع خيرٌ لهم، لكن أبا طارق رفضَ الرّجوع وبَقِيَ في البلد وقال: لا أرجع حتى يأذنَ الله لي، وظلّ يدعو ويتضرّع إلى الله أن يفتح الله له باباً للجهاد ويناجيه بِصِدْق النّيّة ويُلِحّ على ربّه حتى سَهَّلَ الله له طريقاً للدّخول كمقاتل، ولما دخلَ وجلسَ فترةً وجيزةً مقاتلاً ومجاهداً في سبيل الله، عَلِمَ لماذا كان يطلب الإخوة الاستشهاديين ورأى بعينه النّكاية العجيبة للعمليات الاستشهادية وقُصْر طريقها إلى جوار الحبيب، فَحَوَّلَ إلى عملية استشهادية وطلب ذلك وأخذ يَلحّ، ولم يَكُنْ يُحْسِن قيادة السّيارات، فَدَرَّبَهُ بعض الإخوة تدريباً بسيطاً، ثمّ سهّلَ الله له الأمر، وفي بيت الاستشهاديين بدأت تعلو زياد صفاتاً أخرى، أو بدأ يتحلّى ويتجمّل استعداداً للقاء الله، فكان يجتهد في كثرة الصّلاة والقيام والصّيام فكان يكاد يصوم يوماً



ويفطر يوماً، وإذا استيقظ قام بتنظيف المكان وترتيب البيت وجعلَ من نفسهِ خادماً لإخوانه وكان شعاره "سيّدُ القوم خادمهم".

و لأنّ انتظار العملية الاستشهادية بدأت تطول بهم بعض الشّيء لأسبابٍ كثيرة ليس هذا محلّها، أخذ يُدْخِل السّرور على إخوانه بشاشةً ومزاحاً وبطريقة تميت القلب ضحكاً حتى ارتقى إلى درجة "نائب أمير المنسّمين"، فقد كان هناك أمير لا يمكن منازعته وهو شابٌّ من شباب جزيرة العرب هداه الله إلى الإيمان وحُسْن الدِّيْن والخُلُق على الرّغم أنّه كان في الجاهلية لا يُفيق من المخدّرات وادّعى أَنّه المهدي لفترة.

وكان "أبو طارق" إمامُ القوم في كل شيء، في الخدمة وقراءة القرآن وحُسْن الخلق، تماماً كما كان إمامهم في الصّلاة. وكان ينتظر لقاء ربّه بفارغ الصَّبْر ويجتهدُ في الدُّعاء بذلك ويُكثر من ذلك وكان يُحِبّ أن يرزقه الله ذلك يوم الجمعة في السّاعة الأخيرة، ومن العجب العجيب، أن الأمريكان احتلّوا بيتاً وتَكَدَّسَ فيه نحو خمسة عشر آليةً من نوع همر -وذلك في صباح يوم الجمعة-، وبدأ الإخوة يعدّون سيارّةً لهم ووقعَ الاختيار على أبي طارق وذهبَ إلى هَدَفِهِ وكان ذلك قبل مغرب يوم الجمعة بساعة تماماً كما سأل مولاه مجيب الدّعوات، فأسرعَ إلى الله واقتحم على عَدُوّه في موقفٍ يضحكُ فيه الرَّب، واستقرَّ وسطهم ليحصدهم حَصْداً ويجعل من تبَقّى يُولّي الدُّبُر يضربُ رأسَهُ بجدران المكان "بقايا الجدران" نادماً على ذلك اليوم الأسْود الذي جاء فيه



لتلك "الدّيار الملعونة" كما يُسَمّونها، وليرتفع أخونا إلى جوار ربّه وأصحابه الكرام.



الابْنُ البَارّ (٣٠)

ليس أصعبُ على المرء من أن يبتليه الله بفَقْد ولده، وأصعبُ من ذلك أن يطلب منه الحديث عنه وإنصافه. وهذا هو حالي مع الحبيب الشهيد "عقيل".

الأبُ حينما يتكلم عن ابنه يقول: "جيد ومؤدّب وطيب"، وإلى غير ذلك من الألفاظ، وإذا طلبت منه شرح هذه الألفاظ سكت واسترجع: "إنّا لله وإنّا إليه راجعون". ولكني سأستعين الله وأحاول الكلام.

"عقيل"، مؤدّبٌ، حنون، هذا هو باختصار هاني أو عقيل، من أرض الكنانة من مصر الحبيبة الأسيرة، من روائع جمال مصر، من "الفيّوم"، حيث الماء والخضرة والنّيل والبساتين.

تربّى الشّهيد في مدرسة الشيخ الأسير عمر عبد الرحمن، ونشأ على ظُلْم طاغية مصر "اللا مبارك"، ولأنّ الرّجل لم يعرف غير المسجد طريقاً ولا غير القرآن أنيساً، هداهُ الله مبكّراً لفِكْر الجهاد والاستشهاد، وعلى الرّغم من عناية والديه به عناية شديدة نظراً للنّبوغ الملحوظ عنده، فقد حصل على ما يُؤهّله بسهولةٍ لدخول كلية الهندسة قسم الحاسبات، إلا أن عقيل كان عقله مع الجهاد، وتردد على نوادي الإنترنت وأخذ يرسل معلوماته الشخصية إلى كل صديق يتعرف عليه عبر الشبكة العنكبوتية، طالباً من الجميع أن يجدوا له طريقاً إلى العراق، وذلك عقب السّقوط بشهرٍ واحدٍ فقط، حيث لم يكن هنالك أخبار عن الجهاد والاستشهاد لكي نقول إنّ دافع الحماس كان وراء الفتى،



بل كان دافع الدِّيْن والعقيدة والنّصرة والشّهادة، إلى أن اتصل برجل من أهل الجهاد وكلّم عقيل أن كُفّ عن إرسال بياناتك عبر الشبكة فهذا يا أخي يوصلك إلى أقرب سجن عندك، وإن شاء الله يجعل الله لك فرجاً. وبالفعل تم له ما دعا الله به واجتهد في رحلة طويلة مليئة بالمغامرات إلى أن دخل الحبيب إلى الموصل، وذلك بعد نحو شهرين من السّقوط، فكان من أقدم المهاجرين الأحبّاء، إن لم يكن ثالث أقدم مهاجر إلى أرض الرافدين، ومن أوّل من حمل السلاح من المهاجرين والأنصار.

انخرط الشهيد "رحمه الله" في مجموعة الأسد "أبو طلحة الموصلي"، وعرف العبوات مبكّراً وفتح الله عليه الشيء الكثير، وظلّ حُبّ الموصل وأهلها "وخاصة تلعفر" في قلب الشهيد إلى أن رزقه الله الشهادة، حيث كان دائماً يردد أن مجاهدي تلعفر أنصار بحق.

قَدِمَ الشهيد الى الفلوجة بعد أحداث الفلوجة الأولى، وعمل مع مجموعة من إخوانه على تشكيل القسم الإعلامي لجماعة التوحيد والجهاد آنذاك، وقد ساهم مساهمة طيبة في الأصدار الأول لجماعة التوحيد والجهاد (رياح النصر)، ثم صار مقرّباً جدّاً من شيخ التّوحيد أبي مصعب الزرقاوي "رحمه الله"، حتى كان بالنّسبة له كالولد، وكان الشيخ يحبّه حبّاً جمّاً ويعامله كما يعامل أبناءه تماماً، ويهتمّ بأموره دقّها وجِلّها، حتى أنه قال لي يوماً أريد أن أزوج عقيل فأخشى أن يموت وليس له ولد، فأسأل الله ألا يحرمني منه، وبالفعل تم اختيار



المرأة التي نحسبها صالحة له، إلا أن زواجه تأخر بعض الشيء لظروف العمل وصُغْر الزّوجة حتى تمّ له ذلك.

بقي الشّهيد الحبيب في الفلوجة إلى أن جاءت معارك الفلوجة الثانية، حيث حط معها البلاءُ حطّاً على عقيل ومن معه، حتى أنهم آووا إلى بيت فإذا بالقناصة تصعد على سطح المنزل، وإذا بأعداء الله يتخذونه مقراً لهم وقد علموا هذا من خلال أخٍ معهم كان يجيد الإنجليزية ويترجم لهم كلّ ما يقولون، فأصابهم ضيق شديد واستمر الحال إلى أن بلغ بهم العطش كلّ مبلغ واجتهدوا في الدعاء، فصرف الله عنهم أعداء الله وتحوّلوا من هذا البيت إلى آخر، وخرجوا يبحثون عن الماء من منزل إلى آخر حتى رزقهم الله به بعد شدّة شديدة وقَحْطٍ أسألُ الله أن يكتبه لهم في ميزان حسناتهم.

واستمرت محنة الفلوجة الثانية بهم حتى خرج هو وزميله ورفيقه في القسم الإعلامي إلى الشهادة (عبد الإله، وسأعود إليه إن شاء الله)، خرجوا إلى القائم وهناك بدءوا مرّة أخرى في إنشاء القسم الإعلامي لقناعتهم بأهمية هذا الجانب وعلمهم أنه ليس غيرهم يقوم مقامهم، فقد كان عقيل لا يحب هذا العمل ويتكلم ويلح باستمرار طالباً عملية استشهادية، حتى بعدما عقدَ عَقْد زواجه كان يُلحّ على هذا المطلب، ولقد كلمته في أوّل أسبوع لزواجه ما رأيك تذهب عملية استشهادية؟ فأجاب: والله هذه أمنيتي، قلت الآن، قال: الآن.



نشط "عقيل" في القسم الإعلامي فأخرج بعض الأشياء المهمة منها "غزوة الشيخ الأسير"، حيث كان هو المكلف بها أسأل الله أن يجعل كلّ عمله في ميزان حسناته.

من أكثر ما يميز الحبيب الشهيد هو حرصه على إخوانه وحبّه لهم وحنانه عليهم، حتى إذا رآه الرائي لأول وَهْلَةٍ يظن فيه التّكلف، فإذا خالَطَهُ عرف أنّ الرّجل كأنّه أُمٌّ تُهَدْهِدُ وليدها، إنْ مَرِضَ أخٌ قامَ على خدمته طوال اللّيل، وإنْ حَزِنَ آخر من أي شي سواء أكانَ السّبب من عقيل " ولا أذكرُ أنّه أساء لأحد قط " أو من غيره أسرع إلى تهدئة الخواطر وجمع الشّمل وتحبيب كل طرف في الآخر إلى حدّ أنّه قد يبكي إذا رأى بين اثنين شيئاً.

كان عقيلُ بالنّسبة لي ولدٌ بمعنى الكلمة، أطلب منه وآمره تماماً كما يفعل الأب مع ابنه، لا أتحرج في شيء قط، كما أنه كان يناديني بالأب ويقبل رأسي إذا رآني. كنتُ أُحِبّه حبّاً عجيباً وأخاف أن أفقده يوماً، وكذلك حدثني شيخ الرافدين المعتز بالله أبو مصعب "رحمه الله" أنه يخاف أن يفقد عقيل ويتمنى من الله أن يُرزق الشهادة قبل عقيل، ولما وصل الخبر إليه حدثني هو قائلاً: أتعرف يا صاحبي أنه من كثرة الشّهداء أصبح المرء لا يشعر بالمرارة إلا أن استشهاد عقيل أدمى قلبي وعيني وأبكاني من جَدْ، والحقّ أن ذهاب عقيل أبكى جميع من يعرفه، وكيف لا وهو الأب والأخ والابنُ، فأنت حتماً معه أحد هؤلاء.



كان عقيل وافرُ العقل، صاحب رأيٍ وحِكْمة، لم يُعهد عليه قط غضبة على إخوانه، ويستشيره الصغير والكبير وفي كل شيء، في الإعلام وفي الإدارة وفي العسكرية، كان قريباً من الجميع حبيباً حنوناً بكل المقاييس.

لم يمكث مع زوجته العروس أكثر من عشرين يوماً ثم استدعي لعمل إعلامي مهم، فجاء كعادته يركض والفرحة ملئ عيونه، وانخرط مع أخيه الشهيد "عبد الإله" في هذا العمل واتّخذوا من بيتٍ آمنٍ مقراً مؤقتاً لعملهم هذا، وجلسوا فيه يومين وفي اليوم الثالث حدث إنزال مفاجئ عليهم، إلا أنّ البطلين أخذوا بسرعةٍ ما معهم من مادة إعلامية مهمة ووضعوها على أحزمتهم النّاسفة ثمّ أسرع عقيل إلى سطح المنزل وعبد الإله إلى البستان، وقبل أن يهبط أعداء الله من طائراتهم أمطروهم بوابل من الرصاص حتى أن عقيل أفرغ جميع ما معه من طلقات حيث كان يحمل بندقية أمريكية M16، وقد وُجِدَت جميع مخازنه "التي كانت بحوزته" فارغة، وعددها اثنا عشرة مخزناً، وكذلك فعل عبد الإله.

ثمّ تقدّم عبد الإله وكان يحمل حزاماً ناسفاً كبيراً واقتحم على العدوّ وفجّر نفسه في وَسَطِهِم. بينما انتظر عقيل واختبأ داخل المنزل إلى أن دخل عليه أعداء الله ففجّر نفسه في وَسَطِهِم.

فجمعَ العدوّ أشلائَهُ وانسحب مسرعاً بعدما قَصَفَ المنزل، وقد اعترف بخمسة من القتلى في صفوفه وجرح نحو عشرين علجاً أمريكياً، فالحمد لله على النّكاية فيهم، والحمد لله على شهادة الحبيبين، أسأل الله أن يخلفنا في عقيل خيراً



وألا يحرمنا أجره ولا يَفْتِنّا بعده وأن يجمعنا به في جنات عدنٍ عند مليك مقتدر، آمين.



حصاد الأجور وباكورة الخير (٣١)

قال ﷺ: ((من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء)) الحديث،

والكلام عن حصاد الأُجور كلام عن الجبال شموخا وعن التوحيد صفاءاً، وعن السبق طريقاً، وعن التضحية شعارا، وعن الغربة دينا وعن الأخوة رابطة، وعلى الجملة، عن الجنة هدفاً والنبي قائداً والله رباً، والإسلام ديناً، فمن هم؟.

هم وفد الخير الأول وباكورة الثمر الأوحد، هم رهط الله إلى الجهاد، وقوّاد الدين إلى العزة، ومعلمو العراق الخير، أو سواق الخير إليه، هم سر جهادنا، وفخر رجالنا، وطليعة أمتنا، وأشرف من مشى فينا، ولم يأت بعدهم مثلهم ((والسابقون السابقون أولئك المقربون)) هم ((أبو تراب، أبو فريدة، أبو حفص، أبو طارق)) أول وفود الاستشهاديين إلى العراق، وحقا كانوا أوائل في كل شيء.

جاءوا من أرض الكنانة من مصر الحبيبة الأسيرة، من مركز محافظة الشرقية مدينة الزقازيق، حي الجهاد.



أبو تراب (٣١-١)

جليس لا يمل، أنيس لا يضجر، وجهه قطعة من القمر، إذا رأيته ذكرك بالله، القران أنيسه، والملائكة جليسه، عابد، زاهد، قارئ، موحد، مؤدب، أدبه ربه، وصقلته عقيدته، وهو أمير المجموعة وكوكبها الدري الذي مازال نجمه يلمع، فمثله لا يخفت، وهو مؤدبها ومربيها وسائقها إلى الخير.

هو أول المقدمين فيها بل في العراق، هو أول استشهادي في العراق، مهندس بترول، متزوج وله طفلان، يحب زوجته وأولاده كما نحب، يعشق أرضه وداره كما نعشق، يحلم بالجاه كما نحلم وهو لها أهل، لكن أخي جعل الدنيا تحت قدمه ومضى، نادته فما التفت، وتوسلت فما لان ولا حن، شدته وجذبته فما قدرت، وأخيرا جلست تولول ومضى يضحك ويجري. توقف مع رهطه في الأنبار بالرمادي وانخرط الجميع في عمل دؤوب يتزودون ليوم قريب يوم يعرضون على رب العالمين.

بكى أبو تراب وبكى وأثّر البكاء على وجنتيه وانتحب خلفه أصحابه في الثلث الأخير من الليل بل والأول، فقد كان الحبيب حافظا متقنا لكتاب الله. خرجت الآيات منه، كأنها لتوها نزلت من السماء غضة طرية وكأنها فيهم ولهم نزلت، وهي كذلك، شعروا أنهم هم المخاطبون بها دون الناس وأن التكاليف حملت على عاتقهم فتحملوا الأمانة ومضوا.



وتقدم الأمير والأسد أبو تراب ليضع أول لبنة في البناء راجيا من الله التوفيق والسداد وأن يكون قد أصاب الموضع وأحسن المكان، راجياً أن يأت بعده من يكمل البنيان.

وكانت أول عملية على وكر من أوكار الفساد والإفساد والعمالة والخيانة، على وفد من وفود الشر ووكر من أوكار الردة. ولما استقر عند الشهيد أن عقوبة المرتد أغلظ من عقوبة الكافر الأصلي، علم أن الواجب تقديمهم على غيرهم وخاصة إذا كانوا للكفار عيوناً وله خدم وأعوان ولأجله جاءوا ولمجده شمروا، كما هو حال السفارة الأردنية. فتم مراقبة الهدف وكانت تقع بالقرب من ساحة (يوم اللقاء) وإلى جوارها وفد المجرم شين العابدين حاكم تونس. وعُلِمَ أن النكاية الأكبر في السفارة الأردنية تكون من الخلف حيث الطريق إليها سالك والهدف من الخلف أسهل والعيون غائبة.

لكن عين الرقيب كانت معنا، حيث أنه يوجد على حافتي المدخل الخلفي بيوت للسنة، والكمية كانت كبيرة (أي كمية المتفجرات) والشارع ضيق، فقرر الأخوة أن يكون هجوم البطل من الأمام حيث لا بيوت تتأذى من الانفجار، اللهم إلا سفارات الشر وأركان الخيانة وهو المطلوب.

وفي تلك الليلة وكما هي عادته قام الشهيد يصلي ويدعو ويتضرع إلى الله.

قال الشيخ أبو مصعب الزرقاوي رحمه الله: بت معه تلك الليلة أشد أزره وأرفع همته أذكره، فإذا به يرفع همة أُمة، ويذكر من لا يتذكر بإقباله على الله



وحسن الظن به يقول: كان المصباح مطفئا وأقسم أبو مصعب أنه رأى النور يشع من وجه كأنه البدر في الليلة المظلمة يقول: (فانتابتني قشعريرة وشفقة على الرجل ووالله لولا الدين ما تركته قط ولقد هممت).

وأصبح الصبح وركب الحبيب سيارته ومضى يمخربها نحو عز أمته راجيا أن يحقق الهدف ويجرأ إخوانه على عدو ماكر جبان، وبالفعل دمر الله السفارة الأردنية فقتل وجرح وأرعب أعداء الله، وجاء الشهداء بعده كالسيل الجارف يأخذ في طريقه كل خبيث وينبت حوله الزرع ويروي عطش أمة إلى الجهاد والعزة أسال الله أن يجمعنا بالحبيب ولا يحرمنا أجره ولا يفتنا بعده وأن نلتقى في جنات عدن عند مليك مقتدر.



أبو فريدة (٣١-٢)

أخو يوسف وشبيه الأنبياء والمرسلين، وسيد الصفوة من الصالحين، وبقية السلف من الأخيار الطاهرين. شاب في مستهل عمر الربيع، فارع الطول، أبيض الوجه والقلب، ومن أحسن ما ترى جمالا وبهاءاً.

كان بطل مصر في احد اللعبات الرياضية، فتحت إليه الشهرة ذراعيها وبين أحضانها جهنم الحمراء، لكن المسكين رآها جنان خضراء أماني ومنون وأحلام تطير به في مجال رحب مال وإعلام وتوقيعات و.... وأسرع بتوقيع عقد احتراف في إيطاليا.

نعم رأس النصرانية إيطاليا، جاء إلى أمه يزف إليها خبره السار وأمله العريض، يريد أن يطير في الهواء ليعلم الدنيا أنه سيكون نجمها اللامع بعد فترة وجيزة، أماه سأحترف في إيطاليا. لم تصدق الأم ما سمعت، تسمرت قدماها في الأرض، علت وجها كآبة واسودت الدنيا في عينها، رأت ابنها في الحال بين أحضان العاهرات، وربما على صدره صليباً كبيراً ككبر أحلام ذلك الطائش، ذرفت دمعة الحسرة من مقلتيها، قالت: ولدي أرجوك لا تذهب أرجوك، أرجوك.



لكن رجاء ست الحبايب ذهب سدى فأصر الابن على السفر، وسافر إلى دولة الكفر. وسافرت الأم إلى بلاد الحرمين ذهبت إلى الحج وهناك بكت وذرفت الدموع رجاء أن يرد الرحيم الغفور ولدها من تلك الديار.

وفي تلك الأثناء حط صاحبي رحاله حيث أراد فوجد السيارة الفارهة في انتظاره والبيت الواسع والمؤسس على أحدث ما ابتكرته يد الفنان الإيطالي والمعروف أصلا بذاك وما هي إلا أيام قليلة حتى بدأت الشهرة تدب في أوصاله وصار اسمه يلمع يوما بعد يوم، وجاءته الفتيات الجميلات، كل تريد أن تحظى بشرف توقيع لطيف أو عبارة بسيطة على دفتر صغير في حقيبة تحوى مع ذلك الكثير من الإثارة.

ومن بين الكثير من الفاتنات المعجبات، وقعت عينه على واحدة ملئت قلبه شغفا وحبا وملكت بجمالها فؤاده، ولم يعد من أسرها يستطيع فكاكا وبدأت هي تحوطه بسيل من الكلمات يذوب أمامها الصخر الأصم.

وفي لحظة من لحظات العشق الجارف، أدرك الرجل أصله ومنبته الطيب، ما امتنعت منه فهذا دينهم لأن المرأة عندهم تسلم نفسها لمن تحب مادام عليها قاصراً، وهذا غاية الشرف عندهم ولكن صاحبنا قال لها: أريد الزواج أريد الحلال منك، فأنا مسلم وليس لي طريق إليك إلا النكاح.

أحمر وجه المرأة ورجعت القهقرى، ثم ضحكت ضحكة تخلع القلب من مكانه وأردفت قائلة: عزيزي مثلك لا يرد فإنك من أجمل الناس صورة وشهرة



مع البيت والمركب ولكن هناك شيء واحد فقط بسيط يعوق دون زواجنا قال متلهفا متعجبا: ما هو؟ قالت: إنك مسلم، لو تتنصر أتزوجك، هنا بهت الصالح وانتابه غضب كثورة البركان قائلاً يا حقيرة الآن والآن فقط كنت على استعداد أن تفعلي معي ما أشاء في الحرام ولأني أريد الزواج خشيت أن تعيري بزواجك من مسلم، وأردف قائلاً: حقيرة، حقيرة، ثم فتح باب بيته مسرعا ثم أخذ بيدها ورمى بها خارج منزله، قائلاً: ديني أغلى وأعز وأعظم منكم جميعا يا كلاب.

ولم ينتظر الصالح أن ينهي عقده أو يرتب أموره من بقايا أموال وتصفية حسابات، بل حزم أمتعته وركب أول طائرة متوجهه إلى دياره، نادماً على اللحظة التي عصى فيها أمه، شاكراً حامداً رب البرية على العصمة من الفتنة.

ولست في حاجة أن أذكرك يا أخي القارئ أن حبيبنا عصمه الله من حيث وقع الكثير الكثير من العباد والزهاد ولكن الله لا ينظر إلى صورنا بل إلى قلوبنا ويعلم بعلمه التقي النقي من الكذاب الأشر، نسأل الله حسن الخاتمة ونعوذ بالله من الفتن. رجع الحبيب إلى أمه راجياً منها الصفح والعفو مقبلاً قدماها قبل يديها فهي ست الحبايب، وحمدت الأم الصالحة وشكرت ربها على استجابة دعائها وسعت فزوجت ولدها من امرأة صالحة، ورزق منها بفريدة بنية كأنها الشمس في كبد السماء.



لم يطل والدها المقام عندها، بل حزم حقائبه ومضى وفي هذه المرة مضى الى وجهة معاكسة تماماً مضى إلى الله وحث الخطى، والتسبيح والاستغفار زاده، وخدمة الأخوان والذلة والتواضع لهم سمته وشعاره.

وجاء مع أبي تراب مع ركب الفضيلة يتسابقون إلى الله، فلما طلب الإخوة استشهاديا للسفارة الأردنية، قفز هو يترجى إخوانه أن يكون أولهم فهو لا يستطيع أن يفقد أحدا منهم قبله، كما أنه ادعى أنه صاحب ذنب يريد أن يتوب منه، وما درى أن ذنبه هو سر رفعته وشموخه فما زال الخوف من الله على أنه عصا أمه يوما يهز أركانه.

لكن أبا تراب، استسمح إخوانه، قال رجائي أن تدعوني فإني لست رياضي مثلكم ولا أستطيع ما تستطيعون فرجائي اتركوني وتوسل إليهم فتركوه.

وجاء دور أبي فريدة، هدف ما زال الكفر يبكي دماً من يومه ومازال الصليب في حسرة على فقد كبار مجرميه في تلك الأرض الملعونة، على حد قولهم.

وكان هذه المرة ومن تدبير الله العجيب هدفا صليبيا، ليرد الصاع صاعين- كان عدو الله المجرم المسؤول عن اقتطاع جزء من بلاد مسلمة هي إندونيسيا حيث كان عدو الله هو مسؤول الأمم المتحدة الذي ضغط لأجل فصل تيمور الشرقية وتحويلها دويلة نصرانية، ثم هو الذي أنهى مسألة كوسوفا على هذا النحو المخزي، وهو مع كل هذا المندوب السامي لحقوق الإنسان في الأمم



المتحدة، وهذا المجرم هو سيرجيو ديملو وقد تم استعارته فترة ستة أشهر فقط حتى ينهي مسألة العراق ثم يعود بعدها لعمله في حقوق الإنسان.

فتم رصد مبنى الأمم المتحدة وتحديد طريقة الدخول إليه واختيار التوقيت المناسب، فكان هذا التوقيت الساعة الحادية عشر صباحا.

وبالفعل ركب أبو فريدة شاحنته وتوجه إلى هدفه، وفي الطريق تعطلت به، وبدا الحاج ثامر ومن معه يحاولون إصلاح الخلل وبالفعل تم لهم ما أرادو لكن الساعة اقتربت من الثانية، فتشاوروا بينهم، هل نرجع أو نمضي على بركة الله، فقرر أبو فريدة المضي وعدم الرجوع قائلا: إن الله هو الرزاق: قالو له لكن الآن العمل انتهى بالمبنى ولا أحد فيه إلا قليل، قال الله يرزقني ولن أرجع.

وفي تلك الأثناء وصل الخبر إلى الشيخ أبي مصعب بالتأخير فأمر بالرجوع ولما عاد الرسول الى موقع الشاحنة بالخبر وجد أبو فريدة قد توجه إلى هدفه ووصل إلى مبنى الشرك والردة ومحل الخيانة والعمالة ومن يصبغ الشرعية الدولية على الاحتلال وعملائه، واقتحم المبنى بشاحنته، وكانت المفاجأة التي هزت العالم، ديملو تحت الأنقاض، ونائب الأمين العام للأمم المتحدة السيدة: نادية يونس، وعدد كبير من جنرالات الحرب في اجتماع ووقعوا في تخبط شديد، اختراق كبي، عمالة داخلية، اعتقلوا كل عراقي يعمل بالمبنى وحققوا معهم، لكن لا أحد يدرى أن مدبر الأمر هو رب البرية الذي يعلم السر وأخفى وأن أبا فريدة كان صاحب سر مع مولاه فرزقه من فضله الكريم ورفع



قدره في أعلى عليين نحسبه كذلك، والله أسأل أن يجمعنا به في جنات صدق عند مليك مقتدر-آمين-.



أبو حفص وأبو طارق (٣١-٣)

والآن نصل إلى هذين الأسدين اللذين فقدا حبيبيهما، ومضى كل واحد يصبر أخاه ويستعد ليوم الرحيل، لا تراهما إلا والدمعة ملاء مقلتيهما، لا تستبين لهما قراءة لشدة البكاء، ومع هذا فالكرم الشرقاوي سيمة الرجلين، يحدثني أبو عمر وأبو عبد الله أنهما ما زاراهما يوما، إلا وتركا عبادتهما ومضيا يحتفيان بالضيوف وكأنهما ما رأوهما منذ عهد بعيد، لا يوم بعد يوم - تكون الزيارة.

وجهز أبو عبد الله الرجلين بسلاح وعتاد كاف لفتح جبهة إذا ما اضطرا إلى ذلك، لأنهما في ذلك الوقت كانا يقطنان -مدينة الرمادي-، حيث ملأ آل (بو علي سليمان) الدنيا رذيلة وتجسس.

وسار على دربهم كل من باع دينه بعرض من الدنيا قليل، وفي يوم زارهما الحاج ثامر -رحمه الله- فهمسا في أذنه أنا نشعر أن الوضع في البيت يعني حوله صار خطراً، فبشرهما الرجل أنه يعلم ذلك أو يشعر بذلك وغداً أنقلكم بإذن الله إلى بيت أستأجر جديدا.

وفي اليوم التالي جاء ومعه آخر لنقلهما فوجدا المنطقة مطوقة بالأمريكان وماهو إلا قليل حتى سمعا اشتباك عنيف فانتابهما وجل شديد أن يكون الاشتباك مع أخويهما -وقد كان- دار اشتباك عنيف استمر أكثر من أربع



ساعات، لقي الأخوان بعدها ما أمّلاه من رب العالمين، لحقا بالأحبة في موقف شرف وعز وإباء أن يسلما نفسيهما لكافر حقود، وفي اليوم التالي اتصل أبو عبد الله بزوجة الشهيد أبي حفص وكانت كنيته الحقيقة على اسم ابنه (عمر) وبعدما عرف أنها زوجته بشرها أن زوجها الآن مع النبيين والصدقيين والشهداء وحسن أولئك رفيقا. وكانت وما زالت المرأة صاحبة عقل فسكتت المرأة زمنا سمع فيه البكاء، ثم أمسكت بالسماعة وقالت للمتصل متى تم ذلك قال يوم كذا قالت (اللهم أجرني في مصيبتي وأخلف لي خيرا منها)، ثم قالت عذرا يا أخي ممكن تخبر أمه لأني لا أستطيع أخبارها وبالفعل أتصل الرجل على أمه والتي سقطت سماعة التليفون من يدها ولم تتكلم بعد، ولا يدري أبو عبد الله ما حل بالأم والتي يبدوا أنها كانت تموت حبا في ولدها، الله يجعله لها ذخرا في الآخرة وأن يرحمها به وأن يلحقنا بهم جميعا في جنات عدن -آمين-.



الشيخ المجاهد (٣١-٤)

هو الشيخ المجرب، والأسد المحنك، والأب الحنون، والصديق الرفيق، والسهل الهين المتواضع، ((أبو حمزة الشامي)).

من مدينة حلب، هاجر أبوه من تركيا إبان الاضطهاد الديني أيام الهالك ((كمال أتاتورك))، ولذا كان يتقن التركية لغة أبيه، ذاك الجبل الذي غرس في نفس ابنه -كما حدثني هو- حب الدين وأهله وقيم الإباء والشموخ وأهم شيء عشقه السلاح والقنص.

حدثني أن أباه لما بلغ به الكبر عتيا أراد أبناؤه أن يروِّحوا عنه بعض الشيء فأخذوه في نزهة صيد لما يعلموا عنه من سابق عهده بهذا الأمر، فلما رأى الشباب يتبارون أمام الهدف قال لأحدهم أعطني بندقيتك، فضحك الشاب من الشيخ، وحتى إبنه ما أحسن الظن بأبيه فظنه قد نسى ما شاخ عليه، وكان أمام الشيخ علبة معدنية فقال لإبنه ألقها في الهواء، وإذا بالشيخ وكأنه عاد إبن العشرين ربيعا يسدد بخفة ورشاقة على العلبة ليصيب كبدها ويسلم البندقية لولده تاركاً الجميع في صمت مطبق ودهشة لما رأوا، فعند هذا الوالد وبين يديه نشأ شيخنا وعلى يديه تدرب على السلاح بكافة أصنافه وخاصة الخفيف منه، والذي ما خلا قط من بيتهم وعلى حد تعبير أبي حمزة حتى في أحلك المحن أيام أحداث حماه وحلب، تلك الأحداث الأليمة والتي شاء طواغيت العرب أن



يسكبوا عليها النسيان، نسيان الحقد الباطني العلوي ضد السنة، نسيان الذل والمهانة وفقد الأهل والولد.

هذا ومازال أبطال القصة يعيشون بيننا أمثال أبي حمزة وغيرهم في سجون الطاغية المتجبر الهالك (حافظ النعجة) ومن بعده عدو الله ابنه ((بشار)).

وعلى ذكر الأخوة في سجون الطاغية الباطني العلوي أجد من الأمانة أن أذكر قصة حدثت مع أخي أبي محمد المصري شهيد عين الحلوة ومع أخي أبي صالح الأسير فك الله أسره. وخلاصة الأمر أنه لما سجن الأخوين ومعهما مجموعة من الأخوة في قضية تتعلق بعمل جهادي ضد قطعان اليهود بالأردن أدخلوا أبا صالح خطأ على مجموعة من الأشباح، في مكان ما هو إلا جهنم الحمراء، أو بيوت الجن أو حاويات القمامة أو فتحات المجاري، المهم مكان ما وجد فيه أشباه بشر وأناس يجلسون القرفصاء ليس عليهم إلا ما يستر سوءتهم، شعور طويلة جدا، وأظافر كأنها مخالب وحش، ورائحة الجيف تفوح من كل شيء، وصمت مطبق، ورجل بسلاح وبيده سوط يجلس أمامهم لكنه بعيد عنهم وحتى لا يتأذى بالرائحة وأدخلوا صاحبي على هذا المكان.

قال: فلما رأيتهم سقط فؤادي في قدمي وشعرت بخوف خلع أطرافي من مكانها وأجلسوني بجانب أحدهم.



فاسترقت الطرف وحاولت أن أكلم أحدهم، فما من مجيب وحاولت أخرى فما من مجيب، اللهم إلا دموع تحجرت تماما كتحجر أطرافهم، كل شيء ساكن صامت.

وبعد عدة ساعات نادوا عليه وأخرجوه وفهم بعدها أنه دخل بالخطأ وأن ما رآه ليس منظراً من أهوال يوم القيامة، وأنه حقا لم يكن بغيبوبة أو كابوس مؤلم مزعج ولكن ما رآه أخوة له، يوما ما من الدهر منذ أكثر من عشرين سنة قالوا (لا إله إلا الله) في حماه وغيرها ومن ساعتها إلى يومنا هذا وهم في وضعهم الذي رآه لا كلام لا شيء لا شمس لا لا لا........ .

والثانية أن أخي أبا محمد حدثني قال لما دخلت السجن كنت ما زلت غبياً وحقا أحمقاً جاهلاً، قال أذن الفجر، فانتظرت حتى كادت الشمس أن تخرج فطرقت الباب، وأخذ صاحبي نفسا طويلا أي شهقة مؤلمة قائلاً لا أدري أطرقت باب السجن أم باب الجحيم، وعلى الفور جاءت كلابهم من كل حدب وصوب يتعجبون من ذاك الكائن الغريب والمخلوق الفريد الذي استطاع أن يطرق باب السجن دون أن يفتح له وقبل ميعاده، قالوا له مالك وقبل أن يعطوه الجزاء، قال المسكين: صلاة الفجر، فضحكوا وضحكوا ثم أمسك به جبارهم العنيد ورفع صوته النشاز قائلا له وعذراً ((يا ابن الكلب صلاة الفجر آيه إحنا كفار كفار فاهم يعني إيه إحنا كفار)) طبعا بلهجتهم العامية. ثم أخذ عدو الله يضرب أخي الشهيد رحمه الله على أذنه حتى سال الدم غزيرا منها ومن كثير من جسمه ثم تركوه جثة هامدة وانصرفوا



يضحكون. هذا هو نظام البعث وإلى يومنا هذا وحتى لا يظن أحد خيرا بعدو الله بشار فهو طاغية بن طاغية.

وعودة إلى شيخنا أبي حمزة فقد ساقني ذكر أنه شارك في أحداث حماة مأساة إخوانه وإلى يومنا هذا في سجون الطواغيت. وأبو حمزة نفسه خبر هذا العذاب لكن في قضية بسيطة جدا مكث عليها في سجونهم حينا من الدهر.

وكنت أجلس في أثناء حربنا في الفلوجة الثانية مع الشيخ وأطلب منه أن يحدثني عن الأحداث في حلب وحماة والحمد لله سردها لي من أولها إلى قبل نهايتها ثم في الأخير قال لي: قرأت كتاب التجربة السورية لأبي مصعب السوري، قلت تقريباً نعم الطبعة القديمة المختصرة قرأتها والجديدة ليس جميعها، قال: عموماً الرجل أنصف في هذا الكتاب، وخير من كتب في هذا الموضوع، وهذه شهادة شاهد على عصر الكتاب.

ولما جاءت دولة الطالبان هاجر شيخنا إليها بحيل وحيل حيث أنه ممنوع من السفر، وهناك قاتل إلى جوار إخوانه كلا من التحالف الشمالي والشيعة الملاعين في باميان وغيرها. وهو الشيخ الكبير، فسكب بعطفه الحنان على الشباب فأحبوه وأحبوه، ورأوا فيه الأب والأخ الكبير والصديق الوفي، ولما انهارت دولة الإسلام على أيد الخونة الباكستان لا على أيد الأمريكان فحسب، رفض وهو العاشق للجهاد وأهله العودة الى سوريا ولو بجواز سفر مزور كما عرض عليه أحد أقاربه، بل رحل شيخنا إلى ساحة أخرى من



ساحات الجهاد، ذهب إلى منطقة شمال العراق ((كردستان)) يقاتل عدو الله الطالباني وحزبه الإلحادي المجرم، وأستمر معهم حتى دخول الأمريكان.

ومن ثم عاود جهاد الأمريكان ولكن في الفلوجة والتي بها تعرفت على شيخنا فرأيت شيخاً عجيباً، لا يكل عن العمل، لا في حر الشمس ولا تحت وابل القصف.

فاقتربت منه أكثر فإذا به عسكري عبقري محنك، فعجبت كيف أمثالي يكون لهم رأي في الحرب وهذا الكنز ليس فيها، فتم إلحاقه بمجلس الشورى العسكري وهو مجلس عسكري مشكل لإعطاء النصائح والتوجيهات اللازمة لإدارة أزمة الفلوجة عسكريا.

وكان شيخنا صفته الصمت إلا إذا سئل، فإذا تكلم تقطرت خبرته من بين ثناياه، وعلمت حقا أن الرجل يعشق البارود طيبا. ثم دارت رحى الحرب في الفلوجة الثانية، وكان نصيب شيخنا إلى جواري مع زمرة من الأشاوس في حي نزال، وهناك كان عاشق القناصة لا يفارق محبوبته، فهي دراغانوف روسي منظارها مصفر جيدا، يتنقل بها من سطح إلى آخر لعله يصطاد جرذونا من الأمريكان.

ثم اشتدّت رحا الحرب أكثر وأكثر وتم اقتحام نزال من قبل العدو وأيضا انحزت مع أبي حمزة وعلى الرغم أن الرجل كان في الخامسة والخمسين من



العمر إلا أنه كان يقفز من فوق الجدران من سور إلى سور ورأيت رشاقته وخفته، قلت صدق القائل: ((جوارح حفظناها في الصغر فحفظتنا في الكبر)).

وإليك يا أخي لقطة واحدة من لقطات العز والجهاد مع شيخنا.

فقد انحاز هو ومجموعة من الأخوة إلى أحد البيوت على حسب الخطة المرسومة لذلك وكانوا بالطابق الثاني، وأتفق هو وأبو جعفر على أمر أنه إذا دخل الأمريكان يفتشوا البيت لا يرمي كل الأخوة لسببان:

١- حتى لا تستهلك كمية كبيرة من الذخيرة في غير موضعها المناسب.

٢- وحتى لا يرمي الأخوة بعضهم البعض وخاصة إذا تقدم المجاهدون نحو العدو.

ولم ينتهوا بعد من كلامهم، حتى جاء الأمريكان إلى هذا البيت وصعد جندي إلى الطابق العلوي لتفتيشه يتبعه قطعان من الجرذان فما إن رأى أبو حمزة عدو الله حتى أمطره بوابل سقط إثرها أمامه كأنه عذرة سقطت في بئر.

ثم تقدم هو وأبو جعفر وأمطروا قطيع الجرذان خلفه بوابل من الرصاص ففروا بجراحهم، ولكن عدو الله المقتول بقي عند الأخوة.

غنم أبو حمزة والأخوة سلاحه وجعبته لكن الشيخ آثر أبا جعفر بالسلاح ومضت المعركة في هذا اليوم حامية حامية من بيت إلى بيت حتى علا شيخنا أبو حمزة سطح أحد البيوت ليعبر منه إلى بيت آخر وإذا بقناص أمريكي يحتل سطح بيت مجاور أعلى منه فقتل شيخنا في الحال.



فحزن الجميع لفقده فقد كان أبو حمزة وكان، لكن الظرف والوقت لا مجال فيه للبكاء ولا الأحزان فالحرب تطحن الشباب طحنا، ومضى الشباب تاركين خلفهم شيخنا أبا حمزة والغصة في حلوقهم لكن هذا كان هين إذ قورن بما الذي نكت في قلبي حرقة وحسرة وإلى يومنا هذا وأكيد ستموت معي وحتى أحاجج أمتي بعلمائها يوم القيامة.

فقد استقر بنا الحال في بيت آخر مع مجموعة من أفاضل الأخوة وأرسلنا المجاهد أبا الزبير الليبي إلى جثة أبي حمزة ليحاول دفنها لكن الرجل وبشق الأنفس استطاع فقط أن يتأكد من وفاة الشيخ ويأتينا ببعض أغراضه الشخصية التي كانت في جيبيه. على أمل أن نعود إليه مرة أخرى ريثما تتحسن الأحوال، لكنها ساءت فقد جاء القناصة إلى رأس الفرع الذي يفصل بين بيتينا، ليس ذالك فحسب بل دبابة على رأس الفرع أيضا فما استطعنا إليه سبيلا.

ومضت الأيام وبدأ اليهود بجمع الجثث فرموا بجثة أبي حمزة من أعلى إلى أسفل ثم تركوه عدة أيام في الشارع ونحن ننظر إليه لا نستطيع أن نوارى أخانا تأكلنا الحسرة ويقطع أكبادنا الألم ونبكي على ما آلت إليه الأحوال بخذلان الأمة.



القوي بالله أبو دجانة (٣٢-١)

"القويّ بالله"، ليس هذا لقبٌ تلقّبَ به شهيدنا في حياته، لكن وجدتُ أنه أصدق وصف لعبد الله التقي النقي الطاهر الظافر "أبي دجانة اليمني".

قُتِلَ الرَّجل ولحق بمن سبقه من رفقة الدّرب ضاحكاً مستبشراً، ولو قيل له قبل رحيله إنك غداً ميت، فتزوّد، ما طاق وربّي أكثر ممّا كان يعمل، فمن هو؟!

لا أكاد وربّي أصدّق رحيل الرَّجُل، قلبي لا يستطيع تصديق الخبر، فؤادي حقّاً ينكر ذلك، أكتب الآن عن أخي وقلمي يضطرب ويهتزّ كأنّه ينكر عليّ، "أنا القاسي القلب" تلك الكتابة.!! وكأنّه يقول: ما أقساك من قلب، هل تستطيع أن تتخيل أن أبا دجانة ميّت؟ هل تستطيع أن تكتب عن هذا الجبل ؟ أحقاً تظن يا مسكين نفسك أديباً ؟! أحقّاً تستحق أن تسطّر عن مثل هكذا شخص؟!، هل خُدعت أو خدعك أحد فتنظر أن لك القدرة على وصف الرجال وعمالقة الجهاد وتلاميذ النبوة وحماة العقيدة وطلاب الشريعة والسابقون الى رب العالمين. فأجبتُ قلمي: والله إنك لصادق وإني وربّي أعلمُ أني كاذب، ووالله يا هذا ما وقفت قط أمام أبي دجانة إلا وشعرت نفسي مثل الذر، وما غبط أحد ما غبطه على عمله، لكن عذراً يا صاحبي فإنما هي مشاعر أسطرها وكلمات أكتبها، لا عليك، فربما يشعر بمصابي أحد فيدعو الله أن يصلح حالي ويتغمدني برحمته التي وسعت كل شيء. أما أنت يا عيني فكفاك



دمعاً وتحجري يا دمعة كما عهدتك، أقسى من الصخر، ما لك اليوم تتساقطين وعن البكاء لا تكفين، هل لإن حبيبي لم يجف دمه بعد. أم لأن الشهيد كان عمودي الفقري ويدي الضاربة، فأشعر بعده بشيء من العجز وقلة الحيلة. أم أنه الحب، الحبُ الّذي أِشعر به يتساقط من أطرافي تجاه هذه العصبة. نعم هو هو ! هو الحب أشهد الله، ووالله وهو فوق العرش ويعلم صدق قلبي أني لهؤلاء الأخوة مُحِبّ، لا بل عاشق، وما أحببت مثلهم قط، كما أنهم وكما أظن وأشعر أني لم أر حبّاً كحبّهم لي وأدباً كتأدبهم. فإن كان هؤلاء الشباب يحبّون العبد الضعيف فإني والله أعشقهم، وإن كانوا يجلّوني فإني أكبرهم وأقدرهم، أشعر أمامهم أني صغير صغير، وإن كانوا يعتبروني أخاً كبيراً وأباً لهم، فإني أشعر أني لهم خادم. ووالله ما رأت عيني الرجال قبلهم، ولا رأيت مثلهم ولا شبههم، أعني أحبابي في كتيبتي وفلذة فؤادي "كتيبة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها".

فإن هذه الكتيبة مباركة تماماً كبركة من سُمّيت باسمها أمّنا "عائشة" أم المؤمنين "رضي الله عنها"، فالله يحفظهم ويزيدهم ولا ينقصهم ويبارك في إعمالهم ويرفع قدرهم، إنه على كل شيء قدير.

"أبو دجانة"، نحيل الجسم جداً، شاحب اللون، بل أصفر الوجه، رثّ الثياب. لكنه أسد يزأر، وسهم يعرف عينه، وكنز مفقود، وصف نفسه يوما و كان يحمل قذيفة لمدفع النمساوي فقال يا شباب هذه القذيفة أثقل مني بثلاث كيلوات، وزنها ٤٥ كجم ووزني أثنين وأربعين.



دخل يوماً ما مضافة الشباب وبحث عن مكان ينام فيه فما وجد، فاستيقظ صاحبه وأخوه "الشهيد البطل أبي أنس اليمني"، فوجده يبحث عن مكان له، فقال: أقول لك، أين تنام ؟ فقال الحبيب: أي والله وين؟ قال أسحب طلقة من مخزن الكلاشن ونام مكانها. فضحك الجميع ومن ثم حشر نفسه بينهم.

أبو دجانة صاحب عقيدة فولاذية، من أسود اليمن، من جنوبه، اسمه الحقيقي "شفيع" -نسألُ الله أن يُشفّعه فينا يوم القيامة-، وقد التحق بعصبة من إخوانه يريدون القيام على طاغية اليمن الغبي الحقير "علي عدوّ الله صالح" إلا أن أميرهم ترك الجبل وباع إخوانه بدراهم معدودة وبمنصب حقير، ففر أبو دجانة بدينه، وقد لقي من ذلك شدة كبيرة. قال لي يوماً من الأيام وقد ضاق بنا الحال؟ قال: والله لما هربنا في اليمن كنت أنام فوق شجرة من الأشجار، أربط نفسي عليها حتى لا أسقط.

عشق الشهيد "تقبله الله" ومنذ كان باليمن المتفجرات، فكان له معها صولات وتجارب، ولما لحق بإخوانه في بلاد الرافدين، التحق بالأخ "الباشق" وكتيبته أيضاً "أبو دجانة" وأخذ منه علم التصنيع ثم تعلم التشريك والتفخيخ ومهر في ذلك حتى سبق الجميع فإلى أن مات لا يوجد عندنا مثله ولا حتى من يقترب منه.

فيرجع الفضل بعد الله ثم إلى أبي دجانة في تفخيخ الكثير الكثير من السيارات المفخخة للاستشهاديين وغيرها، وأهم أعماله وأكبرها هي "الخباطة" المباركة التي دمرت بقوة الله فندق شيراتون بغداد وميرديان فلسطين، وكذلك



عملية فندق الحمراء، أي غزوتي بدر بغداد والشيخ الأسير. ثم إن أبا دجانة ملأ الدنيا عبوات، فقد قطع جميع الطرق في المنطقة التي كان يعيش فيها على الأمريكان فكان يواصل الليل بالنهار لا يفتر عن عمل قط، يستيقظ من الصباح ولا يجلس، ولا ينام إلا بعد العشاء وقد أكله التعب وشرب، فكان يُتعب إخوانه في العمل ولا يهتم بطعام ولا شراب، مررت يوما وهو يزرع عبوة، فنظرت إلي وجهه، فرأيته أصفر كالليمون وقد كان ذلك عصراً، فقلت له كالمستنكر.؟ أنت صائم؟ قال: لا، قلت: كُلْ يا بنيّ بالأمر، كُلْ واتّقي الله.

كما أنه برع في التفخيخ والتشريك، برع كمقاتل لا يعرف الخوف وليس له بخُلق. فقد كان من أعمدة اقتحام سجن أبي غريب الأخيرة وأبلى فيها بلاءً حسنا، بل لأجلها جاء من الغربية ثم كان من أعمدة الأخوة في غزوة الثأر، وكان الشهيد رامياً محترفاً لقاذف الـ (آر بي جي)، والتوفيق والسداد من الله. بل إن أبطال الأخوة كـ "أبي أنس الشامي وأبي رضوان التونسي رحمهما الله "كانوا يطمئنون إذا وجدوا أبا دجانة في الصف جانبهم.

أحبه الأخوة جميعاً من أعماق قلوبهم، لِما وجدوا فيه طيّب الخلق وقلة الشكوى، بل عدمها وكثرة العمل والحرص على الدِّيْن والنّصح للمسلمين، ونكران الذّات. ففي ليلة استشهاده جاء إلى "أبو عبيدة المكي" – والذي سأعود إليه بعد قليل – وقال: ابو دجانة يريد الزواج فضحكتُ، ثم جاء أبو دجانة بعد أن اغتسل ولبس ثيابه وتطيّب، ففاتحته على جمع من الأخوة وكنت أقصد أن أمازحه، فاستحى جداً كأنه عذراء في خدرها حتى



أني استحيت لحيائه فأخذ مجموعته مجموعة الزرع وانصرف، فقلت لجليس لي: والله لو أن عندي مائة مثل الرجل النحيف هذا لفتحت العراق بعون الله، ثم قلت: والله اني أخاف عليه أن أفقده، وقد كان هذا الشعور يلازمني قبل نحو عشرة أيام من استشهاده، فأحضرت مجموعة من الأخوة إليه كي يعلمهم مما علّمه الله "أعني يعلمهم التفخيخ والتشريك"، ثم إني خفت عليه أن يموت من شدة حاله فكنت آمره بالطعام.

و في يوم مقتله كنت أنظر إليه بخوف شديد، وقلت لجاري وكان هو "الأخ أبو جعفر": والله أخاف على أبي دجانة، أشعر أني أريد أن أضعه في عيني أو في قلبي حتى لا أفقده، أحتاج إليه من لي بمثله.

و إذا بالرجل يذهب كعادته لزرع عبوة على الطريق مع مجموعته، إلا أنه ذهب هذا اليوم متأخراً بعض الشيء وذلك لظروف المنطقة، فوقع في كمين للأمريكان كان لتوّه قد نُصِب، فكشف أمر مجموعةٍ سبقته من الأخوة، ونجوا من الكمين بأعجوبة، إلا أن أبا دجانة رأى سيارة الأخوة متوقفة على الطريق، فوقف ينظر الخبر، وعندها إذا بسيلٍ من الطلقات في صدره وأبي عبيدة بطلقة في رأسه وجرح آخر، وردّ الأخوة على النار بالمثل وقتلوا منهم أكثر مما قتل أعداء الله منا، وانسحبوا يجرّون قتلاهم وجرحاهم مع الخزي في الدّنيا والنّار في الآخرة.

أما صاحبنا أبو دجانة فقد دُفِن في اليوم الثاني ظهراً، ومع أنه مات في حاله، إلا أنه ولساعة دفنه كان جرحه ما يزال ينزف دماً، مما أثار تعب الكثيرين،



وقد دفن هو وأخوه أبو عبيدة في قبر واحد لما كان بينهما من المحبة، ولضيق الحال والوقت لحفر مكانين للأخوة، فنسألُ الله أن يخلفنا فيهم خيراً، ولا نقول إلا ما يرضي ربّنا.



أبو عبيدة المكّي (٣٢-٢)

هو عبد الله الصالح (رياض الحربي) من بلاد الحرمين ومن أشرف البقعتين "مكة المكرمة"، من تلك القبيلة الأبية التي فجرّ ابنها البار مجمع المحيا الصليبي.

صاحب عقيدة لا يداهن عليها، يكره الطواغيت العرب وخاصة طواغيت آل سلول أشدّ من كُرهه للنّار وعذابها. كان يهش ويطرب مع كل طلقة في أعناقهم أو مصيبة حلت بهم، وكان يومه المشهود في فرحه يوم إعلان موت الدمية الهالك "فهد بن عبد العزيز"، حيث كاد أن يطير فرحاً ويسكر نشوة.

هو أيضاً المبتلى في الله وصاحب الكرامات المشهودة في معركة الفلوجة الثانية، هو "صاحب البلم" أو "صاحب القارب".

فقد كان ضمن مجموعة من إخوانه في حي الأندلس ثم فرقهم إطلاق النار إلا أنّ أبا عبيدة أصيب في فخذه بطلقة ثم تحامل وركض وأثناء ركضه أصيب بطلقة أخرى في جنبه، إلى أن لجأ إلى أحد المنازل وكان أمامه "بلم" أي مركب صغير، فرفعه ثم نام تحته، وأخذ جرحه ينزف إلى أن أغمي عليه ثم فاق ولم يشعر بأحد، فخرج ليلاً يبحث عن شيء يربط به جراحه ويضمدها فلم يجد إلا أوراق الشجر فكان يأخذ منها ويضع على جرحه، ولم يكن عنده شيء من الطعام قط إلا بعض "النارنج"، وهو فاكهة أشبه بطعم الليمون وشَكل البرتقال، وأوراق الشجر وعليها أقتات.



فكان كل ليلة يتحامل على نفسه ويخرج ليأت ببعض الأوراق والنارنج ثم يدخل تحت البلم، إلى أن تعفنت جراحه ووجد من ذلك شدّة.

إضافة إلى أن أعداء الله قد اتخذوا موقعاً لهم بالقرب من مكانه وهم لا يشعرون به، فكانوا يسكرون ويغنّون ويتناكحون بالقرب منه كالبهائم، فزاد ذلك من بلائه، يقول الشهيد فلم أجد شيئا أدعوا الله به إلا كلمة التوحيد، فكان يقول: "اللهم إن كنت تعلم أني أقول أشهد أن لا إله إلا الله خالصاً من قلبي ففرّج عني". فبرأ جرحه وتعافى سنّه.

ثم إن أعداء الله فتشوا مكانه مرات عديدة وفي أحد هذه المرات رفع جندي البلم من مكانه ثم نظر إلى أبي عبيدة تحته وأنزل البلم مرة أخرى قائلاً لصاحبه لا شيء تحته. على الرغم أن عيونه كانت في عيون شهيدنا، أعماهم الله، ثم تكرر هذا الأمر مرة أخرى وبعد فترة، ونفس الموضوع، إلا أن هذه المرة كان الجندي من الحرس الوثني "الوطني" العراقي، وكذلك قال لا شيء هنا.

و قد مكث الشهيد على هذه الحالة قرابة الأربعين يوماً وبعد ذلك لحق الشهيد رحمه الله بكتيبة أم المؤمنين عائشة فكان أحد دعائمها وأهم فرسانها، فأسند إليه مسؤولية المالية، لأمانته وحرصه الشديد على مال الله أن يوضع في حقّه ومستحقه. ثم أسند إليه بعد ذلك إمارة سرية القناصة فاجتهد في تأسيسها غاية الاجتهاد حتى أثمرت بحول الله، ثم أُسند إليه رعاية الأخوة الاستشهاديين والقيام بشئونهم لما يعرف من أبي عبيدة من حرصه على إخوانه وشدّة حبّه



واهتمامه بهم وحسن أدبه وظرافة طبعه وخفّة ظله، كما أنه مُسعّر حرب يقظّ الهمم.

كما أنه وقبل استشهاده بنحو أسبوع طلب الالتحاق بسرية التفخيخ مع أخيه وصديقه وحبيبه أبي دجانة، وقد رأيته معه ليلة استشهادهما، وكنت قد علمت أن هناك امرأة لما سمعت بحسن خلقه وجميل صفاته طلبت الزواج منه، ففاتَحْتُهُ وقلتُ له أني موافق فتوكل على الله، فقال: أخاف يا حجّي أن تفتر همّتي، قلت لا عليك الله يقوّيك.

فأردنا أمراً وأراد الله أمراً، أردنا زواجه من الدُّنا وأراد الله زواجه من الحور، وإني لأرجو ألا يُحرم هذه المرأة من زواج شهيدنا لها في الآخرة.

نسيت أن أُقول أنّ الشهيد الحبيب كانت له أيادي بيضاء في الدعوة إلى الله وخاصة في أوساط النساء. فقد لاحظ قلة الحجاب الشرعي "النقاب" في أماكن تواجده، فاشترى كمية من الحجاب وأخذ يوزعها على الأخوة المتزوجين، ثم هم بدورهم أخذوا يوزعونها على أهل المنطقة بالمجّان، حتى صار الحجاب سمة غالبة لنساء هذه المنطقة، وقد استشهد رحمه الله وما زال في جيبه تسعمائة دولار أعدها لهذا المشروع، أسأل الله أن يكسيه من حلل الجنان كما كسا أخواته في الدنيا وأن يجمعنا وإيّاه في جنّات عَدْن، إنه سبحانه ولي ذلك والقادر عليه.



أبو الشهيد: أبو عمار (٣٣-١)

هو صاحب الهمّة العالية، والنّفس الأبيّة، والذي إذا اقتنع أبدع، وإذا كره أوقع، يحسده النّشاط على خفّته ويختبأ الكسل عند رؤيته، صاحب القدم والسّبق في الجهاد والرباط، المهاجر إلى الله بأهله وولده، والبائع نفسه وماله لله وبالله، أعني "أبا بكر السوري الحلبي"، والمتسمى بأرض الرافدين بـ "أبي عمار السوري".

أيقن الشّهيد "رحمه الله" مبكراً صدق منهج المجاهدين وعلو منزلتهم، وبالمقابل أدرك وعاين سفالة منهج العلمانيين وانحطاط مذاهبهم ومشاربهم وسوء طويتهم وخبث مقصدهم، وعاين كما عاين أمثاله من أولي البصائر عمالة طواغيت العرب وإنبطاح عقولهم أمام التكبر والتجبر الصهيوني الصليبي، فالتحق مبكراً مع جماعة أبي عائشة بلبنان بل كان من مؤسسيها وحاول معهم فعل شيء يرفع الهمّة ببلاد الشام ولكن مشيئة الله غالبة، فقد اكتُشِفَ أمرهم مبكراً فهرب بأهله إلى الأردن ثم التحق بأفغانستان، وهناك عمل مع منظمة "وفا" الخيرية - هي منظمة أسسها بعض شيوخ الجزيرة لغرض العمل الخيري -.



ثم رحـل من أفغانسـتان إلى باكسـتان ومنهـا إلى سـوريا ثم قـدم بأهلـه إلى العراق. وفي العراق بدأت تتكشف حقيقة القائد وقدراته الفذة وطموحه العالي وذهنه الوقاد.

فما إن وضعت الحرب أوزارها مع البعثية حتى بدأ يدب الأرض بأقدام أرسـخ من الجبـال نحو العـزّة والفـداء، فاتصـل بالقائـد الحبيب أبي مصـعب الزرقـاوي "رحمه الله" وبـدأ معـه أول رحلات الجهـاد، وكـان ذلـك في مدينـة الفلوجـة وقبـل أن تـبرز كرمـز للجهـاد، إلا أن عيـون عملاء وجواسـيس الأمريكان رصدته، وقبل الإيقاع به كان الشهيد قد حط ببغداد وهناك عملتُ معه، أدبٌ وتواضعٌ وهمةٌ وخدمةٌ وكل ما يمكن أن تحبه في أخ، فشارك في التحضير لعدة عمليات استشهادية كان منها أول عملية ضد عملاء الأمريكان من الشرطة في منطقة الراشدية وبمشاركة الأخ الشهيد الحبيب الملا ثامر "رحمه الله"، وكان الأخ الاستشهادي هو عبد الرحمن المغربي، ولهذا الأخ قصة عجيبة فلا تسل عن التواضع والعبادة والدين، وأعجب ما في الموضوع أن الأخ كان لا يحسن أبداً قيادة السيارة وكان يبكي يريد أن ينفذ عملية استشهادية ويدعو ويتضرع إلى الله، ولما أردنا أن نختبره في القيادة، كان الحائط هو أول أهدافه، فتم استبعاده. فبكى وبكى حتى حزنا جميعاً، ولما جاء الملا ثامر لزيارة أبي عمار عـرف السـبب، قـال: قم معي الآن وأخـذه يعلمـه القيـادة وخلال ثلاثـة أيام وبمعدل سـاعة إلى سـاعتين في اليـوم أحسـن الحبيب القيـادة وكأنـه يقـود منـذ سنين، ونفذ عملية من أصعب العمليات والتي تطلب مهارة عالية في القيادة



وليعلمنا درساً مبكراً، أن تقوى الله وصدق العزيمة والدعاء والابتهال إلى من بيده مقاليد الأمور هي خير معين على بلوغ المراد.

عودة إلى الشهيد الحبيب أبي عمار، ولما اضطررنا إلى مغادرة بغداد نظراً لأمور كثيرة، غادرت وغادر معي إلى نواحي الفلوجة ثم دخلنا إليها تقريباً سوياً، ثم شاءت الأقدار أن أكون معه في بيت عمر حديد وقت اقتحام الفلوجة الأول، وخرج كما خرجت بلا سلاح، وغنم كما غنمت. ثم تقدم الشهيد البطل باتجاه الجولان على غير تخطيط مسبق ووجدنا أنفسنا في حي الأكراد عند المدرسة، وهناك حاولت عدّة دبابات التقدم لكن الأخ البطل "سالم" تقدم فدمر أولها ثم تابعوا التقدم فدمّر الثانية الأخ "محمد"، وفي تلك الأثناء جاء الطيران السمتي فأول من بدأ أو كان من أوائل من بدأ إطلاق النار تجاهها الشهيد أبي عمار بسلاحه الآر بي جي الذي كان معه، وبعدها أمطر جميع الأخوة السمتية بما تيسر معهم من سلاح، وشوهد على إثره دخان كثيف ينبعث من مؤخرة الطائرة فكبّر أبو عمار وكبّر كل من حوله وأخذتُ أعانقه ونتعانق جميعاً، فها هو العدو الأكبر يتهاوى أمام أعيننا، الآن حيّد أخطر سلاح ضدنا الطيران السمتي، تجرئنا عليه وكانت هذه أول مرة في العراق يتجرأ المجاهدون على الطيران ولتصبح بعد ذلك عادة الأبطال في العراق لدرجة أنهم في بعض الأحيان كانوا يتمنون قدومها وعرف العدو ذلك بعد عدة مروحيات سقطت فما عاد يرسل غربانه لتقع في شبكة الصيّاد.



ثم تقدم الشهيد وتقدمت معه باتجاه "علوة المخضر" بالجولان وهناك قال لي هو والأخوة: أنت أميرنا، قلت له: لا، أنا لا أعرف المدينة جيداً ولا أين يمكن الدفاع والهجوم، لكن أنت يا أبا عمار سكنتَ بها وأنت الأمير وأنا معك أخ وخادم، فرفض، وأصررت فوافق، ومضينا نرتب المجموعات ونرفع المعنويات وكان لأبي عمار في ذلك الحظ الأوفر والنصيب الأكبر فكان حقاً صاحب همة عالية وتكبيرة تزرع الثقة في نفس الجبان.

فكان إذا هجم العدو من مكان يدفع في الأخوة دفعاً، "تقدم يا بطل- من هناك يا أسد- الله أكبر أصبت الهدف - هكذا قتال الشهداء" . ونحو ذلك من التشجيع ورفع الهمة مع حرص على إخوانه وعدم وجود إي معصية في وسطنا. وفي أحد الليالي الحالكة صبّ العدو نيران حقده وحسده على الجميع، فأُصِبْتُ وأُصِيْبَ الكثير من الأخوة وتقدم العدو إلى مداخل المدينة واحتل حي الأكراد، لكن أبا عمار كان نعم الرجل في وقت الشدائد، فما وهن وما ضعف بل شد وكبّر –وإلى جانبه ابنه عمار- يجر سلاحه ويقاتل بجانب أبيه يرفض الذهاب إلى أمه، حيث كانت المرأة من القلائل اللاتي ترفض ترك المدينة، فصبرت ووقفت مع المجاهدين، تخبز وتطهي وتغسل الملابس لهم، وذلك في بيت القائد عمر حديد مع أمه وإخوانه، أسأل الله أن يحفظهم جميعاً.

ثم رأى أبو عمار أن يطهر حي الجولان من المعاصي والذنوب فمنع أن يجاهد فيه كل شارب سجائر أو يدخله، وكل غريب يدخل الحي ليلتحق بنا يسأله من أين أتى؟ ومن أرسلك؟ ومن تعرف؟ ولماذا جئت؟ وإلى غير ذلك



حتى طهر الحي تماماً من الجواسيس فصار يُضرب به المثل في التنظيم والشجاعة والنكاية في العدو. وشاءت الأقدار أن يحاول العدو اقتحام المدينة من جهة السكة، أي من جهة حي الجولان، لكن أبا عمار وإخوانه كانوا له بالمرصاد فصدوهم وأرهقوهم. وأذكر أنه في آخر حملات هذا العدو بدأ هجومه عند أذان الفجر فتقدم القناصة ثم الدبابات وتم صد أول هجماته وتدمير دبابة له، فتوقفوا ساعة ثم أعادوا الكرة فتم تدمير أخرى، ثم رجعوا وتوقفوا ساعة، ثم أعادوا الكرّة فتم تدمير أخرى، ثم رجعوا وتوقفوا ساعة ثم تقدموا ثالثة وكان الإعياء قد بلغ بنا كل مبلغ وقاربت الساعة من الثالثة عصراً وأوشك سلاحنا على النفاد وكثرت الجراح بلا شهداء والحمد لله. فتم دحره وتدمير بيت كان به القناصة، وأذكر ساعتها أن أبا عمار قال: قم شجّع الأخوة فما عدت أستطيع القيام، فقلت قم أنت والله ما أستطيع، وهكذا كان حالنا من التعب والإرهاق واندحر العدو في هذا اليوم، وما عاد لمثلها والحمد لله. وصار حي الجولان مضرب المثل في الشجاعة وحتى الترتيب وكان لأبي عمار بعد الله الفضل الكبير في ذلك.

ثم انقضت الفلوجة الأولى وبدأ أبو عمار ترتيب أوضاع المدينة مع إخوانه إلا أنه التفت لأمر آخر وهو أمر العمل الخارجي، وهكذا كان حاله مع الأخوة، وشارك أثناء ذلك في عدة عمليات كان منها ضد الـ C.I.A على طريق المطار ببغداد وعدة عمليات ضد الشرطة.



و في أثناء ذلك اتخذ الأخوة قرار اقتحام سجن أبي غريب، فأعد الأخوة العدة لذلك وتمت العملية بقيادة الشهيد أبي محمد اللبناني وذهب الأخوة إلى الهدف وأحاطوا به، إلا أن تأخر السيارات الاستشهادية وعدم قيام جماعة الصواريخ بالواجب أدى إلى إلغاء العملية بعد أن حاصر الأخوة الهدف لمدة ربع ساعة وعاد الشباب، وفي أثناء ذلك اتخذ الأخوة قرار العودة مرة ثانية إلى الهدف وذلك بعد خمسة أيام من المرة الأولى وذلك لأسباب منها:

١. الخوف من أن يزيد العدو تحصيناته على الهدف.

٢. مفاجأة العدو والصديق على حد سواء إذ أنه من الصعب تصور أن الأخوة يعيدون الكرة خلال هذه الفترة البسيط.

و أخيراً وُجِدَ أبو عمار بعد ثلاثة أيام على بُعد مترين في الأرض من أثر الهدف ولم يتغير منه شيء، بل كان كأنّه مات من لحظات ونُقِلَ ليُدْفَن بالقرب من إخوانه في مقبرة الشّهداء، وليشهدهم أنه ما تخلف بعدهم، ففقدت المدينة بفقده أحد أهم أبطالها ورجالها، وليترك بعده شبلٌ وأسد ليتم الطريق بعده هو ابنه عمار.



ابن الشهيد عمار (٣٣-٢)

انتقل الشهيد إلى جوار إخوانه في جنات النعيم - نحسبهم والله حسيبهم - وترك خمسة أبناء، أربعة ذكور وبُنيه، كبيرهم عمار، له من العمر أربعة عشر عاماً، فرحت به أمه لأنه مضى على نهج أبيه، فالولد ابن الوالد يعشق البارود عوداً والغبار عبيقاً وذكت أمه هذه الروح فيه، ومضى مع أعمامه يحرس ويتدرب وخاصة على الهاون مع عمه أبي عمر.

و مضت أحداث الفلوجة الثانية تقترب وبدأت العوائل تخرج من الفلوجة، الرجال والنساء على حد سواء، لكن عمار وأمه رفضا ذلك بإصرار عجيب، وكانت أم عمار قد رأت رؤيا قبل مقتل زوجها، رأت أن زوجها يرزق الشهادة في الشهر التاسع وتلد ولداً وبالفعل وفي منتصف الشهر التاسع بالضبط قُتل أبو عمار مع إخوانه شهيداً نحسبه والله حسيبه، وحان وقت ولادة الصغير، وعلى الرغم من ضيق الوضع في الفلوجة وشدة القصف وعنف المواجهات والتي بلغت ذروتها من قبل رمضان بأسبوعين، إلا أن أم عمار رفضت الخروج وقالت أموت هنا في أرض الجهاد بين أخواني ولا أخرج، ولما ذهبت إلى الطبيبة تبين أنها لا بد من فحوصات معينة وقد تضع بعملية قيسرية ومع الإلحاح والضغط وافقت على الذهاب إلى بغداد ولكن كانت المفاجأة أنها وبعدما وضعت بثلاثة أيام وفي أثناء نفاسها رجعت المرأه إلى الفلوجة لتُقبر كما قالت في الأرض التي عشقها زوجها ومات فيها مع إخوانه المجاهدين،



وتطورت الأوضاع إلى حد كبير وصار القصف يطال الأُسَر الآمنة، وبدأت ملامح جريمة المحتل تظهر لكل أعمى وبدأ منظر الأطفال تحت الجدران مألوفاً، ومع ذلك أصرت المرأة على البقاء ومع شدة الأزمة خرج الأخوة إلى الجبهة، وكانت الأخت تعيش مع أسرة عراقية مجاهدة، لكن هذه الأسرة أيضاً قررت المغادرة، فقلنا لها يا أم عمار لم يبق أحد يقوم على شؤونك وأولادك هنا ووجودك يشكل عبئاً علينا، والله يكتب لك الأجر ويهديك، فقالت: الأمر لله .. أخرج، لكن يبقى عمار يقاتل معكم.

وبالفعل بقي عمار مع أعمامه يخدمهم ويحرس ويقاتل معهم، ثم دخلت أحداث الفلوجة الثانية، وحينما كنت في حي نزال أمام جامع الفردوس حيث انتقل الى الفردوس عدد كبير من الشهداء - نحسبهم كذلك - مرّ عليّ عمار يركب سيارة بيك أب فسلّم، فقلت عمار حبيبي أين أنت الآن؟، قال: أنا يا عمي مع الهاون عند عمي أبي عمر، وانطلقت السيارة وهو يبتسم ويلوح بيده إليّ، وكانت آخر ابتسامة أراها من الفتى.

فبعد يومين توقفت بالقرب من سيارة كيا بيك أب ثم قال صاحبها عمار هنا في السيارة، قلت أين؟ وأسقط فؤادي قال استشهد. ها هو في نهاية السيارة، فقلت إنا لله وإنا إليه راجعون، وأصابني حزن وألم قطّع كبدي، ثم ابتعدت عن السيارة فلم أستطع أن أنظر إليه، وعلم الله أني حزنت عليه حزناً لا يوصف، بل إني لا أبالغ أني حزنت عليه أكثر من أبيه بكثير، ولا أدري ما السبب!، هل هي شفقتي على الصبي، أم على أم الصبي والتي احتسبت ولدها



وزوجها في سبيل الله مع غربة شديدة، وزاد عليها أنها لا تستطيع أن ترجع إلى أهلها في سوريا لأن العلويين المجرمين وضعوا أمراً بالقبض عليها وسجنوا أخيها عاماً لأنها خرجت مع زوجها في العراق بعد تعهدها بعدم السفر، فجمعت من المآسي ما الله به عليم.

هذا على ضيق المأوى هنا في العراق، وتقلّب المسكينة من بيت إلى بيت، فلا تكاد تقيم في بيت أكثر من شهر لأسباب أهمها خوف أصحاب البيوت على أنفسهم أن يعلم أن عندهم أسرة عربية. أسأل الله أن يحفظها وسائر أولادها وأن يخلفنا في عمار وأبيه خيراً، والله المستعان.



دكتور أيوب (٣٤)

سأدعُ بعد قليل من هو أكثر منّي حباً له -على الرغم من سطوته عندي- وأكثر دراية به يتكلم عنه إلا أنّي سأذكر عنه بعض ما أعرفه عن هذا الجبل من الآداب والأخلاق.

عرفتُ الرّجل بعد أحداث الفلوجة الأولى بنحو شهر تقريباً، إذ أتى إلى بيتي مع أخ قديم حبيب، وعرّفه لي باسم "أبو أيوب"، ثم طلب مني أبو أيوب أن يقوم بعملية استشهادية، وأردف طلبه بالرجاء ألا يطول عليه الوقت، فوعدته خيراً، ولما همّ بالانصراف همس في أذني رفيق ثالث كان معهما: إن الرّجل طبيب ويمكن الاستفادة منه، ووالله حق، وعندها رجعت عن رأيي في موافقته في أن ينفذ، ثم اتفقت مع دكتور "أبو أيوب" أن يعمل للأخوة دورات إسعافات أولية، واتفقتُ معه على الوقت، وبالفعل صوّر كتاباً خاصاً بهذا الأمر وأحضر جميع الأدوات اللازمة لذلك وبدأ عمله.

وفي أثناء ذلك كان الرّجل ناشطاً جداً في إحضار تبرعات الدواء وكل ما يمت إلى الطب بصلة. ثم أنه لم يكتف بذلك بل بدأ بشراء السلاح للأخوة وكان له في ذلك المغامرات المشهورة نظراً لقلة خبرته بالطرق وبأخلاق أصحاب سوق السّلاح.

فإن من المفترض أن يكون الدكتور أبو أيوب في الفلوجة أثناء أحداثها الثانية لكنه ذهب يحضر بعض الأشياء وحُرِم من الدّخول.



ثم التقيت به بعد خروجنا وبدأ في نشاطه المعتاد، إلا انه بدأ اكثر إلحاحاً على عملية استشهادية، ولكني كنت أمنعه نظراً لفائدته الكبيرة للأخوة سواء أكان في مجاله الطبي أم خبرته الواسعة في الكمبيوتر والأنترنت.

غير أن الرّجل بدأ يشتد حبّه وشوقه للعمل الاستشهادي، ولم يعد له صَبْر، حتى أنه قال إذا لم تأذن لي قد أذهب ولا آتي إليك، ولعلي أُنَفّذ في مكان آخر ولا يكونوا أمناء عليّ فلا تحرمني من الأجر. وكنت أحاول تأجيله إلى أن لنتُ له على الرّغم من حاجتي إليه، وذلك عقب أحداث ملاجئ الجادرية حيث ازداد غيظه واشتدّ طلبه فضحكت وقلت أبشر بما يسرك إن شاء الله تضرب رؤسهم في نفس المكان، اذهب مع فلان واستطلع فندقي الحمراء وأرض الزهور ففيهما ما تحب وإليهم تجد، ولعل الله يرزقك من رؤسهم العفنة ما يرفع به درجتك ويشفي غيظك، وذهبَ واستطلع الهدف، ثم بشّرني برؤيا رآها للنبي ﷺ: كان هو يحفر فيها قبره، وكان داخله من فضة، وكان النبي ﷺ يوجهه في الحفر.

فقلت الحمد لله أمرٌ يوجه فيه النبي ﷺ لهو خير، والفضة خير من الذهب. ثم رآني في رؤيا أخرى وأنا أقول له أبشر فإن فيلق غدر "بدر" قد انتهى ولم يبق منه إلا الاسم، وفي نفس الليلة رأى عزيز عليه هاتف يقول له إن حكم الشيعة في العراق انتهى.

فقلت تحصد إن شاء الله من رؤسهم الكثير الكثير، وهو ما تمّ والحمد لله رب العالمين.



وتعطلت العملية عدة مرات حتى أنه ركب السيارة وذهب ورجع لعوائق الطريق وغيره عدة مرات. لكن في ليلة التنفيذ كان أكثر انشراحا للصدر، وقال لي: إني اليوم منشرح الصدر وأشعر أني غداً سأذهب إن شاء الله، فذكّرته بالله والإخلاص وما ينبغي لي فعله، ثم سألته السّلام على من سبق من الأحباب وخاصة رسول الله ﷺ وصحبة الكرام، ثم قال لي "والله إني أحبك"، ففرحت بهذه الكلمة جداً وكأنما حزتُ الدنيا بحذافيرها فمثل أبي أيوب يحب مثلي أنه لخير كثير.

ثم استيقظنا مبكراً وودّعته ومما قال لي: "علم الله أني لم أذهب لوطنية ولا قومية ولكن دفاعاً عن ديني وإرضاءاً لربي ولولا هذا ما ذهبت، إنه الواجب، إنه الواجب". ثم أوصى إخوانه الأنصار بالمهاجرين وودّع الجميع وانصرف يمخر إلى هدفه وقد رآه العالم وهو يقترب من حاجز على بعد ١٠ أمتار من فندق هو امتداد لفندق الحمراء وليطيره ويفتح ثغره لإخوة من بعده، أسأل الله أن يتقبل منه ويعلي شأنه ويرفع درجته. آمين.

وهذه رسالة من قريبة له:

بسم الله الرحمن الرحيم

"الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد، فإنّ أخي محمد -رحمه الله- كان يحمل صفات الرجال منذ أن كان صغيراً، كان مصاباً بالربو وهو ابن عامين ولم يكن



يتغفر قط من مرضه ... كان صبوراً هادئاً، من لا يعرفه يظن أنه ثقيل الدّم، ومن يعاشره يجده حلو المعشر خفيف الظل، بسيطاً رغم أن والديّ أعطياه من الاهتمام والعناية الشيء الكثير، أحبّه الجميع من الأقرباء والأصدقاء، لم أعرف له أعداء غير أعداء الله، كان -رحمه الله- والداً لنا رغم سنّه، طيباً وحنوناً، عفّ اللسان واليد والنظر، أجرى عملية تصحيح لبصره لإصابته بقصر النظر، وعندما نسأله عن السبب يقول: كي أصيب الهدف بدقة، كان أعظم ما يكون سعادة عندما يتواجد مع إخوانه في الله ويعود بعدها والفرح يغمره، ولا يستقر له قدم ولا يهدأ له بال في البيت .. يقضي جميع حوائجنا بدون كلل أو ملل، ويسألنا أن ندعو الله له بالشهادة ويقول: أتمنى أن أستشهد وأتزوج من الحور العين، لا رغبة لي في نساء الدّنيا، أذكر أنه عندما كان طالباً في الثانوية .. يسألني عن صفات الحور العين وحسنهن وجمالهن فأقول له: والله دعوت الله أن يزوجك لعبه، يقول: وما لعبة؟ فأقول: سيدة الحور العين مكتوب على جبينها (طوبى لمن كنتُ له)، أُصيب قبل خمسة أشهر بدمل في خاصرته فأجريت له عملية جراحية وأخبرني أنه عندما بدأ المخدر بالعمل: قال: "أحسست أن قلبي ينشد:

النور في عيوني *** والحور في يميني

و لازمني هذا الإحساس حتى أفقت من التخدير"، كان -رحمه الله- كتوماً فيما يخص عمله، لا يحب الرياء والتصنع ويكره الكذب وكان يخشى أن تفوته الشهادة لأنها فاتته عندما أجبر على ترك الفلوجة قبل الهجوم بليلة لسبب



قهري، وطوال فترة العيد كان يعاود الذهاب الى عامرية الفلوجة ويحاول العبور ولم يفلح، وبقي حزيناً يتحين كل فرصة تأخذه إلى طريق الشهادة، كان يقول لي: يبدو أنني غير مقبول عند الله لأنني لم أستشهد لحد الآن، وخلال هذه السنة أتته -سبحان الله- فرص عمل ثمينة في إنكلترا والأردن وماليزيا وكانت فرص العمل والدراسة أمامه كثيرة والكل يعرض عليه الزواج ويلح الوالد عليه ويأبى إلاّ أن يقدم نفسه للإسلام.. كان يحب الحديث عن قصص الشهداء ويصبرني قائلاً: يا أختاه للشهداء كرامة تظهر بركتها على أهلهم وسيعوضهم الله خيراً عني، رأى بعد الاحتلال النبي ﷺ يلتجأ إلى دارنا ويطلب منه أن يحميه عنده، فأولتها له أنك ستصبح حامياً لدين الله ورسوله، توافقت رؤية لي ولأختي في العيد وقد رأينا والدتنا المتوفاة وهي بأجمل صورة وأبهى حلة وبوجه يضيء كالشمس وهي فرحة مسرورة وكانت آخر رؤيا له بعد أن رأى النبي ﷺ وهو يوجهه في حفر قبر لأيوب، وأخبرني أن داخل القبر من فضة ثم بات آخر ليلة قبل توجهه إلى إخوانه - في بيتي -، وبعد صلاة الفجر قال حلمت بأن ساعة يدي قطعت فأولتها له: لقد نفذ أجلك يا عزيزي والله أعلم.

وودعته ضاحكة وقبّلته وقلت له: لا تعد هذه المرة أبداً، ثم اتصل بي هاتفياً وصوته يضحك من السعادة ويقول لي: ألم تري رؤيا؟ قلت: لا، قال أنا أيضاً وشكى لي أن الأمر تأخر فقلت له لعل في ذلك صالح لك وودّعني.



كتب في وصيته لي: موعدنا في الجنة إن شاء الله يا أختاه واثبتي فإنك على الحق وأوصى بحربة لديه لابني المقبل وكتب لأختي: لا أستطيع أن أصف لك شعوري ومدى سعادتي بأن يختارني الله عز وجل لمثل هذا العمل .. هذا فضل الله يؤتيه من يشاء، اليوم نلقى الأحبة محمداً وصحبه.

و أوصانا بتقوى الله عز وجل والصبر وعدم الحزن.

كان يردد آخر أيامه نشيد "اعذروني يا رفاقه (رفاك)"، وأنشدت معه نشيده المفضل: "ومجاهداً في الله ودع أهله".

قمنا آخر ليلة وصلّيناً معاً وأوصاني أن أرسل ملابسه وأغراضه إلى إخوته في الله.

كان يقول لي: ليس لدي أفضل من هذا الجسد أقدمه فداءاً للإسلام.

حزن لفراقه كل من عرفه لحسن خلقه وجميل طبعه.

إن العين لتدمع وإن القلب ليحزن وإنا عليك يا أيوب لمحزونون، ولكننا لا نقول ما يغضب الرّبّ، والحمد لله الذي شرّفنا ورفعنا بشهادة أخي الحبيب، نسأل الله عز وجل أن يغفر لك ويرحمك ويتقبلك وأن يرزقنا نهاية سعيدة كنهايتك يا أخي الحبيب" اهـ.

وصلّى الله على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.



العريس الشّهيد (٣٥)

شيخي العزيز الفاضل، حفظكم الله ورعاكم، وسدّد على دروب ا لخير خطاكم، أجمل ما في الدّنيا لقياكم، وأصعب ما فيها فراقكم، فهنيئاً لمن يلقاكم، أنا بانتظارك:

يا شيخنا لو زرتنا لوجدتنا *** نحن الضيوف وأنت ربّ المنزل

يا شيخنا ما أجمل الدنيا بكمُ *** لا تقبح الدّنيا وفيها أنتمُ

ولئن سألت عن الأحبة من همُ *** فاعلم بأن جوابنا هو أنتمُ

أخوك الصغير: أبو الحسن

آخر رسالة من أبي الحسن إليّ.

تلك هي القصاصة التي أسرعتُ بجمعها لما سمعت هدير صوت الطائرات في الأفق القريب، وقد دخل عليّ أحد الأخوة والهم يملؤه قائلاً: "أباتشي، بلاك هوك، زنابير" تقترب منّا فخرجتُ معه فإذا بإنزال بعيد بعض الشيء عنا، فقلت لصاحبي، وقد رجعت مسرعاً وأنا أجمع قصاصة من الورق كنت لتوّي قطعتها. "بس لا أبكي اليوم على أبي الحسن". قال إن شاء الله لا يكون، قلت الطيران في منطقته والله أعلم، يا شباب أدعو لإخوانكم واسألوا الله العافية.

ثم اقتربت الطائرات من بيتنا، بل أخذ حوله دورة غريبة ملفتة للنظر، فوزعت الأخوة مجموعتين للقتال إن حدث مكروه، وكانت عين الخيانة من



نصيبنا هذا اليوم. لم أستطع أن أخفي ما في نفسي من أن يكون الإنزال على بيت حبيبي ونور عيني (أبي الحسن) فأرسلت من يستطلع الأمر، فإذا بصبيان المدارس يقولون هناك قصف لمنزل. فزادت حرارة المصيبة في قلبي، ففي ظني ليس في المنطقة المرادة إلا إخواني، وبعض عصابات التسليب لا حاجة للمحتل في القضاء عليها، بل الحاجة الماسة في بقائها لتشويه صورة المجاهدين.

ثمّ جاء الناعي ليُلقي عليّ صاعقة طار لها فؤادي من مكانها، الإنزال والقصف على بيت أبي الحسن، فهدّني الخبر وتحجّرت الدّمعة في عيني أو هكذا أردت أمام أخواني، ثم سألت عن باقي الأخوة أكانوا عنده في المنزل، فقالوا في الغالب نعم.

قمتُ من مكاني وأردت أن أخلو بنفسي فإذا بأقدامي لا تقوى على الوقوف، ومشيتُ أترنح إلى غرفتي كأنني سكران أو به مس، ووالله لفقدي لأبي الحسن شديد شديد، "اللهم أجبرني في مصيبتي وأخلفني خيراً منها".

من هو الحبيب؟

هو الداعية الموفق المُسدّد، والمجاهد البطل المغوار، والأخ الناصح الرحيم، والأمير الهمام الأمام، الصادع بالحق القائم به، والمبتلى في ذات الإله. هو الأخ الشهيد أبو الحسن الشرعي (علي..).

قَدَمَ الشهيد نحسبه والله حسيبه إبان معركة الفلوجة الثانية تاركاً وراءه من يلهث إلى جاه العلم ويتكسب به، غير آبه بتلك الدعوات الرخيصة والتي



عرضوها عليه من عمل في الهيئات الخيرية وقيادة بعض المؤسسات الانبطاحية، ومستعيناً بالله وبما أنعم الله به عليه من علم شرعي، غير آبه بشُبه المخذلين والمرجفين والقاعدين القائلين: نُحَصّل مزيداً من العلم ثم نلحق بالركب، وكلما حصل العالم وكما هو معروف يشعر بالجهل، فلا حدود للتحصيل، والشيطان من ورائهم يزين فكرتهم ويسوقهم للهلاك.

و لكن أبا الحسن عرف طلاق إبليس وأعوانه، فشمّر واستعان بالله ومضى غير آبه بدعوات المخذلين، وكيف لا وهو من يعرف هؤلاء المرجفين فقد كان يدعوهم إلى مدينة جدة ويقوم على شؤونهم في معسكراتهم الدعوية.

فقد عرف حرصهم الشديد على الجاه والسلطان، أعني سلطان العلم، ومما قال لي، قال: اتصلت على أحد هؤلاء فاشترط أن أحجز له في الطائرة حتى يأتي هو ومن معه، ثم اشترط أن تستقبله سيارة فارهة من نوع كذا، وآخر يشترط أن يكون عدد الحضور في المسجد يزيد على كذا شخص، وآخر يشترط أن يكون الطعام من مكان ما، وأن يجهزوا له رحلة بحرية، وهلم جرّاً من هذه المخازي، فقال الرجل: هل هؤلاء حقاً يريدون أن يُحَصّلوا مزيداً من العلم ثم يلحقوا بركب الجهاد، أم هي خدعة إبليس أوحى بها إليهم ليثبّطوا الشّباب عن اللحاق بركب الجهاد.

وما أن وصل حتى سجّل اسمه في قائمة الاستشهاديين وسجّل وصيته ثم قدم مع من قدم من الأخوة الاستشهاديين للمشاركة في عملية أبي غريب المباركة، ولما علم الأخ المسؤول بأن هذا الرجل من أهل العلم الشرعي ومن حفّاظ



كتاب الله والمِهَرَة فيه تم استبعاده من العمل الاستشهادي على كُرْه منه. ثم أخذ الشهيد دوره كداعية بين إخوانه فطاف قرى المنطقة صادعاً بالحق وناصحاً ومذكراً، وهو مع ذلك لا يترك الحراسة والرباط ويتنقل مع إخوانه يخفّف عنهم الآلام ويرسم البسمة على وجوههم، وكانت حريصاً على محبة إخوانه له، فما ترك منطقة إلا حلّ عليها داعية، وكلما أرادت مجموعة أن يلحقوا بركب القاعدة المبارك، كان يُكَلّف أبا الحسن بأن يعطي دورة شرعية لهم ثمّ يعطي رأيه بعدها في مدى صلاحية المجموعة أو بعضهم وكان تواصله مستمر مع أئمة المساجد في المنطقة يحثهم على الخير ويذكرهم بالواجب الذي كتبه الله عليهم من قول الحق وتعليمه للناس وعدم الخوف إلا من الله.

ثم هو مع ذلك مجاهد صنديد أذكر أن العدو داهم المنطقة التي كان بها وحوّلها إلى معسكر، فما ترك المنطقة بل شكّل مع مجموعة من أخوانه مجموعة فأرعبوا الأمريكان وقعدوا لهم بحق كما قال الله كلّ مرصد، فكانوا يتربصون بهم ويزرعون العبوات خلفهم حتى فتح الله عليهم في زمن يسير، فقد قتل الله على أيديهم خلال شهر واحدٍ ما يقارب المائة مرتد وكافر، حتى زُرِعَ الرعب في قلوبهم فلم يقتربوا بعد من طريق الموت وهو في كل يوم يخرج باسم الثغر، فأقول له إلى أين؟ يقول إلى الأمريكان، والبسمة تعلوه، فأقول حافظ على نفسك وإخوانك ودائماً يردد الحافظ الله.

شارك الحبيب في عملية اقتحام مركز مكافحة الإرهاب وصوّر بعض وقائعها بكاميرا كانت معه. ومما يدل على شجاعة الرّجل ورباطة جأشه



وحُسْن تدبيره أن العدو الأمريكي داهم يوماً منطقة صدر اليوسفية وطار الخبر إليه وإلى إخوانه فأسرع إلى مكان الحادث وبدأ يرتب الأخوة ويُنظّم أمورهم فوضع مجموعة جهة الناظم وأخرى في البساتين وهكذا حتى أحسن الطوق حول الأمريكان ثم كبّر وأمر بالضّرب، فما شعر العدوّ إلا ونيران المجاهدين تحصدهم من كل جانب وبدأت دمائهم تسيل غزيرة. وأخذ أبو الحسن يضحك لما رأى ذلك المنظر الغريب أعني به منظر أبي رضوان وهو يصوب الأحادية على الهمر وقد ركبها على سيارة بيك أب وبدأ المنظر غريباً، كيا تواجه همر، هذا يضرب والأخ يضرب فما سكتَ أبو رضوان حتى حول الهمر إلى بركة من الدّماء.

ثم بدأ أبو الحسن يسحب المجموعة ويضع مكانها مجموعة أخرى حتى استبدل جميع المجموعات بأخرى جديدة فلما سُئِلَ قال، فرصة يتدرب الأخوة على دماء الأمريكان. وثانياً حتى تستريح المجموعات القديمة، وثالثاً لأن عتاد المجموعة الأولى أوشك على النفاذ، ورابعاً همة ومعنويات المجموعات الجديدة تكون بعد في أوجها، وظل يدير المعركة حتى كبّد العدوّ خسائر كبيرة، وانسحب يجر الخذلان والهزيمة تاركاً بقع الدماء، وساحبٌ عشرة من الجيف معه.

و قد عُرف عن أبي الحسن قدرة على الإقناع عجيبة وخاصة عند شيوخ العشائر، فقد كان يزورهم ليحل مشاكل المجاهدين معهم بل ومشاكلهم العشائرية. وطار اسم أبي الحسن في المنطقة فأصبح كأنه نار على علم، ففرح



الصديق واغتاظ المنافق. وتم تعيينه مسؤولاً شرعياً لكتيبة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ونائباً لأميرها ثمّ عُين مسؤولاً شرعياً لحزام جنوب بغداد ثم تم أخيراً تعيينه أميراً لكتيبة أم المؤمنين عائشة في بغداد وهذا قبل استشهاده بأيام إلا أنه لم يزاول مهامه.

طلب مني الشهيد يوماً الزواج، فقلت أجتهد لك في الصالحة إن شاء الله، وبالفعل تم ذلك وعقدتُ له على أمرأة صالحة من بيت صالح، فلقد وافقت مباشرة لما علمت أنه حافظ لكتاب الله وأنه مجاهد وعنده طلب للعلم الشرعي، فقالت الحمد لله هذا ما كنت أودّ وأطلب رجلاً يعلمني أمر ديني ويعينني عليه. وزُفّت العروس إليه واجتمع شمل العروسين في بيت قريب مني، فأرسلت بعد يومين رسالة له، أطمئن عليه وأعرف هل صح ما كنت آمل من المرأة، فإن أبا الحسن تزوجها ولم يكن قد رآها وإنّما طلب الدين على نصيحة مني، "أُطْلُب الدّين ترزق الجميع" شرط صدق النية، فأرسل إليّ حامداً الله وشاكراً لي تلك الهدية قائلاً: "الحمد لله لقد رُزقت ما يقرُّ العين ويريح القلب"، ثم قال ممازحاً لقد آن الأوان أن أكتب كتاب: "المباح في الليالي الملاح" ثم بدأ يحكي لي بعض فصوله في دعابة ظريفة وأدب جم عرفت ساعتها أن نفسية الرجل في أحسن أحوالها وأن المرأة قد وقعت منه كل موقع، فحمدت الله وشكرته على التوفيق والسّداد.

و بعد نحو من خمسة أيام زارنا في البيت الذي كنت فيه وطلب أن آتي عنده فوعدته في اليوم الثاني، ثم حكى لي موقفاً سرّني وأظنه يسرُ كل مسلم. قال:



تعلم يا أخي أن الأخوة الاستشهاديين عندي في البيت (و كان عددهم سبعة، تقوم العروس على خدمتهم من طهي وغسيل للملابس، فمن مثلها، بنت الأكرمين وفي أول أيام عرسها تطهي وتخدم المجاهدين، وتحتسب الأجر والفرحة ملأ يونها)، قال: جاء الخبر أن الأمريكان يريدون أن يفتشوا المنطقة فقلت لزوجتي أخرجي إلى بيت الجيران، فإن جاءوا فسوف نشتبك معهم، فلا مجال للخروج من البيت، فقالت، والله لا أخرج أعطني حزامك الناسف ألبسه، فإن جاءوا، قمت بما يرضى الله، قال: فألبستها إياه فضحكت وأخذت في الغسل والطهي وكأن شيئاً لم يكن". وفي اليوم التالي لم أستطع الذهاب، ثم أرسل إلي في اليوم الثالث هذه الرسالة سابقة الذكر والتي صدرت بها الكلام عن الرجل، إلا أني أستخرت الله ولم أذهب لعارضٍ يتعلق بأمور العمل.

جاء الطيران التابع لـ CIA طبقاً لمعلومة أو قرص من جاسوس أو عين باع دينه بدراهم معدودة فحسبنا الله ونعم الوكيل، وقبل نزوله أسرع الأخوة واشتبكوا معه إلا أن عدوّ الله أمطرهم بوابل من الصواريخ والرمانات والبكتا عيار ٣٠ ملم، ثم حولوا البيت ركاماً، فانكشفت الجريمة على أستشهاد العروسين وعشرة من الأخوة، سبعة أستشهاديين وثلاثة كانوا في زيارة لهم من الأخوة الأنصار.

تبقى هناك بعض المحطات في حياة ابي الحسن أحبُّ أن أِشير إليها أشارة:



أولاً: أن الشهيد العريس، رزقه الله حبَّ إخوانه بما آتاه الله من حسن خلق وأدب جم وتواضع غريب وشجاعة فائقة، فلقد أسر بدماثة أخلاقه وحسن عباراته كل من رآه من المهاجرين والأنصار.

وإني أُشهد الله أني ما أحببت فيما أعلم ما أحببت أبا الحسن، وما أظن أن أحداً أحبني مثله أيضاً فقبل مقتله بيوم قال لي مداعباً والله لو شققت قلبي لوجدت محفوراً فيه (فلان) يعني العبد الفقير، وإني لأرجو من الله الخير وصلاح الحال بحبه لي وعسى ربي إلا يخيب ظنه فيّ فألحق به على صلاح في الحال وشهادة في سبيله.

غير أن هذه المحبة التي رزقه الله إياها، لم تكن هدفاً له مع كل أحد بل كان الشهيد الداعية حرباً وسيفاً على كل منافق زنديق وشديداً مراً مع كلّ مراوغ يتاجر بالجهاد وأهله. فطار اسمه في آفاق المنطقة حتى زرع الرعب في نفوس قطاع الطرق إلى الله والناس، فكرهوه من أعماق قلوبهم، وبدؤوا يُعدّوا له العدة ليستريحوا منه حتى حلف بعضهم جهاراً نهاراً أنه لن يهدأ له بال حتى يقتل أبا الحسن. ثم حمل راية هذا العداء بعض المنافقين المنتسبين إلى الجهاد، والذين ما عرفوا الجهاد إلا تكسّباً للمال ووجاهة في الناس وهذا بالعراق كثير، بل غالب.

فلقد قدمت هذه البلاد مبكراً وقبل السقوط بستة أشهر وأعرف نفراً من هؤلاء بأعيانهم حفاة عراة يأكل الجوع بطونهم وهم اليوم يركبون أرقى السيارات ويلبسون أحسن الثياب بل ويمتلكون قطعاً من الأراضي وتجارات



سريّة، وبعضهم علنيّة باسم تحصيل مكاسبها للجهاد، واضعاً في حسابه إن مات أن تذهب لورثته بحكم القانون وقد حدث مثل ذلك كثير.

أقول أخذ قطاع الطريق يثيرون الغبار حول أبي الحسن خصوصاً والمهاجرين عموماً فأصاب الشهيد من ذلك أذىً كثيراً وهمّاً عظيماً، فجلس في البيت والحسرة ملئ فؤاده والدمعة ملئ عيونه، وكان يردد آخر أيامه إن متّ أموت وفي قلبي حسرة وألم.

و لعل هذه البلبلة وهذا البلاء كانا سبباً في صفاء نفس صاحبنا وتهيئة قدرية للقاء رحمن رحيم، وقد برزت نفسية أبي الحسن واضحة في كلمته المفعمة بالمشاعر والآلام والتي ألقاها عقب سقوط طائرة الأباتشي في اليوسفية.

المحطة الثالثة: أن أبا الحسن كان محطّ ثقة أمراءه في تنظيم قاعدة الجهاد بل كان له من ذلك النصيب الأكبر. إذ قال لي يوماً أسد الرافدين، أود أن أُحضر أبا الحسن ليبقى معي يعينني وأستشيره وحتى إن حدث مكروه لفلان يكون هناك خلفاً له. ولقد عيّنه أميراً لبغداد في الفترة الأخيرة ثقةً منه أنه الرجل المناسب في المكان المناسب وحتى يصلح أمور بغداد بما فتح الله عليه وجمع له دون غيره من دراية شرعية وعسكرية وإدارية ومحبة الخلق. وكنت دائماً أحلف لأسد الرافدين أبي مصعب الزرقاوي "رحمه الله" أن أحق الناس بإمارة بغداد وأحزمتها هو أبو الحسن، فقط عيبه صُغْر سِنّه إذ أنه يبغ من العمر خمساً وعشرين عاماً فقط، لكن السّبق سبق صفة لا سنّ ولا زمان. وصلّى الله على نبيّنا مُحمّد وعلى آله وصحبه وسلّم.



أبو عزام (٣٦)

هو أمير الأمراء، وسيّد الشّهداء، صاحب الخُلُق الرفيع، والأدب البديع، من جواهر العراق النبيلة، ومعادن الأنبار الأصيلة، من يملأ العين مهابة، والقلب محبة، هو للتوحيد علَم، وللجهاد راية، وللأعداء نكاية، طارت بذكره الرُّكْبان، وانقاد له الشجعان، هو الإداري المحنك والخطيب المفوَّه، فمن هو ذاك الأٍسد.

هو الشيخ عبد الله، من أبناء مدينة الفلوجة الأِشاوس، وصاحب الكلمة المسموعة، كان إماماً وخطيباً لجامع "المهاجرين"، وسبحان من جعل للأسماء من مدلولاتها حظًّا ونصيباً، فإن الله الذي خلق الخلائق قدّر الأسماء على مسمياتها، وقد ألّف علماء البيان -كابن فارس- في دلالة المبنى على المعنى حتى غدا أخيراً علماً مستقلاً تحت اسم "علم الدّلالة"؛ فالطاغوت مثلاً ترى في مبناه حروف التفخيم والاستعلاء ظاهرة، كما أن "الزهرة" فيها حروف الترقيق واضحة، ووالله إنّ ذلك في لغة الضّاد أوضح من الشمس في كبد السّماء.

لكن -وسبحان الله- فباستقراء أحوال كثير من الأسماء وجدتُ أن الإنسان له حظٌّ كبير من اسمه، مما يظهر بجلاء أن ذلك مُقَدّر ولو كنا نجهل ذلك،

كما قيل:

وقلما أبْصَرَتْ عيناك من رجل *** إلا ومعناه إن فتَّشْتَ في لقبه



ولذا كان جامع "المهاجرين" له من ذلك الحظ الأوفر والنصيب الأكبر، وكان إمامه الشيخ "أبو عزام" من أولئك النفر القليل الذين كفّروا البعث ونقموا عليه وأعدّوا له العُدّة؛ فقد انتظم مع مجموعة من طلبة العلم سرّاً وتعاهدوا على نشر عقيدة التوحيد ومحاربة البدع والخرافات والشرك والضلالات، فالدروس والمحاضرات والكتيبات والمطويات والأدب الرفيع والنصيحة الرقيقة والبسمة الحنونة كانت من وسائل أبي عزام في الدعوة إلى الله.

كما أن الرَّجُل لم يُهْمل نفسه فاجتهد عليها غاية الاجتهاد؛ فحفظ كتاب الله وصار صاحب باع في الحديث، حيث درس الكتب الستة ودرّس إخوانه الصحيحين: البخاري ومسلم، وأخذ ما يغنيه من فنون اللغة وآدابها.

ثم جاء المحتل إلى أرض الرافدين يختال الهُوَيْنى، بين طيّاته غزو الروم، يحمل مزمارهم أبناء فارس وحقد المجوس.

وحانت لحظة الصدق والوفاء، فوقف أبو عزام مع نفسه قائلاً: "هذا الجهاد الذي كنت تَتَمَنَّيْنَه قد جاء إليكِ في دارك، والعدوّ عَبَرَ المحيطات ليقف أمامك، فهل أنتِ مجيبة داعي الله: (انفروا خفافاً وثقالاً)، أم أحملكِ على هذا مجبرة مكرهة؟ فأجابته هينة لينة قائلة: وهل أعصي مثلك وأنا العارفة بحزمك وعزمك؛ فامضِ بي حيثُ شئتَ".



وكلّ ذلك والعبد الفقير يُعِدُّ العُدة ويتلفت وراءه وأمامه ليرى إخوة الدعوة والبيان، فإذا بجهلهم في أحضان الذلة والخذلان، فحاول واجتهد، فأجابه من لم يكن قد طمر الطين بعد أذنيه وطمس عينيه، وراح الجميع ينفضون عن أنفسهم ركام الغفلة وينظفون أوساخ المعاصي، وتعاهدوا على أن يكون بارود المدافع طِيبْهم وزَخّات الكلاش بيانهم، وأصوات المدافع صهيلهم، وعلى الجملة الجهاد في سبيل الله سياحتَهم.

فجمعوا السلاح وخزّنوا المتفجرات وكدّسوا العبوات، وأخذ جمع السلاح بأصنافه منهم الكثير، ثم وقف أبو عزام يوماً مع نفسه قائلاً: إلى متى جمع السلاح وهل هناك نهاية لهذا الأمر، ألا يمكن الجمع بين هذا ونزال العدوّ فقد بدأ طغيانه يفوح مع بوادر تشمير المجاهدين، والتفت فلم يجد حوله من يقود الجهاد ويسير به إلى بر الأمان ففنون الحرب ليسوا أهلاً لها، كما وأن حزب البعث أبعد الناس عنهم مسلكاً.

و في تلك الفترة التأملية والرحلة البحثية نزل عليهم أسد الرافدين ضيفاً وداعية إلى الجهاد في سبيل الله، بعد أن مهّد له إخوة أفاضل كرامٌ أشاوس وعلى رأسهم الداعية الموفق والمجاهد المسدد الأخ "أبو يوسف" فك الله أسره من سجون طواغيت الأردن، حيث أسلما إليهم أسيادهم الأمريكان ليجد حكماً بالإعدام أمامه.

فجلس الجميع يوماً مجالسَ صدق وأرادوا أن يضعوا الحروف على النقاط والطلقات في السلاح.



جلس أبو عزام وإخوانه وعلى رأس مجموعته أحد شيوخه وجلس الشيخ أبو مصعب وأبناؤه، وقال لهم: اليوم نريد العمل، وقد مضى عهد الكلام، وما جئنا هنا إلا للنزال ولكم عليّ أن أستعين الله في جلب رجال الحرب وأبطالها وأبناء الشهادة وعشاقها، فكونوا لي ظهراً أكن لكم يداً، وما نحن إلا جنود جئنا لخدمة الدين وإقامة شِرْعَة رب العالمين، فكان رد الحاضرين -أو جُلُّهم- أنك أنت الأمير ونحن لك جند فامضِ بنا على بركة الله، لكن أسد الرافدين امتنع من ذلك وأبى أشد الإباء، فما زال القوم به حتى حملوه على ما أرادوا حملاً وأكرهوه عليها كرهاً فاسترجع وحوقل وقَبِلَ البلاء على مضض.

ثم أطلق فيهم زئيره، وأوقد فيهم الحماسة في نفوسهم واستنهض الهمم الأبية بين طياتهم فأجابوه جميعاً إلا شيخ الشيخ أبي عزام أكله الحسد وتمنى أن يكون الملأ اجتمعوا عليه على الرغم أنه رفض ذلك أول الأمر متظاهراً بالنسك ومتورعاً عن قيادة الركب، فلما سار بالركب غيره أنفت نفسه وانحرف ليسير في اتجاه آخر.

واستمسك أبو عزام بما اجتمع عليه القوم وسار مع أسد الرافدين أخاً وناصحاً وصديقاً وفياً وجندياً مخلصاً فما وَهَن وما بدّل إلى أن لحق بربّه واستراح من دنيا العبيد.

و إليك أخي ما أعرفه أنا وما كنت عليه شاهداً في رحلة الأسد الطويلة في غابة الأمريكان.



نسيت أن أقول: إن عدة من اتفق مع شيخ المجاهدين وأسد الرافدين على الجهاد في سبيل الله كانوا اثني عشر رجلاً ليس منهم اليوم في بلاد الرافدين فيما أعلم إلا اثنان.

و سبحان الله، كان عدد من بايع النبي ﷺ في العقبة الثانية من الرجال اثني عشر رجلاً وكان نقباء بني إسرائيل اثني عشر نقيباً، وسبحان من عَقَدَ الأمور على هذا النحو العجيب من التوافق، وهذا وربّي مَظِنَّة التوفيق.

لن أتكلم عن حياة أبي عزام الجهادية وعن دوره في تلك العمليات الصغيرة والكبيرة بدءاً من اغتيال "باقر الحكيم" ومروراً بالأمم المتحدة وغيرها، ولكنّ أبا عزام في أرض الرافدين علَم وأسد، فلم يتوقف صهيله ولم نجهل زئيره في أي موضع من المواضع وخاصة في ملاحم الإسلام ببلاد الرافدين، بل لم يكن فيها قط إلا رأساً ولا لها إلا قائداً وشيخاً.

وأول تلك الملاحم الكبرى والعمليات العظمى، معركة الفلوجة الأولى، أعني بها أول مرة نزل جنود محمد ﷺ إلى الفلوجة وسيطروا عليها سيطرة تامة وأسقطوا مديرية الأمن و"القائم مقامية" وانسحبوا تاركين وراءهم العدو في دمائه وحيرته بعدها اجتمعوا صفاً ليدرسوا آثار هذه الغزوة المباركة والتي كان قائدها وبطلها الأسد المحنك الأخ "أبو فارس الأنصاري".

كان الشيخ أبو عزام هو المشرف الرئيس على تلك العملية المباركة، وأول ما أراد الفتى أن يتعود الإخوة النزال ويكسروا هيبة الأعداء وتنغمس أيديهم في



الدماء أعني دماء العدو فتطيب قلوبهم وتقوى نفوسهم ويستهينوا بعدوّهم ويغرسوا في قلبه شوكة وبين ضلوعه رمحاً لا يزول إلا بروحه وقد كان؛ فقد كانت هذه الغزوة كما أسلفنا لها ما بعدها من الأثر في المعارك التالية، ثم جاءت معركة الفلوجة الأولى -وقد سبق أن نوهنا بعض الشيء على ملابسات قيامها وبعض معاركها وقد ألف الشيخ الفاضل أبو أنس الشامي فيها كتاباً أسماه "معركة الأحزاب" بيّنَ فيه بعض أيام الفلوجة وشيئاً من سيرة رجالها وكان أبو عزام أحد هؤلاء الرجال، بل كان سيّد الرجال وشيخهم حيث كان أمير الحرب في تلك المعركة- وكان أبو عزام الأمير العام للفلوجة، وقد حمل الرجل العبء الثقيل واستعان بالله ومضى.

مضى يشد العزم ويسد الثغر، ويرفع الهمة ويقوي الشوكة، ويهدد العدو ويُمَنّي الصديق، ويتنقل بين الجبهات مُرَبّتاً على أكتاف الرجال يبث فيهم روح الإباء والفداء ويذكرهم بالصدر الأول والجيل الأوحد أصحاب رسول الله ﷺ قائلاً: "والله لست أشك أنكم تقفون اليوم موقف الأنبياء والمرسلين وتسيرون على خطا الصحابة والصادقين، وهذا إمامكم عبد الله بن رواحة يقول يوم مؤتة: والله إن الذي ترهبون للذي تطلبون، فسيروا على الدرب وشدوا العزم والهمة وإنما النصر صبر ساعة، والله يا قوم إن الله علينا مطلع ولدينه حافظ ولعباده ناصر ولعدوه قاهر فاتقوا الله وسيروا على بركة الله".

وجاءت مسألة المفاوضات وكَرِهها الأسد كرهاً شديداً ورفضها رفضاً مبرماً وبعد أيام اتصل بالإخوة خارج الفلوجة، فإذا بهم يخبرونه أن ما يسمى



بـ"الحزب الإسلامي" أخبرهم أن الإخوة في الفلوجة قبلوا المفاوضات وأن الشباب اقتنع برأيهم وألقى السلاح وبدأت أرتال العدوّ يدبّ فيها النشاط بعدما طاردها المجاهدون في الطرقات حتى أشرفوا على الاستسلام، وبدأ حراس سجن "أبي غريب" يُعِدُّون العدة للهروب بالاتفاق مع السجناء على ألا يقتلوهم ويؤمّنوهم، فجاءت بادرة الحزب الاستسلامي خيرَ منقذ فسدّت فوهات مدافع البسطاء من المجاهدين وخذلت وأَرْجَفَت نفوس ضعفاء الناس والمساكين الذين ظنوا أن ذلك في مصلحة المجاهدين.

وما دَرَوا أن العدو بدأ بنشاط من جديد وأخذ يصب جام غضبه علينا في الفلوجة، فاسترجع الجميع وبدأنا من جديد نملأ المخازن والتي لم يبق لملئها إلا القليل حتى جاء نصر الله ومنّه.

و قد كان الشيخ أبو عزام يراسل أسد الرافدين وشيخه أبا مصعب بتقريرٍ مفصل يومياً عن أحوال الجبهات والمعارك والسلاح والإخوة، قتلاهم وجرحاهم وما لابد منه، ويتلقى التعليمات والنصائح كذلك يومياً عن طريق أخٍ كريم بذل في ذلك مهجته.

و من النكات التي تحضرني في هذا الأمر أن الأخ الذي كان يحمل الرسائل جاء ليأخذها من أبي عزام وكان أبو عزام لم ينته بعدُ من كتابة تقريره اليومي وبدأت ملامح الظلام تدخل ولا بد أن يغادر الرجل وهناك بصيص ضوء. وأخذ الشيخ أبو أنس يحث أبا عزام على سرعة الانتهاء فلما لم يجد لذلك



أملاً، قال له: "مشكلتك يا أبا عزام أن عندك سمعاً وطاعة أكثر من اللازم"، فضحك الرجل وضحكنا وانطلق البريد.

وانتهت معركة الفلوجة الأولى، وبدأت معركة أخرى، معركة مع أهل الزيغ والضلال معركة مع خفافيش الظلام وكما يسميهم العراقيون "كلاب الطق" أي إذا انطلقت الرصاص طارت الأفئدة وطاروا معها خارج نطاق النزال.

بدأ الفتح وحطّ معه سيل جارف من أولئك المنتفعين وأشهروا سلاحهم في الطرقات وبدؤوا يحتفلون بالنصر وأنهم فرسان الميدان وأبطال النزال، يدفعهم في هذا الاتجاه، طغاة الحزب الاستسلامي ورؤوس أهل التصوف العفنة أعني بهم أهل الشرك والدروشة.

وكان مكسب هذه المعركة لا يقل أهمية عن رحى الحرب فثار أبو عزام مهدداً ومحذراً أن المدينة لن يحكمها إلا من جاد فيها بالنفس والنفيس ولن يكون لمن خرج منها يحمل الخزي والعار إبان القتال نصيب من الرأي والحكم، ولن نقبل أن تضيع وتسرق ثمرة الجهاد ونصب الجياد.

واتفق الجميع على ذلك؛ فتم تشكيل "مجلس شورى مجاهدي الفلوجة" من شباب التوحيد وممن شارك الجهاد من غيرهم، وكان حتماً أن يكون أبو عزام عضواً لهذا المجلس فتم تعيينه "عضو مجلس شورى المجاهدين"، والحق يقال: إنه



كان صاحب الكلمة الفصل في هذا المجلس نظراً لأنه يقود كتلة التوحيد ومن انضم إليهم في المجلس فكانت لهم الغلبة والكلمة.

و مضت القافلة وبدأت مرحلة البناء، بناء المدينة نفسياً وعمرانياً وعسكرياً، وبدأ أبو عزام رحلة شاقة أخرى واصل فيها الليل بالنهار، كما بدأت في الأفق مراحل بناء أخرى حيث بدأت تتوافد إلى الفلوجة فرسان الجهاد وأمراء المجاميع يريدون اللحاق بركب التوحيد والجهاد.

وبدأ معهم أبو عزام بالإضافة إلى الشيخ أبي أنس هذه الرحلة فطافوا البلاد ليجمعوا الناس على كلمة الجهاد، فأحكموا سامراء وأسّسوا الموصل وكتّلوا بعقوبة ورتّبوا الأنبار وغرسوا في كركوك وزرعوا الأمل في البصرة. رحلات مكوكية كانت لها كبير الأثر في بناء جيش الجهاد والتوحيد في هذه البلاد.

ومضت القافلة وبدأ العدو يستخدم تكتيكاً جديداً في الحرب بقصف الخطوط ثم البيوت ثم بيوت العائلات، واقترح الإخوة وعلى رأسهم أبي عزام الشيخ أن يأوي كل بيت من الأنصار رجلاً من المهاجرين حتى نتلافى قصف تجمعات المهاجرين. ولكن هذا الاقتراح لم يجد له أثراً أو نصيبَ قبول، ولذلك انتشر الشباب في الطرقات يفترشون الأرض ويلتحفون حر السماء وكان منظرهم يقطع الأكباد، وكان أبو عزام الرحيم الرقيق يموت ألماً ويهرم خجلاً لما يرى من هذه المواقف.



ومضت القافلة وبدأت ريح مسمومة تهب من قبل الأمريكان تنذر بحرب طاحنة أخرى وبدا العدو لها هذه المرة أكثر استعداداً وأكثر حقداً وغيظاً.

و على العكس بدا الصديق لنا مخذلاً والمحب مبسطاً إلى حد كبير جداً، حتى قال أحد أمراء هذه الجيوش الإسلامية للشيخ "أبي الليث" عندما سمعوا خبر بدء معركة الفلوجة الثانية حيث رآه الشيخ أبو الليث غير آبه ولا مهتم يضحك وينشد، قال: "كأن الفلوجة لم تبدأ بها الإبادة أو ما تسمع"، فكان الرد كالصاعقة والحقد كالسم، قال: "اسمع يا أخي، الفلوجة انتصرت مشكلة، وانهزمت مشكلة"، فقال له أبو الليث: "انتصرت مشكلة، والله لا أجلس معك في بيت ولا يظلنا سقف واحد، ووجهي من وجهك حرام، يا أيها الشيخ السلفي"، وخرج من بيته الساعة الحادية عشر ليلاً.

و هذا حال أمراء الحرب المزعومين ولك أن تعرف أحوال عامة الأمة.

واتخذ أبناء "قاعدة الجهاد" قرارهم النهائي أن "نموت شرفاء خير من أن نعيش أذلاء" ولا نكسر قلوب أمتنا في أبنائهم وحبذا الموت دفاعاً عن الدِّيْن وحمى العقيدة ولتكن الحرب فلها فرسانها نصراً أو شهادة.

و كالعادة تمّ تأمير الشيخ أبي عزام أميراً عاماً على الفلوجة وقائداً للمهاجرين والأنصار.

و بدأت الحرب، ونزل معها البلاء كالسيل الجارف ولاحت فتنٌ كقطع الليل المظلم وبدأ الحصار يشتد على فرسان الجهاد فقُطِعَت المياه ونَفِدَ الطعام



وقُصِفَت المستشفيات، وبدأت الدماء تسير أنهاراً ودموعنا تسيل معها دماءً، وبدأ الفرسان يرحلون عنا الواحد تلو الآخر.

وبدأ منظر الجرحى يقطع الأكباد، فلا دواء ولا ماء ولا أطباء ولا شيء على الإطلاق.

أذكر أن أحد الأحباب أقدم شاكيَ السلاح على عدوه فرجع بطلقة في رأسه واحتضنته وبدأ ينزف بين يدي ساعتين يشتكي إلى الله ظلم أمة وخذلان الصديق، ودموعه تختلط بدمائه وآهاته تبْكي الكفور، ولا يجدي بكائي له شيئاً حتى مات بين يدي شاهداً على ظلم الأمة وخذلان بني الجلدة، وإلى الله المشتكى.

فلم يهن أبي عزام ولم يلن بل بدأ صلباً جلداً على الرغم من رقّة قلبه المعروفة وحبّه المفرط لإخوانه وكان يقول "الموت في سبيل الله غاية".

وكان من كراماته أنه لما قُسمت المدينة قسمين شمالي وجنوبي وانحزنا في الجزء الجنوبي بدأنا نعد العدة للكرّة مرة أخرى على القسم الشمالي وتمّ تعين الأخ القائد أبي ناصر الليبي لهذه المهمة فقال له أبو عزام: "إن شاء يا أبا ناصر تُصَلّي الظهر في جامع أبي عبيدة والعصر في الفاروق"، فضحكت في نفسي وقلت: "الرجل يحلم، هل تستطيع أن نوغل في العدو إلى هذا الحد"، ثم حتى إذا وصلنا إلى تلك الأماكن هل يتوفر الأمن للصلاة في هذه المساجد؟



وبدأ أبو ناصر كالأسد يهدّ الصفوف هدّاً مع إخوانه، وسبحان الله مع تكبيرة الظهر وصل إلى جامع أبي عبيدة ودخل مع بعض جنوده وصلّى فيه الظهر. ثم بدأ مستعيناً بالله الكرّة مرة أخرى يهدّ صفوف العدو ويُفرّق جمعهم ويشتت صفوفهم حتى وصل مع تكبيرة أذان العصر إلى جامع الفاروق. ودخل مع بعض جنوده وصلّى فيه العصر، ثم مال عليهم العدوّ بعنف وقوة فانحاز مع إخوانه إلى الموضع الذي خرج منه مستغرباً من فضل الله وبرّه بكلمة الشيخ أبي عزام.

واستمرت المعركة، وبدأ انحياز آخر لكن هذه المرة في القسم الجنوبي، فانحاز أبو عزام مع رفقة صالحة تعدادهم ثلاثة منهم عبد الرحمن البصراوي سائق الشيخ أبي مصعب وموضع سره.

ودخل العدوّ عليهم البيت وأمطروهم بوابل من الرصاص ودخل جندي وأطلق رصاصة واحدة في رأس كل واحد منهما ليتأكد من وفاته، وكان من بينهم الشيخ أبو عزام رحمه الله، وبعد ساعات بدا لأبي عزام أنه حيّ فظنّ أنّه في الجنة، ولكن لا حور ولا أنهار، وشعر برأسه كأنها جبل أو أثقل ورأى نفسه وإخوانه يسبحون في بحر من الدماء، وإذا بالجميع بين يديه صرعى وركامُ البيت فوق رؤوسهم. فأراد أن يقوم فهوى إلى الأرض سريعاً مغمياً عليه ثم أفاق مرة أخرى وأراد أن يدعو الله بدعوة صالحة وبعمل صالح ينقذه مما هو فيه من البلاء فقال: "اللهم إنك تعلم أن أبا سعيد (محمد حردان) كان من أحبّ الناس إليّ، فإن كنت تعلم أني تركته واتبعتُ أبا مصعب لك، ففرِّج عنّي ما أنا



فيه"، ثم أُغمي عليه فما شعر إلا وشخص يحمله بين ضلوعه ويهرب به من بين طلقات العدوّ إلى أن وضعه عند إخوانه وبدؤوا يضمدونه حتى عافاه الله بعض الشيء. ثم أوى إلى جحر أليم وضيق مع بعض الإخوة، وبه من التعب والعنت ما الله به عليم. حتى أن الأمريكان شعروا أن في هذا البيت أحداً ففتشوه وفتشوه ولم يجدوا أحداً فأرادوا أن يريحوا أنفسهم فأضرموا فيه النار ثم انسحبوا وأطلقوا عليه عدة قذائف من دباباتهم، فاشتعلت النار حولهم وأصابت قذيفة جدار مخبئهم لكن الله سَلَّم؛ فما كان الذي أنقذه من طلقة في الرأس ليضيّعه اليوم، فهو أهل الكرم والجود يحفظ عباده من كل مكروه وسوء.

وانتهت الحرب، وخرج أبو عزام منها أصلب عوداً وأصفى سريرة وأكثر عزماً وأمضى سيفاً وأعقد عزماً على أن تكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى.

و فرح بمخرجه شيخ المجاهدين أبو مصعب فرحاً شديداً حتى أنه لما وصله خبر خروجه معافى سجد لله شكراً وأخذ يبكي حتى أشفق عليه من حوله.

واستمرت المسيرة، وأُسند إلى أبي عزام مهمة أكثر تعقيداً وصعوبة حيث أسندت إليه إمارة بغداد بعد معارك الفلوجة الثانية، وكانت الأمور في بغداد من الصعوبة بمكان حيث أن خطوط المجموعات كانت قد قُطعت إبان معارك الفلوجة الثانية، وسلاح الإخوة قَلّ وأحوال الشباب في بغداد في أسوأ حال.



فاستعان بالله وبدأ برحلة البناء فضمّ الشارد وقوّى الصف ووحّد الكلمة ورفع الجدران، وأنشأ الحصون، حصون الإيمان والمعارك، وغرس في الإخوة من جديد روح الثقة والأمل واستعان بالله على أمرهم، فوُفِّقَ أشد ما يكون وما هي إلا فترة وجيزة حتى بدأت معارك بغداد الواحدة تلو الأخرى؛ بدءاً بغزوة الثأر وانتهاءً باقتحام سجن أبي غريب، ثم كانت الخاتمة حيث عرف العدوّ مكان إقامته من أخٍ آخر اعتقاله، وأرادوا أن يذلوه وأراد الله أن يصطفيه، فاشتبك مع العدوّ ولحق بالأحبة محمد ﷺ وصحبه، وكان من أمره قبل استشهاده بأيام أنه جاء إلى أميره أبي مصعب يطلب عملية استشهادية فرفض الشيخ، فقال والله يا شيخ لقد رأيت البارحة "أن منادٍ ينادي يا أبا عزام أقبِلْ فإن أبواب الجنة فُتِحَت". فرحمك الله يا شيخنا رحمة واسعة وتغمدك وأسكنك فسيح جناته.

و يجدر بي أن أنوه إلى صفتين مهمتين في الرّجال قبل أن أختم المقال عن هذا الجبل الأشمّ.

الأولى: أنه كان من أعفّ الناس عن مال الله، ففي بغداد وعلى الرّغم أنه كان يتصرف في الآلاف بل الملايين من الدولارات، كان لا يستحل لنفسه أن يشتري أي شيء.

فلقد أراد أن يبرّ أمه يوما في صيف بغداد الحار، فأرسل إلى الشيخ يستأذنه في أن يشتري لأمه ثلاجة "براد".



الثانية: أنه كان من أشفق الناس على إخوانه وأسرع الناس دمعة عند تلاوة القرآن وفي الصلاة.

أذكر أنه سمع مرة أني اعتقلت وتأكد له ذلك لأنه كان بيني وبينه ميعاد ولم أذهب لشيء تعلّق بالطريق عندي، وتواتر إليه الخبر فهدّهُ المرض وجلس في فراشه حتى عاده إخوانه وطفح الحبُّ على وجهه وشفتيه ولماّ علم بعدم صدق الخبر حمد الله ورجعت إليه نفسه.

و أخيراً أسأل الله أن يخلفنا في أبي عزام خيراً وأن يحشرنا وإيّاه في مقعد صدقٍ عند مليك مقتدر. اللهم آمين.



الشّيخ أبو أنس الشّامي (٣٧)

عَلَمٌ من أعلام الإسلام، لا تحويه السّطور، ولا لشرفه وفضله تُسعفني الكلمات، ولقد تردّدت كثيراً قبل الكتابة عن هذا الأسد وأخّرت الكتابة عنه لعل غيري يكون أصدق تعبيراً وأسعف بياناً، وعلم الله أنّ تأخري لسببٍ واحد، أنّي خشيت ألا أُوَفّي الرَّجُل حقّه في بيان فضله وشرفه وعلوّ منزلته ومكانته بين إخوانه وتاريخه في الدّعوة والجهاد ودوره في التّوحيد والجهاد، ثم في قاعدة الجهاد، وما مَنّ الله عليه وعلى إخوانه بالتبعية بوجوده بينهم.

فمن يتكلم عن هذا الشّهم الكريم، الشّجاع البطل، الأَسَد الهصور، العالم الرّبّاني، العالم العامل، الفقيه الحافظ، التقي النقي، السهل الواضح ثم المعلم المربي، المتمسك بدينه، الحريص على إخوانه، الناصح النصوح، الحيّ المؤدب، الغيور على الدِّيْن والعرض، الجامع لشمل المؤمنين والمُفَرّق لصفّ المنافقين والكافرين.

بالله عليكم من يعدُّ قطرات النّهر؟، فنهرٌ كأبي أنس الشامي حريٌّ بمثله أن يتوقف عند وصفه، ويتأنى قبل أن يخوض فيه، ثم لا بُدّ أن يكون سليم الذّوق لا مرور الحلق حتى يستعذب صفاء مائه وخفّة مذاقه، وكيف لي بهذا وكلماتي يتقطّر الحزن من ثناياها وفؤادي يعتصر ألماً عند ذكره ثم بالحديث عنه، وإن كان ولا بُدّ حتماً فهاكم الرَّجُل وتلك نتفةٌ من سيرته وعلاقتي به وما يمكن أن أقوله عنه وأوّل معرفتي به.



أقولُ أوّل معرفتي بالرَّجل أنّي دخلتُ يوماً أو بدعوة على شيخ الإسلام أبي مصعب الزرقاوي رحمه الله فلفت انتباهي شابٌ في الثلاثينات من العمر يجلس على فَرْشَه مُقابلة كأنّه زهرة على بساط أخضر، جميل الصورة، نضر الوجه، ليس به نمش ولا سواد، ناعم الشعر، رائع القسمات، فناداه صاحبي فأقبل إلينا فلمحت البراءة في عينيه ثم تكلم، فتكلم بالفصحى بلا تقطع ولا تكلف بل يمازح ويلاطف في أدبٍ كبير، ثم جلس فاستشاره الشيخ أبو مصعب في عمل عسكري ما، فأشار واقترح بما يستطيع ويعرف ثم صمت عمّا لا يعرف، وتلك والله شيم العلماء، ثم خلوتُ بالشيخ أبي مصعب وسألته عن الرَّجُل، فمدح وزاد في مدحه بما يدلّ على أنّ الرَّجُل وقع من الشيخ موقعه المناسب، ففرحت لأسباب أهمها:

١- أن الشيخ جعل مستشاره من أهل العلم والصدق والنصح.

٢- أن عادة الشيخ لم تتخلف عنه حتى بعدما صار معروفاً مشهوراً، فمنذ كان في أفغانستان كان يُقرّب ويأتي ويذهب مع أحد كبار طلبة العلم، وهذا يدل على فهم الرَّجُل وتحرّيه للشرع في أمره ونهيه، وتقريبه للعلماء، وتلك والله شيم الصالحين.

ثم عدتُ إلى عملي وبعد فترة شاءت الأقدار أن أرجع وأكون في أماكن كثيرة هو فيها، كان أهمها أيام الفلوجة الأولى وبعدها، تلك الغزوة التي سطرّ لها الشيخ باسم (غزوة الأحزاب) وكنت أحب أن يسميها غزوة بدر لأن



آثارها كانت كآثار بدر وعدّة أهلها كعدّة أهل بَدْر وحالهم أشبه بهم في كثير من الأشياء.

وقد التقيتُ الشيخ أبي أنس في إحدى المرّات قبل الفلوجة الأولى لما زرت أحد الأخوة في زوبع وكان عنده الأخ الشهيد (مولود)، كان الجو ممحلاً فسألت عن الحال؟ فقال لي: توبة أن أذهب مع الشيخ أبي أنس، قلت: ولِمَ؟، قال يا رجل كدت أموت رعباً من فرط شجاعة الرّجُل، تخيّل بالأمس هاجم أكثر من أربع سيطرات في نفس الساعة، يخرج من واحدة ثم يهاجم الأخرى وفي كل مرة يأمرني أن أتوقف إلى جانب السيطرة حتى إذا ما توقفنا أمر الجميع بإطلاق النار وهكذا دواليك حتى كدنا نموت جميعاً من الرعب أو نقع في الأسر لكن الله سلّم.

ثم جاءت الفلوجة الأولى وكان للشيخ أبي أنس دور بارز جداً فيها لم يحكه الرجل عن نفسه لما كتب قصتها، لكن أبرز أهم ما قام به:-

١) كان له الدور الكبير والهام في تحفيز الناس وخاصة الأنصار وتبشيرهم بالنصر وحثهم على الصبر والثبات.

٢) كان عمله يسبق قوله، فكان يحفزهم ويتقدم أمامهم فكان يسرع حينما يبطيء الناس.

٣) كان يشكل مع عمر حديد وأبي عزام " رحم الله الجميع " أشبه بمجلس حرب يدير الأزمة ويسد الثغر ويشد العضد.



٤) كان لثقة الأخوة المهاجرين منهم وخاصة الأنصار به عامل هام جداً في أن تسير الأمور على النحو المطلوب، فمثلاً لما كانت هناك مفاوضات، كنا نقول في كل شيء ما قال أبو أنس في هذا الأمر، هل وافق؟ هل أجازه؟

فما وافق عليه، وافقناه، وما رفضه رفضناه، لثقتنا بعلمه وشجاعته، وربّ قائل يقول وما دخل العلم بالشجاعة؟ فأُجيبه وأقول: نعم كنت مثلك لا أعرف هذا حتى جاءت الفلوجة الأولى.

فحينما كان يشير أبو أنس مثلاً بوقف القتال، كنا نحسب أن الرجل يرى الأصلح ديناً لا جبناً ولا خور، فالجميع يعلم أنه بالنسبة إلى أبي أنس ليس بجبان، كما أن الرجل ناصح حريص فلا يتخذ قراراً إلا بعد أن يشير على شيخه ومن معه – فرحمة الله عليه–.

و مما أذكر جيداً ولا أنساه ما حييت، أنه زارنا يوماً في الجولان وكان قليلاً جداً ما يزورنا نظراً لأن إخوة الجولان كان معظمهم المهاجرين وكان لا يرى حاجه ملحة للمجيء إليهم.

أقول زارنا الشيخ ونحن أحوج إليه من غيرنا في النصح ورفع الهمة وكانت الأمور في أشد ما يكون ضيقاً، فسأل الحاضرين، من يعرف رمز الحزب الجمهوري الأمريكي (أهو الحمار أم الفيل)؟ فقال أحد الحاضرين أضنه الفيل يا شيخ، فالحمار رمز الحزب الديمقراطي، وأيّده آخر، فقال الشيخ: كنت أعلم هذا لكن أردت أن أتأكد إن صَدَقَ ما تقولون فابشروا وأمّلوا، ثم تلا علينا



قوله تعالى: (ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل)، حتى أتى إلى نهايتها وأخذ يفسرها.

ثم أردف قائلاً: أصبروا يا إخواني فوالله لجمعٌ كجمعِ الكفار في الأحزاب وسوف يفرق الله جمعهم في عدّة كعدّة الأحزاب، شهرٌ أو قريبُ شهر.

ولقد صدق والله الشيخ، فكانت شهر أو قريب من الشهر، حيث استمر الحصار سبعة وعشرين يوماً، فالحمد لله على النعمة. وجاء الدور الأبرز للشيخ بعد المعركة، فالرَّجُل كان يُدْرك أن النصر لابد من قطف ثمرته وعدم تركها للدّجّالين من الحزب اللا إسلامي العراقي والصوفية الغلاة والمشعوذين وغيرهم، فكان لا بد من وضع الأمور في مسارها.

فشكّل وأسّس (مجلس شورى مجاهدي الفلوجة) بالتنسيق وبأمر الشيخ أبي مصعب وحتى لا تذهب الثمرة إلى من جاء بعد المعركة، فكان هذا المجلس تقريباً صمام أمان فيما بعد لكثير من المعضلات.

ثم لعب الشيخ فيما بعد أحداث الفلوجة الأولى الدّور الأهم والأبرز في حياته كلّها، بل والذي أرجو من الله أن يجزيه عليه خير الجزاء.

فلقد بدأ الرَّجُل برصّ الصّف وتأليف القلوب على أبي مصعب وجمع الشمل له فبدأ بالأقرب وهي الفلوجة، فبدأ يطوف على كثير من المجموعات الصغيرة يُفنّد شُبَهَهم وينصحهم ويعضهم حتى جمعهم جميعاً تحت راية التوحيد والجهاد.



ثم بدأ بما حول الفلوجة ثم بغداد فكلما سمع بكتيبة او سرية حسنة العقيدة والسلوك والعمل، جاء إلى أميرها وحاوره ولا يزال به حتى يدخلهم إلى صف التوحيد والجهاد.

وكان من مآثره أن سامراء لم يكن للتوحيد فيها أحد فزارهم وما زال يتردد بين سراياها وكتائبها حتى جعل سامراء كلها تقريباً للتوحيد والجهاد، ثم صارت فيما بعد كالفلوجة أو أشدّ، ولقد ظلّت (الملوية) المئذنة الشهيرة في التاريخ الإسلامي والعراقي خاصة محاطة بعلم التوحيد والجهاد أكثر من ثلاثة أشهر.

ثم بدأ الشيخ الشهيد الحبيب بعد ذلك يتخذ طابعاً عسكرياً أكثر منه غير ذلك، فأَشْهَدُ بالله أنه ما ثارت ثائره قط في الفلوجة إلا وجدته من أول القادمين المتقدمين، يحرض ويقاتل ويفعل كل ما بوسعه فعله ثم رأيته بعد ذلك حاضراً لجميع لجنات التنسيق العسكري التي كانت تتم في الفلوجة وكان له الدور الأبرز بين الأخوة.

وصل الشيخ إلى المكان ثم بدأ القصف وكان الشيخ خارج المنزل، ثم فجأة رأى صاروخاً يدمر البيت على أكثر من أربعين أخ وصلوا لتوّهم ولم يفرقوا إلى أماكنهم بعد، فصرخ الشيخ بأعلى صوته في الأخ الذي خارج المنزل والذين بعد لم ينزلوا من السيارة يأمرهم بالإسراع في الانتشار والابتعاد عن المكان لإنه يعرف كما يعرف جميع أهل الفلوجة والذين اكتووا بنيران القصف الجوّي الأعمى أن الطائرات الأمريكية في الغالب تقصف المكان أكثر من مرة في نفس



الوقت، لكن شجاعة وشهامة ومروءة الشيخ لم تتخلف عنه حتى في أحلك المواقف وأشد الظروف ولو هتف به الموت من كل مكان، حيث سمع أنيناً يأتي من بعيد من بين الأنقاض فأسرع إلى إخراج ما يمكن إخراجه من بين الأنقاض حتى وصل إلى أخ يأنُّ بقوة وسط ركام البيت بينما تبعه الأخ الشهيد أبو عبد الله سعد والذي حكى لي القصة وكان أبو عبد الله في طرف البيت يحاول إنقاذ أخ آخر وفي تلك اللحظة جاء الصاروخ الثاني وليرمي بأبي عبد الله مسافة بعيدة لكن دون أذى يذكر والحمد لله.

بينما دفنَ الصّاروخ عالماً ربانيّاً بين أشلاء إخوانه ولتختلط الدماء بهم، اختلطت الأرواح زماناً طويلاً وليتعانق الجميع عظاماً وأرواحاً في جنات عدنٍ عند مليك مقتدر، نحسبهم والله حسيبهم.

بقي أن أذكر بعض الأشياء على عجل في سيرة الرَّجُل الإمام، أنه كان لا ينسى قط ويفتر عن ذكر الله فكان الاستغفار سمة أبي أنس، فلا تكاد تسمعه إلا وهو يقول: "أستغفر الله"، حتى إنها صارت عادة أظنه لو حاول أن يمنعها ما قدر كما أني أظن أن ذلك كان هو سرّ نضارة وجه أبي أنس الشامي رحمه الله.

كما أنه كان خالص الودّ والحبّ لزوجه "أم أنس"، فما كان ينساها قط ولو في أحلك المواقف. وأذكر أنّنا في أثناء أحداث الفلوجة الأولى وفي لحظة من لحظات الضيق والشدة نظر إليّ مبتسماً قائلاً: "وداعاً أمّ أنس".



ثم أُحبّ أن أُنوّه أن الشيخ سافر إلى البوسنة والهرسك قائماً بأمر الله في الدعوة إلى العقيدة الصحيحة والتي لأجلها أسّس مع مجموعة من إخوانه مركز الإمام البخاري بعد رجوعه من الهرسك.

كما أن الرّجل أبتلي في ذات الله حيث اعتقل عام (٢٠٠٣م) لانتقاده نظام الطاغية عينُ أمريكا "عبد الله" وبعد الإفراج عنه أسرع إلى أرض العزة والجهاد بلاد الرافدين.

بقي أن أقول أن أذكر أن اسم الشيخ الحقيقي هو (عمر يوسف جمعه)، وهو فلسطيني الأصل، ومن مواليد عام ١٩٦٩م ومتزوج وله من الأولاد "أنس ومالك" وبُنَيّة هي الأكبر "ميمونة".

فرحمةُ الله على ميمون السّيرة، ميمون العمل، ميمون المقام عند الله "نحسبه كذلك ولا نزكّي على الله أحداً". أسأل الله أن يُخلفنا فيه خيراً، فوالله ما جاء بعده مثله، والله المستعان وعليه التّكلان.

وهذه مرثيّة الشيخ حامد العلي في الشهيد أبي أنس الشامي رحمه الله.

حل البكاء وأظلمت أيامي *** هذا كلام الله ليس كلامي

أبا أنس هذي مصارع عزّة *** لموت سابقنا الإمام الشامي

جئت العراق لتبتغي إكرامها *** فلقد تشرفت صفعها المترامي

ولقد تباهت أرضها بجهادك *** من مثلهُ من قائد مقدام

ولقد تطاولت العراق لكي ترى *** هل في العراق أحق بالإكرام



فتراجع الطرف وشيكاً قائلاً *** هذا الإمام رأيت في أحلامي

فلقد رأيت العزّ يبغي معلما *** يزهو عليه فجال في الأعلام

فبدا أبو أنس بطلعة وجهه *** فتبشبش العز وصاح أمامي

ما هذه الأنوار عند فراتنا *** قال الفرات أما رأيت حسامي

أو ما رأيت المجد في أوطاننا *** يحكي عليك حكاية الأيام

فيقص ذكر مجاهد متفقه *** ليث يصول صيالة الضرغام

فتعانق المجد وعز فراتنا *** وتحوّلا تاجا برأس الشامي

كم في ترابك يا عراق شهادة *** شهدت له بشهادة الإعظام

أبا أنس هل قد رحلت وما *** ودّعت من أخاك في الإسلام

لا بل أنت حيٌ في العلا *** أنت الشهيد بمحكم الأحكام



أبو أسامة التونسي (٣٨)

الأمير الشاب: أبو أسامة وليد ولد الهباط التونسيّ، رحمه الله تعالى، أميرُ كتيبة أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها، الكتيبة الرّائدة التي أسّسها الوزير أبو حمزة المهاجر حفظه الله.

فقيد اليوسفية ..

قاهر الأمريكان وآسر جنودهم..

كان رحمه الله من السّابقين إلى الجهاد في بلاد الرافدين، خاض معارك الفلّوجة وأبلى فيها بلاء حسناً، وكان من المقرّبين للشّيخ أبي مصعب رحمه الله، وكان ممّن شارك في الاستعراض الأخير، رافق الشيخ أبا حمزة المهاجر حفظه الله بعد الفلّوجة، ونهل من معينه الذي لا ينضب، فإذا رأيتَه فكأنّك ترى الشّيخ الوزير. لطيفٌ مع حزمٍ، كريمٌ مع ضبطٍ، حريصٌ رحيمٌ على إخوانه ومَن هم تحت إمرته، شديدُ البطش والغِلْظة على أعداء الله، كان رحمه الله ذكياً متوقّد الذّهن، فلا تأتي معضلة إلا ويجعل الله مفتاحها على يديه، كان عابداً ورعاً، يداوم على الصّيام، يصوم يوماً ويفطر آخر، ومع شدّة صيْف العراق وطول نهاره، وكثرة تنقّله بين المناطق، إلا أنه كان لا يدعُ الصّيام أبداً، وكان يقومُ ثلث اللّيل الآخر، ولا يترك ذلك إلا إذا كان الظّرف الأمني لا يسمح، لا يفتُر لسانه من ذكر الله، وقد أجرى الله على يديه من الفتوحات



والخير ما جعل النّاس تحبه محبّةً عجيبة، حتى إنّ منهم من لا يزوّج ابنته إلا بعد أن يزكيه أبو أسامة، لمعرفتهم بورعه وتقواه نحسبه ولا نزكيه على الله.

كان رحمه الله عجيبًا في خلُقه ومحبّته لإخوانه، مع ما جعل الله له من الهيبة والاحترام في قلوبهم، ولم تكن المصائب حين يأتيه خبرُها تؤثّر على قسمات وجهه، بل كان صدره مملوّءِ بالأسرار والأخبار.

وحين سألته: لم لا تتأثّر حين يجيئك خبر مقتل فلان أو فلان؟.

أجاب: "إنّ طبيعة هذه الحرب، تحتّم على المرء أن يكون حزنه وكدره، وكل ما قد يؤثّر على نفوس الشّباب، يكون ذلك مكتومًا في صدره".

وفي أول يوم من أيام زواجه، أتى إلى المنزل بعد غروب الشمس، فدخل علينا في غرفتنا، وبعد أن صلّينا المغرب والعشاء، جلس معنا وعلامات التعب والإرهاق لا يمكن أن تخفى، فقلت له: "تمدد حتى أسويلك "مساج" وترتاح شوي، أنت الليلة عريس"، وبالفعل عملت له "المساج" وبعدها قلت له: "استعن بالله وأدخل على أهلك"، ثم قلت له: "يا أبا أسامة، أنت الليلة عريس، فإذا صلّيت الفجر فلا تأت إلينا، و ابقَ مع أهلك كامل اليوم، فالعمل مستمر والشّباب فيهم الخير والبركة"، فقال: "الله كريم".

وبعد أذان الفجر، إذا به يدخل علينا، فقلت له باللهجة العراقية "يا معود كل عقلك، حتى ولا يمديك تشوف وجه أهلك"، وقد كان المنزل الذي نسكنه عديم الكهرباء -كحال أغلب مناطق العراق-، فقال لي: "والله



للجلوس معكم أحب إلى من كل متاع الدنيا"، مع ما يكنّه لأهله من حبّ ووفاء، فتذكرت حينها قول خالد رضي الله عنه: (ما من ليلة يهدى إليّ فيها عروس "أنا لها محب"، أو أبشر فيها بغلام، أحبّ إلي من ليلة شديدة الجليد، في سريّة من المهاجرين، أصبح بهم العدو).

وبالفعل؛ فقد أنكى في العدو الجراح، وأسمع منهم الصيّاح، وأدهش عقولهم بذكائه، فأسر جنودهم، وأحرق قواعدهم، حتى وضعوا على رأسه مليون دولار، ولم يجدوا له صورة حتى ينشروها، فأحضروا المتخصصين والرسامين، فرسموا له صورة أملى تفاصيلها عملائهم الخونة، ونشروها في شوارع اليوسفية وما جاورها، فضحك منهم الصّبي قبل الكبير، وظهر للناس عجزهم وشدّة نكايته بهم.

نجا من الموت مرات ومرات، وانفجرت في يده حقيبة بها أكثر من مائة وعشرين صاعقاً، وعشرات الشّظايا والمسامير، فمزقت قدميه، وصار طريح الفراش لفترة من الزمن، وظنّ الكثير أنه قد مات، ثم ما لبث أن شفاه الله، وعاد كأن لم يكن به ضرر.

حوصر مع تسعةٍ من رفاقه في قرية فقيرة من قرى غرب بغداد، وكنت معه طيلة هذه الفترة، وقد انقسمنا إلى ثلاث مجموعات، فكان قليل الكلام مع الإخوة، بشكل جعل الشّباب يظنّون أنه غاضب، ولم يكن أحد منهم يجرؤ على سؤاله، فأخذني في عمل ثم قال لي: "والله ليس بي أي شيء، غير أني



وجدت هذه الساعات أفضل فرصة أتعبد فيها الله تعالى وأذكره"، وكأنه رحمه الله كان يعرف أنه على موعد مع الشهادة.

وبعد شهرين من الحصار، أتاه من يخبره بوجود طريق للخروج، فعرضت عليه أن يجعل أحداً يخرج قبله ليستطلع الطريق، فقال: بل أنا أفتحه لكم وأرتب لكم خروجكم، ثم خرج وتوجه إلى منطقة البوبهان في محافظة بابل...

فسالت دمائه الطاهرة على تلك الأرض، في أول الأيام البيض من شهر رمضان المبارك لعام ١٤٢٨ للهجرة، بعد صلاة الظهر.

ورحل إلى ربه صائمًا متوضأ، يشكو إليه ظلم الظالمين، وخيانة المرتدين، ولم يكن قد مضى على زواجه سوى أربعة أشهر، قضى منها شهرين مع أهله، ثم أطبق عليه الحصار، بعد موجة الخيانة والردّة التي عمّت مناطق بغداد.

فرحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته..

وكتبه

عبد الأعلى المضريّ



وليد الخير

رحل الوفيُّ عن العيون وليتني *** إذ غاب عني مغمض الأجفانِ

يا ويح قلبي بعده أومَا به *** جلدٌ فيخفي حزنه لثواني

يا عابدًا أحيا اللّيالي ساجدًا *** يرجو إله العفو والإحسانِ

ولسانه رطْبٌ بذكر إلهنا *** أمضى الشّهور يصومها شطرانِ

فُجِعَت بكم بغداد حين تركتها *** وكذا قرى في غربها وسواني

وأستبشر الأعداء حين صعدتمُ *** فلقد أذقتموهمُ صنوف هوانِ

ومضيت أسرًا في جنْد صليبهم *** فجعلتهم يبكون كالنّسوانِ

وليدُ الخير يا رمز العُلا *** رمز البطولة قائد الفرسانِ

لله أمٌ أنجبتك ووالدٌ *** أنعم بهم يا خيرة الأبوانِ

أعطاك ربّ العالمين فضائلاً *** فغدوت فينا مورد الظمآنِ

فمنحت في كل القلوب محبةً *** وسرت محامدكم بكل لسانِ

في أول البيض الفضيلة أُسلمت *** روحٌ إلى المولى من رمضانِ

لله درّ السّالكين لدربه *** درب الأماجد صفوة الرحمنِ

يا تونس الخضراء صبرًا وأفرحي *** فبنوكُ فرسان بكلّ زمانِ

ضحكت لهم دنيا اللّذائذ فانبروا *** يبغون ما في جنّة الرضوانِ

سل الأشاوسة الكرام سيوفهم *** كسروًا صليبًا حلّ في أوطاني

يا رب فاجعله بفضلك عاليًا *** وأضحك له يا خالق الأكوانِ

وأرْضَ إله العالمين عن الفتى *** واجبر عزانا أنت ذو السّلطانِ

فرضاك غاية قصدنا ورجائنا *** لا شيء فوق رضاك يجتمعانِ

وأكتب له خَير الذي أعددته *** لشهيد دينك يا عظيم الشّانِ

صلّى الإله على النّبي محمدٍ *** وعلى صحابته ضحى الحيرانِ

وعلى الذين على هداهم قد مضوا *** يرجون لقياهم في أعالي جنانِ



أبو سعد الكبيسي (٣٩)

الثائرُ للعرض..

والفاتحُ للأرض..

المجاهدُ بماله ونفسه..

ولد ونشأ في بغداد، وعاش حياةً كريمةً هانئةً، كان صاحب همّة وطموح، و رياضيًا متميزًا قبل التزامه، بل من أبطالِ العراق في كمال الأجسام، وكان ثريًا ذا عقل تجاريّ ذكيّ، فأوسع الله له من الرّزق، وفتح عليه أبواب الدنيا، فكان يركب أحدث السّيارات في زمن قلَّ أن توجد في العراق سيّارة حديثة، تزوّج ثلاث نساء ورزقه الله الأبناء والبنات.

وبعد سقوط بغداد، كان رحمه الله من المبادرين للجهاد وطلب الشّهادة، فالتحق بصفوف المجاهدين، ونذر نفسه وماله وأهله لله تعالى، فباع كلّ ما يملك، وصرفه في سبيل الله، طامعًا في أن يكون ممّن يجاهد بماله ونفسه.

كان أبو سعد أحمد الكبيسيّ رحمه الله، أميرًا على جبهةٍ من أخطر الجبهات، ألا وهي جبهة القتال مع الرّافضة، وفي مقدّمتهم جيش الدّجال وفيلق الغدر، فطهّر مناطق غرب بغداد من دنَس الرّافضة، وفتح الله على يده الكثير من المناطق، فأجْلى الرّافضة عنها، وأحلّ بها أهْل السّنة، وكان رجاله درعًا حامية لأهل السّنة هناك، فنعموا بخيرٍ حياة وانتشر الأمن في تلك المناطق.



كما كان شوكةً في حُلوق الصّليبيين، فدمّر آلياتهم وأحرق قواعدهم بقذائف الهاون، حيث كان بارعًا في ذلك، فطاردوه واستهدفوه أكثر من مرّة وقصفوا منزله وأسرته فكتب الله لهم النّجاة.

ويحكي لي قصّة عجيبة حدثت له، فيقول: (ذات يوم كنّا نائمين في إحدى الغرف، فحصل إنزالٌ جوّيٌ مفاجئ على غرفتنا، ودهمنا الأمريكان من كلّ مكان وقاموا بسؤالنا، أين أبو سعد؟ فقلت: لا ندري، فيسألون الأول ما أسمك؟ فيقول اسمه الحقيقي، فيقولون: اخرج، وهكذا الثاني والثالث، ثم سألوني ما اسمك؟ فقلت: عبد الله بن عبد الرحمن، فيقول الأمريكي أكيد؟ فأقول: نعم، فيقول: سوف نسأل الأطفال في الخارج، فإذا قالوا غير ذلك أخذناك معنا، قلت: لا بأس، يقول: وكان كل الأطفال يعرفونني باسم أبي سعد، فخرج الصليبيّ القذر، وصاح للأطفال، وحين جمعوهم إليه وأراد أن يسألهم، حصل اتصال من مركز قيادته يخبر بحدوث شيءٍ ما، يقول: فأخذوا أصْحابي الذين ذكروا أسمائهم الحقيقيّة، ولم يسألوا الأطفال لانشغالهم بالاتّصال، وركبوا طائراتهم وانصرفوا).

ولم يزل على هذا الطريق مجاهدًا مجالدًا..

حتى أتى اليوم الذي كان ينتظره، وفي آخر ليلة له، قال لي: (والله لقد اشتقت إلى الجنّة، وأسأل الله أن أقتَل غدًا)، وحين بزغ الفجر، جلس مع أهله ومازَحهم ولاطَفهم، ثمّ طلب منهم أن يُسامحوه ويدعُوا له، وأخبرهم أنه اليوم سيُغِيرُ هو ورجاله على إحْدى نقاط التّفتيش للمرتدين على الطريق الدّولي،



تلبيةً لنداء الأسد الهصور، وزير الحرب أبي حمزة المهاجر نصره الله، الذب استنفر الأبطال للثأر لعِرْض أختنا الذي دنّسه كلاب المالكيّ، فما أنْ سمع النّداء حتى قال: لبّيك وسَعْديك يا شيخنا، فانْطلق مع فُرسانه كالشّهاب الثّاقب، فأباد سيطرةً للمُرتدّين كان بها أكثر من اثني عشر مرتدّاً وضابطًا، فقتلوهم جميعًا، وطهّروا المكان منهم..

وأثناء جمْع الغنائم، استطاع أحد الجنود المرتدّين الاختباء في صندوق سيّارته، ومعه سلاح -بي كي سي- فتقدّم له أبو سعد؛ وكان سلاحه حينها قد فرغ من العتاد، فطعنه -رحمه الله- بفوهة البندقيّة، فقام المرتدّ بالضّغط على الزّناد، وقتل واحدًا من خيرةِ شباب الإسلام.. أبا سعد الكبيسيّ.

وسالت دمائه الطّاهرة، وسلاحه على صدْره، يشهدُ له بما عمل، فلم يدَعْ من ماله شيئًا إلا وأنْفقه في سبيل الله، وقد أوصى رجاله بأن لا يسحبوه إن قُتِل، فبقي رحمه الله في مكان المعركة، متوشّحًا حزامَهُ النّاسف، فلم يجرؤ المرتدّين على الاقتراب منه، فسحبوه ووضعوه في أرض فلاةٍ، ولم يدّعوا أحدًا يقترب منه، وظلّت عيونهم ترقبُه ليل نهار. فتجسد فيه قول الشاعر:

علوّ في الحياة وفي المماتِ *** لَحقٌّ أنت إحدى المعجزاتِ

....

ولما ضاقَ بطْن الأرض عن أنْ *** يضمّ عُلاك من بعد المماتِ

أصاروا الجوَّ قبْرك واستنابوا *** عن الأكفان ثوب السافياتِ

لعظمك في النّفوس تبيتُ ترعى *** بحفاظ وحراث ثقاتِ



وتُشعلُ عنْدك النّيران ليلاً *** كذلك كنتَ أيّام الحياةِ

ولو أنّي قدرتُ على قيامٍ *** بفرضكَ والحقوقِ الواجباتِ

ملأتُ الأرضَ من نَظْمِ القوافي *** ونُحْت بها خلاف النائحاتِ

ومالك تُربة فأقول تسقى *** لأنّك نصب هطل الهاطلاتِ

عليك تحيّة الرّحمن تتْرى *** برحماتٍ غوادٍ رائحاتِ

فاللّهمّ: يا من جمع يوسُف بيعقوبٍ، اجمعني به في أعالي الجنان، وارْضَ عنه وأكرم نُزُله، ووسّع مدخله وأبْدِله دارًا خيرًا من داره، وأهلاً خيرًا من أهله وأجِرْه من عذاب القبر، واجْزِه بخير ما جزيت شهيدًا في سبيلك..

وعلى مثل أبي سعد فلتبكِ البواكي.

وكتبه

عبد الأعلى المضريّ



أبو أنس الجنوبي (٤٠)

أبـو أنس الجنـوبي، من جبـال تهامـة حسّـاً ومعنـى، ذاك هـو الأسمر النّحيـل، صـاحبُ الابتسـامة العريضـة، حمل على ظهـره همّ أمّتـه، وبادر بـترْك الـدّيار، فـاكتوى بنـار الفِـراق، ووَحشـة الغُربـة، لكنـه وكمـا كنتُ أراه، نعْم الأنيس والجليس، يُطيل القيام ويدوام على القران..

ترى الرّجل النّحيلَ فتزدريهِ *** وفي أثوابِه أسدٌ هصُورُ

خـرج من بيت أهلـه وحيـدًا، عاقـدَ العـزم على الهجـرة، وكلـه ثقـةٌ بالله أنـه سيسّهل له طريقه ويوصلُه إلى مُراده..

وصـل إلى العـراق، والتحـق لفـترة من الـزّمن بمعسـكر "راوة"، ثم انتقـل إلى أطراف بغداد، وهناك أشرقت شمسُه، ومع مرور الأيام وسبرِه لأغوار المنطقة وطبيعة أهلها، بدأ بالتألّق في العمل، ودخل عدّة دوراتٍ عسكريّة فتخرّج منها بنجـاح، وشـارك في عـدّة معـارك، منهـا اقتحـامُ سـجن "أبي غـريب"، وغيرهـا كثير.

كُلِّف بقيادة مجموعة من الشّباب، فركّز اهتمامه على زرع العبوات، وكـان يقـول دائمًـا: (كُن كريمًا على عـدوك، فـإن نـويت زرعَ عبـوةٍ تكلّفـك خمسـة وعشـرين "دولاراً" تـؤدّي لإعطـاب آليّتـه، فاجعلهـا بمئـة "دولار" ومزّقهـا بمن فيها).



وبالفعل، فقد كانت عبواته ومجموعته تُبيد الصّليبيين، وقد شاهد العالمُ إحدى عبواته، والنّار تستعر في جنود الصليبيين..

كانَ رحمه الله يحبّ المخاطرة والجَرأة، فحينَ يطوّق الصّليبيون إحدى المناطق القريبةِ منه، ويبدؤون بتمشيطها، يتسلّل مع بعض رفاقه زحفًا إليهم، ويزرعون لهم في الأماكن التي يدّعون أنهم طهّروها من المجاهدين، فيأتي هذا الأبيّ ويعطيه درسًا تطبيقيًا في التطهير..

وفي إحدى العمليات، تمركزت سيطرةٌ لمرتدي الحرس الوثنيّ على طريق بغدادَ السّريع، وكان هناك طريقٌ خصّصه الصّليبيون لعبورهم ومنعوا النّاس منه، فقرّر صاحبُنا أن يضرب بعضهم ببعض، فخرجوا لهم ليلاً، وتسلّل أحد رفاقه وهو يجرُّ بيده عبوةً كبيرة جداً، ووصل إلى المكان دونَ أنْ يشعر به المرتدّون، ثم قام وزرعها في هذا الطرّيق، وحين أتى الصّليبيون ليعبروا لكلّ طمأنينة وأمان، لعلمهم بإخلاصِ عبيدهم في السّهر على حمايتهم، وبعد أن مرّت الآليّة الأولى كانت الصّارخة من نصيب التي تليها، فأحالتها إلى قطعَ صغيرةٍ من الحديد، أما اللّحم فلا تسأل عنه..

عندها قام الصّليبيون بتوجيه كلِّ ما لديهم من قوّة ناريّةٍ في آلياتهم إلى العبيد السّمر، الذين لم يسلَموا ابتداءً من شظايا العبوة، فأحرقوا موقعهم بمن فيه من كثافة النّيران، كلّ هذه المشاهد، والأسُود رابضةً تنظُر لحالهم وخُسرانِهم..



لقد كان -رحمه الله- غليظًا عزيزًا على أعداء الله، ليّناً ذليلاً على أوليـاءه، وقد رأيتُ وإخواني من طُول العِشرة أنّ من اتّصف بهذه الصّفة فإنّ الله يفتح على يديه، ويُبارك عمله، ويشرَح صدره ويُعلي شأنه.

مـرّت الأيامُ عليـه يُجالـد فيهـا أعـداء الله، يقضـي أيّامـه ولياليـه بين رباط وعبادة..

وذات يوم وفي أثناء رباطه على أحد الدّوريات الصّليبية، وكان قد اتخذ وأحد رفاقه من غرفة طينيّة صغيرة مخبأ له، كانت مروحيات الصّليبيين تحومُ فوقه، لكنّها لم تُشغل باله، فطائراتهم في الغالب تخرج مع كلِّ دوريّة لحماية آليّاتهم على الأرض من الكمائن، وخِشية قيام المجاهدين بزرع العبوات لهم، فيقول عن هذه الحادثة:

(شعرتُ بأنّ المروحية تقترب كثيرًا من الأرض، وأنا في هذه الحالة مركّزٌ عَينيَّ على الشّارع الذي أمامي وفي يدي جهاز التّفجير، ولم أشعر إلا والصّليبيون يقتحمون الغرفة، ونزلت المروحية على الأرض، وكل هذا في لحظات، والسّبب في عدم شعوري بتقدمهم، هو أنّ الغرفة كانت لمضخّة ماء كبيرة مشتغلة، وكان صوتها مرتفعًا جدًا فاختلط الأمر على حواسّي..).

بعدها.. أصبح ذِكرُ صاحبنا عند الإخوة: (كان أبو أنس فكّ الله أسره..!)، نعم.. لقد أسِر البطلُ وأحدُ رفاقه، ولم يتمكنا من المقاومة، لانشغال الذّهن بمتابعة الطّريق..



أخذه الصليبيون أسيرًا وأودِع السّجن، لكن وبُلطفٍ من الله لم يتعرّفوا على حقيقة شخصيّته، وأحيلت قضيّته إلى المحكمة، فأقرّ رفيقه -ابن دعوته بمصطلح المعتقلات- أمام القاضي المجرم أنه هو المسؤول عن زرع العبوة، وهو الذي كان لابسًا الجعبة وبيده جهاز التفجير، وأنّ هذا الشّخص -يعني أبا أنس- ليس له أي علاقة بالموضوع..!

وهذا الفداءُ الباهرُ ليس غريبًا على الأنصار، فقد سطّرت السّجون صورًا عجيبة لمثل هذا الإيثار، وكم من أنصاريٍّ ألقى بالتّهم الثّقال على كاهله، لأنه يرى في خروج أخيه المهاجر من الأسر مصلحةً للجهاد أعظمَ من خروجه هوَ، وليختار البقاء في قيود السّجن مهما طال الأمد، وعظمت التّهمة، ولتُثبت الأيام أنّ بُنيانًا كانت لبناته كهؤلاء الرّجال، ما كان له أن يتصدع..

نعود ... مكث صاحبُنا في السّجن قُرابة السّنتين، ثمّ كتب الله له الفرج، وعاد إلى ميدانه يزأرُ فيه، ويثأرُ لإخوانه، فكانت هناك قاعدةٌ صليبيّة في منطقته التي يعمل فيها. أخذ على نفسه وإخوانه عهدًا بأن يحرِموهم من الدّخول إليها أو الخروج منها سيرًا على الأرض، وبالفعل أوفُوا بعهدهم، وقطعوا عليهم طريقَهم، فأصبحوا يتنقّلون بالطّائرات، حتى أحاطوا هذه القاعدةَ بعدّة مقرّات، ظنّاً منهم أنها ستخفف الضّغط وتُبعد الأبطالَ عنهُم، وهم في واقع الأمر زادوا من الأهداف، فكسر رحمه الله ظهره، ومرّغ أنفهم..



وبعد هذا العطاء الجليل من هذا الشّاب النّحيل، وفي اشتباكٍ مع الصّليبيين والمرتدين، حطّ الحبيبُ رِحاله، وودّع أقرانه، وصعدت روحه الطاهرة الزّكية إلى بارئها..

ولا تبكيَنّ إلا ليثَ غابٍ *** شُجاعاً في الحروب الثائراتِ
دعوني في الحُروب أمُت شهيداً *** فموت العزّ خيرٌ من حياتي

اللهم أسكِنْه الفِردوس الأعلى من الجنّة، واجعله شفيعًا لوالديه، واجمعنا به يا ربّ العالمين.

وصلّى الله على نبيّنا محمّد، وعلى آله وصحبه، وسلَّم تسليمًا كثيرًا، والحمد لله رب العالمين...

وكتبه

عبد الأعلى المضريّ



أبو حسين اليوسفية (٤١)

صاحبُ الهمّة العالية، والنّفس النّفيسة الأبيّة، الذي لا يعرف الكلل أو الملل، يرفعُ الهِمم بصوته، ويجلب الحماسَ بعمَله، مهيبُ الجانب، قويّ الشّكيمة، الزاهدُ العابد، التّقي النّقي، عبد الله الصالح أبو حسين ...

أسدُ الجنوب ..

الأمير المقدامُ ..

الجريءُ في ذات الله ..

من شباب جزيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، عرف الاستقامة مبكراً، وأدرك الدّين صبيّا، فبادر للعمل له، على قدر ما فَهم وأُفْهم، أسرع بنشاطٍ في العمل الإغاثي!، فسافر إلى إندونيسيا، ثم إلى فلسطين الأسيرة، وهناك أدرك معنى الجهاد، فلقد رأى كيف يسُوق العدوّ أبناء الشّام كقطيع الأغنام، ورأى كيف أفسد اليهود الدّين والدنيا، ثم رأى مدى الهوان الذي وصله المسلمون، وتميّع الحركات الجهاديّة، وشاهد جيوش العملاء وقطعان العبيد، وعلى حد قوله: (بفلسطين يكاد يكون للجاسوس هويّة رسميّة).

فاشمأزّ ونقِم وعزِم، ورجع إلى وطنه يحمل الهمّ والإصرار؛ الإصرار على أن يكون لبنة في بناءٍ قد بدأ يرتفع في العراق، فأسرع يجيبُ داعيَ الله وعمره لم يجاوز عقده الثاني بعامٍ واحد، فحطّ رحاله بالفلّوجة، وجلس فيها بعض



الشيء ثم أدرك قلّة حاجة الإخوة إليه فيها، فجهّز متاعه وانطلق إلى مكان آخر لم يزل لقاعدة الجهاد فيه حينها عملٌ غضّ؛ فحطّ رحاله باليوسفيّة التي صار يُنسبُ إليها، وهناك شكّل وأسّس مجموعةً طيّبةً، وكان نطاقُ عمله السّاخن بين اليوسفيّة والفلوجة لينزل إلى بغداد، وخاصّة بالسيارات المفخّخة.

ثم شكّل سريّة أمنيّة متخصّصةٌ بملاحقة الجواسيس والعملاء، فقد رأى الأثر السيء للجواسيس في فلسطين، واجتهد غاية الاجتهاد في هذا الأمر فتتبّع أثرهم وتعقّب رؤوسهم واخترق أماكنهم، ولم يزل بهم حتى سقطوا في يده الواحد تلو الآخر، فامتلأت قلوب المرتدّين من اسمه رعبًا، حتى فتح الله عليه الفتْح الكبير.

ثم وبعد تصفية شبكات الجواسيس، تفرّغ أبو حسين للقوّات الأمريكيّة، فأبهر الجميع بحُسْن بلائه، وقوّة ورباطة جأشه، ومثال ذلك ما حصل حين كان يسير مع رفاقه يومًا في إحدى القرى، إذ فوجئ الجميع بدوريّة أمريكية على مسافة أقلّ من خمسين مترًا، فأسرع من معه بالانسحاب والاختباء، بينما هبّ هو إلى قاذفة مضادّة للدّروع ووقف وسط الطريق في ذهول من صاحب "البكتا" على ظهر "الهمر"، فوجّه أبو حسين قذيفته إلى سويداء "الهمر" ثم انسحب مسرعًا، وقد يكون مناسباً ذكر طريقته العجيبة في الانسحاب من أرض المعركة؛ فقد كان الرّجل يرجع القهقرى ولا يُعطي ظهره للعدوِّ بل وجهَه، حتى ولو سقط يقُوم ويرجع القهقرى بإصرارٍ عجيب، ويقول: (لا



أريد أن يراني ربّي أُقتل مدبرا)، وكان دائما يقول: (إن قُتلت فمن الأمام أو غدرًا، لا أقتل إن شاء الله من خلفي)، وهذا ما كان، وسنأتي عليه.

لمّا اشتعلت معارك الفلّوجة الثانية، كان هو خارجها يشتعل معها حماسةً ويتحرّقُ شوقًا، لا ينامُ الليل ولا يهدأ بالنّهار، وهمّه أن ينصُر إخوته ويحيلَ الأرض تحت أقدام العدو جحيمًا، فكانت له في هذا القصصُ الكثيرة... يترّبص للعدوّ ليلاً على الخطّ السّريع، وينصب العبوات ويجهّز المفخّخات، ويرسل قنابر الهاون، ويحثّ على إطلاقِ الصواريخ.

سمع يوما أن أحد المجاهدين من مجموعة أخرى عنده صواريخ مخبّأة كثيرة، فأسرع إليه يُذكِّره بالله وأنّ الزمان زمان تضحية ونُصرة وعمل دؤوب، فالإخوة في الفلّوجة بأمس الحاجة إلى عمل يخفّف عنهم الحِصار، ومازال به حتى ردّ عليه الآخر: إنه لا يستطيع أن يعطيه شيئا حتى يستأذن.

فردّ عليه أبو حسين والهمّ والحزن يملأ قلبه: (إن كنتَ كاذبا فليعاملْك الله بما تستحقّ)، وما هي إلا أيّام حتى جاء الأمريكان وفجّروا لهذا الشخص مائتي صاروخ كان يحتفظ بها، فعلم الرجل أن ذلك ما كان إلا بجريرة ذنبه، فاستغفر اللهَ وتاب إليه، ونحسب أنه قد حسُنت توبته وندم على فعله.

ولما انقضت الفلّوجة الثانية، كانت منطقة أبي حسين من أنشط المناطق في مقارعة الجيش الأمريكي، حيث عمل طيلة بقائه على جعْلها قاعدةً للجهاد ينطلق منها اللّيوث في كلّ مكان.



فجمع السّلاح وهيأ نفوس أهل المنطقة وحرّضهم على الجهاد، فأحبّهم وأحبّوه، وكان صاحب حجّة ومنطق، فإذا أراد أن يقنع أحدا لم يُعجزه ذلك، لما كان يحمل من صدقٍ في دعوته، فإذا اقتنع بشيءٍ جمع له الأدلّة والبراهين، وخاطب غريمه بكل حواسّه ومشاعره وعقله حتى يقنعه، ونادرا ما كان يفشل في ذلك، فيخاطب أحدهم بالغيرة والنّشامة، والآخر بالحميّة للدّين ثم الوطن، وغيرهما بالعقيدة وفرضيّة الجهاد، أو بجميع ذلك على حسب حال الشخص، ثم هو لا يدعك تردّ عليه مقالته لما تجد من انفعالٍ وحماسٍ يمتلكه عند البيان، مما يجعلك على الأقل تستحي منه.

وكان القائدُ الشّهيد متميّزاً في كلّ شيء؛ في نُكران الذّات، وفي التّضحية والشّجاعة، وفي الزّهد والورع وفي صدق الوفاء.

ومن المواقف التي أذكرها مثلا؛ لـمّا كانت عملية السّدير الأولى (أعني فندق السّدير، موطن الموساد الإسرائيلي في بغداد)، كنّا قد أعددنا عبواتٍ من نوعٍ كان متطوّرا في وقتها حتى تكون موجّهةً نحو الفندق؛ ومن هذه العبوات، عبوةٌ كبيرةٌ لا تسمح إلا بدخول شخص واحد بالكاد إلى باطنها.

وبدأنا نملأ العبوة ليلاً بمادة "البنتاريت" الشديدة الانفجار والتي تتصف بالسمّية لدرجةٍ معيّنة، فبادر صاحبنا بالنّزول داخل العبوة، وبدأ يأخذ المادّة من إخوانه ليكدّسها ويدكّها بيده، والعُطاس وسيلان الأنف يعمل عمله، وعندما يطلب منه الإخوة الخروج لينزل آخر بدله، يرفض ويقول: (الوقت قصير وهذه أيّام نقضيها في طاعة الله، ثم إن سمّية المادة لا تؤذي إلا أن يشاء



الله، ومن يقول أن الله لم ينزع منها صفة السمّية حتى ننتهي، أليست جنديّا من جند الله؟).

كان الرّجل إذا اقتنع بفكرةٍ لابدّ أن يقنع غيره بها، وقد اقتنع أنّنا نستطيع أن نهاجم سجن أبي غريب، فظلَّ يلحّ على إخوانه حتى تمّ له ما أراد من الموافقة على ذلك، و لـمّا قيل له: والمواد والسيارات والأشخاص وغير ذلك؟، كان يردّ بكلمةٍ جميلة دائما يردّدها إذا طُلب منه شيء: ("ازهلها" – أي اتركها – على الله ثم علَي)، وكنّا نحبّ منه جدا هذه الكلمة، ذلك أنها تُشعرك بأن صاحبها لا يعرف اليأس قطّ، ولا يعوقه صعبٌ أو مستحيل أيّاً كان ما كُلِّف به.

أذكر مرة أنّه كُّلف بسيارة يجهزها، فقال كعادته: ("ازهلها")، وفي الوقت المحدد سلّمها وهو يضحك، فقلنا ولم الضّحك؟ قال: (والله عندما طُلبت منّي لم يكن عندي من الموادّ شيء، فألححتُ بالدّعاء لله، وإذا بالأخ فلان يأتي بما يكفي لتجهيز ثلاث سيارات، فحمدت الله على التسديد وعدم الخذلان).

أعود فأقول: بدأ أبو حسين يجهّز لغزوة أبي غريب، ويواصل في هذا الليل والنهار لا يكلّ ولا يملّ، ولا يعرف صعبًا أو مستحيلاً وبذل في هذا مجهوداً كبيراً، فجهّز السّيارات ما بين شراءٍ وغنْم، وسعى في تحصيل المواد اللازمة للتفخيخ، واحتال لذلك حيلاً كثيرة فتح الله بها عليه، وكان ذلك لأنّه كُلّف بتجهيزها شخصيّا للحفاظ على سرّية العمل، فتحمّل في سبيل ذلك الجهد الأكبر، كي تبقى العمليّة طيّ الكتمان ما أمكن ذلك.



ثم لما جَدَّ الجِدُّ وجاء وقت التنفيذ، قادَ مفرزةَ الاستشهاديين وانطلق بهم إلى موقع السّجن في حزام أبي غريب، ولما اقترب من السجن وبدا شاخصاً أمامه، إذا به يُفاجأ برتلٍ أمريكيّ كبير يخترقُ حاجز الحماية، فخاف أن يلتف هؤلاء على مجاميع المجاهدين التي تحيط بالسجن من كل جانب إحاطة السّوار بالمعصم، وهنا تظهر صفةُ القيادة في هذا الأمير الشّاب، حيث يتّخذ القرار الصّعب الحازم في وقته بلا تردّد، فأمر أربع سياراتٍ استشهاديّة بالدخول في الرتل الواحدة تلو الأخرى، فأبادوه عن بكرة أبيه، وقتل الله بهم أكثر من خمسين علجًا أمريكيًا، ودُمّرت أكثر من عشر آليات.

وبعد غزوة أبي غريب تزوج الحبيب الشهيد، وكانت مجموعته وقتها قد كُلّفت بغزوة أخرى تحتاج إلى عمل شاقٍ واجتهاد، فذهبنا لموقع التّجهيز بعد الظهر تقريبا، فإذا بنا نفاجأ بأبي حسين مع الإخوة ومادة الـTNT تملأ يديه ووجهه؛ فقال له بعض الإخوة: يا ولد أليس اليوم يوم الصباحية عندك؟!، قال: (نعم؛ والعمل مع الإخوة هنا أجمل صباحيّة)، فاجتهدنا أن يعود إلى أهله، فأبى ولم يرجع إلا بعدما أُذّن للمغرب وانسحب جميع إخوانه.

هكذا كان صاحبنا الشّهيد، حتى شهوة الإنسان الجبلّية لم تسيطر عليه وهو معذورٌ ومأذون له من أمرائه أن يقضي ولو أياماً مع عروسه، ولكنّ الذي عرف الجهاد وذاق لذّته على حقيقته، يعرف تماماً لماذا تصرّف شهيدنا هكذا، خاصّة إذا كان يحمل هَمّ وهِمّة أبي حسين وإخلاصه.



كان أبو حسين مَهيب الجانب جدًا رغم حداثة سِنِّه، فكان في إمرته مَن تجاوز الأربعين، لا يستطيع أن يتجاوزه أحدٌ صغيرا كان أم كبيرا، بل كان الاحترامُ والمهابة تملأ قلوب إخوانه، فقلّما أمر بشيء وخالفه فيه أحد، وفي نفس الوقت ملأ الرّعب من اسمِهِ قلوب مخالفيه المرتدّين في المنطقة.

كان يأخذ إخوانه في كمائنَ للطّائرات من الصّباح إلى المساء؛ يجلس معهم في قنوات البزل المائي الزراعية وأماكن البقّ والحشرات، يتربّصون عدوّ الله فربما رُزقوا بهدف وربما انسحبوا دون أن يأتي أحد، فما كان لأخٍ أن يعترض أو يأخذ عليه لأنّه ّ يتقدّمهم في كلّ شيء.

ولما اقتنع بالعبوات النّاسفة وأثرها في البالغ في كسر إرادة العدو، ملأ طرقهم بها، وجهّز لها المجموعات، حتى فتح الله عليه وقطع الطريق تماما على أعداء الله، وطهَّر كامل المنطقة تقريبًا من نتنهم.

كان الشهيد رحمه الله أميرًا في كل الغزوات التي شارك فيها، فإن لم يكن أميرا عاما للغزوة كان أميرا على أهمّ مفارزها، وكان وجوده بجوار إخوانه مصدر همّة وشجاعة، وكان صوته في المعركة بألفِ فارس.

وفي نفس الوقت كان إمامًا في الزّهد والورع؛ يُلزم نفسه بكثرة الصيّام والتقشّف في الطّعام والاقتصاد في الملبس، وإذا ذهبت إلى موضع مجموعته ترى أثر ذلك عليه وعلى إخوانه، وربما يأخذك واحد منهم قائلا: يا ليت تجعل أبا حسين يخفّف علينا بعض الشيء، فإذا كلمتَه أقنعك بصدق منهجه وأن



ذلك هو الأصلح له ولهم، وحين يُسألُ الشّباب يسكت الجميع، أو يجيبوك بالتأييد ما بين مقتنع أو استحياءً من أميره الزّاهد.

ومن مآثر الشّهيد الحبيب والتي ليس لها إلا أمثاله من الجبال الأفذاذ، أنه ما من منطقةٍ استعصت علينا، أو أردنا أن نفتح فيها مكانا جديداً للجهاد والشباب، إلا كان لها الأمير أبو حسين، فكان يذهب إليها ويبدأ من الصّفر، وما هي إلا أيام أو أسابيع قليلة، حتى ترى أثر ذلك في المنطقة، فيجهّزها ويرتّبها ويُعيّن عليها أخاً آخر ويغادرها إلى منطقة أخرى.

فشهيدنا ليس من هذا النّفر الذي يعيش طفيليّا ويعملُ متواكلاً، إنما يتسلّق ليعلو ويصمد في وجه الرّيح، متشبثاً بسلاحِ الإيمان وعقيدة التوحيد.

وفي آخر أيام أبي حسين كانت أيادي الغدر من كبارِ العملاء والجواسيس تتربّص به ليل نهار، بعد أن أثخن فيها وحرمها أمن النّوم في أحضان الصّليبين، فجلس هؤلاء لصاحبنا كلّ مرصد، وفي يومٍ قدّره الله عليه، وبينما أوشك على الانتهاء من عمل مهم كان قد كُلّف به، توقفت سيارته في منطقة مشهورة بكثرة عُملاءها وخُبث أهلها، فلا تُكاد تعرف فيهم الصّديق من العدو، ولا المجاهد من المنافق، المهمّ؛ عند توقفه وضعوا في سيّارته أحد أقراص التتبّع التي تزود الطائرات الأمريكيّة بالإحداثيات.

ولما استقرّ الشّهيد الحبيب بالسيارة عند إخوانه، فوجئ الجميع بأسطولٍ من الطائرات يهبط عليهم مباشرة من كلّ الجهات، وبدأ اشتباكٌ عنيف بين



الطّرفين، وحصل للعدوِّ من الإثخان ما قدّر الله، ثم كانت النهاية السّعيدة للرّجل، الأليمة لكلّ من يعرفه ويحبّه.

حيثُ تقدم أبو حسين بحزامه الناسف وسط العدو قاتلا ما شاء الله منهم ومقبلا على ربه، فملأ بفَقده قلوَبنا قيحاً وأعيُننا دماً، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا.



أبو بصير التونسي (42)

نشأ نشأةً صالحة في بلده، رغم شدّة الفتن والمُنكرات، وهدى اللهُ على يديه الكثير من أهل حارته الذين نفروا للجهاد، فكان ممّن يُلحِق القول بالعمل، مُخالفًا بذلك الكثير من بني قومه، ممّن يستأسدون على أعواد المنابر، حتى إذا نزلوا عنها لبسوا أثواب النّعاج.

قليلُ الكلام كثيرُ الصّمت ...

باحثٌ عن الحقِ بلا كلل ...

الخفيّ التقيّ الطاهر ...

نفَر رحمه الله إلى أرض الرّافدين مبكّرًا، والتحقَ بكتيبة أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها في منطقة اليوسفيّة، وأخذ يتنقل بين الدّورات العسكرية حتى تعلّم الكثيرَ من فنون القتال وعلوم الرّجال. خاض الكثير من المعاركِ، فروى فيها سيفه الظّامئ، وأبرأ بها شيئًا من جرحِه الدّامي.

كان رحمه الله يقوم بما يُوكَل إليه خيْر قيام، حتّى وإن كان العملُ شاقاً شديداً، فكان ممّا أبدع فيه إبداعاً قلّ نظيره بين الإخوة، العملُ في مجال التّفخيخ، حيث يجهّز الشّاحنات بالأطنان من المتفجّرات في وقت قصير، ويحيطُها بدائرة التفجير في إتقانٍ مُبهر، وكأنه صُنع الشّركة نفسها، ورغم كثرةِ أنتاجه وضغط العمل عليه، لم يؤثَر عنه خطأٌ في شيء منها، فقد كانت معيّة الله وتوفيقه تحيطه في كلّ شيء.



كان رحمه الله مصابًا بداء "العشو اللّيليّ" فإذا غربت الشمس لم يكَد يُبصر شيئًا، لكنه ما شكا أمْره لأحد، بل إنّ كثيراً من إخوانه لا يعرفون عنه هذا الشيء حتّى يومنا هذا، ولم يكن سبب سكوته هو الحياءُ أو الخجلْ، إنّما لعِلْمه أنّه لو أخبر الشّباب بهذا فسوف يتنافسون على خدمته ومرافقته، وهذا ما لا يُريده، فقد كان يصُوم يومه دون أن يعرف به أحد، ولا يطُلب من أهل البيت إفطاراً، بل كان يُفطر على الماء، وإن لم يأتِ الطعام لعارضٍ لا يطلبه، رغم معرفته بسخاء أهل السّنة في العراق، وحُسْن وِفادتهم، وسهولة تحضير الطّعام لديهم، واستعدادهم لاستقبالِ الطارق في أيِّ وقت.

وأذكر أنّنا كنّا في إحدى قرى الأنبار، وكانت المنطقة مستهدفةٌ من الصّليبيين بشدّة، فلمْ يكُن يمرُّ يومٌ أو يومان، إلا ويقومون فيه بإنزال جوّي، ومن المعروف أن هذه الإنزالات لا تحدث إلا ليلاً، فكان أبو بصير ينسحب مع إخوانه في الليل مع ضعفِ بصره الشّديد، ويعبر القناطر على الأنهار كأنه في النهار، برغم أنه من جماعة "بُلْق"! وهو اسمٌ فُكاهي أطلقَه الإخوة على الذين لا يجيدون السّباحة لأن الإنسان إذا سقط في الماء يخرج منه هذا الصوت "بلق بلق" فسُمّوا بذلك تندّرًا..

وفي الصّباح، وحين نلتقي بعضَنا ويتحدث الشّباب عن الإنزال، أسألهم: كيف أبو بصير في الانسحاب؟، وقد كنّا مقسمين على مجموعات، فيجيبون بجوابٍ حسَنْ، وحين أُخبرهم أنه لا يكادُ يرى الطَريق في الليل، يتفاجئون بذلك ويضنّونني أُبالغ، فقُلت لهم ذات مرّة: سترون الحقيقة إن شاء الله.



وفي إحـــدى اللّيـــالي، وكنتُ أجلس في الغـــالب بجواره، طلب منّي مـــاءً ليشرب، فأخذت قدح الماء ووضعته أمامَ ناظِره مباشرةً، وبقيَ أكثرَ من دقيقةٍ ولم يشعر صاحبنا بشيء، ثمَّ جعلتُ القدحَ يلمسُ وجهَه، حينَها تيقّن الشّباب من الأمر، وبعضُهم كان قدْ رافَقه أكثر من سنة، ولم يَعرف بهذه المسألة، لشّدة صْمته وحرصه على عدم تكليف إخوانه.

ومن الابتلاءات التي مرّت به، أنّه أراد الاتّصال بأهله، فوجدهم قد غيّروا منزلهم، ولم تعُد الأرقام التي يحفظها تعمل عندهم، فحاول الاتّصال بهم دون جدوى، وانقطعت أخبارُه عن أهله، وأخبارُهم عنه، فكان حينَ يذكر والديه، يشقُّ عليه أنهما قلِقان بسبب الانقطاع، ولكنّه يصبّر نفسه، ويلحّ على الله بالدّعاء لهما، بأنْ يربط الله على قلوبهما، ويكتب له الشّهادة فيشفع لهما.

لقد كان رحمه الله يحرص على طلب ال لم في الجهاد، وكان يقول دائما: (والله إنّ الله يفتح عليك في الجهاد في كثير المسائل الشيء العجيب، وصدق الله العظيم حين قال: {والذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا})، فكانت معه مذكّرة يسجّل فيها كلّ ما يراه مفيدًا، وقبل مقتله بفترة قصيرة، وهبها لي، وقال: (لعلّ الله ينفعك بها)، وحين اطّلعتُ عليها، وجدت بها فوائد قيّمة، وممّا قرأت فيها: "يوجد فرقٌ بين فعلِ المُنكر من غير رضىً واستهانة، وبين من يرضى بالمُنكر وإنْ لم يفعله، حيث أنّ فعل المُنكر الذي هو دون الكفر أو الشّرك معصيةٌ، وصاحبها إن فعلها عن هوىً وضَعف من غير رضى واستحلال يُعتبر عاصيًا ولا يكفُر، أما من رضي بالمُنكر وإنْ لم يفعله فقد



يكون واقعًا في الكفر، لأنّ الرّضى بالشّيء ضرْبٌ من ضروب الاستحلال له، وهو بنفس الوقت استقباحٌ لما هو ضده من الحقِّ)، لم يذكر المصدر.

وقد رأيتُ منه في آخر أيّامي معه زيادةً في صمْته وعبادته، وإلحاحاً على الله بالدّعاء، فشعرت بشوقه للقاء ربّه، وحين ودّعْته وخرجت إلى مكان آخر، سمعتُ خبر مقتله في مواجهةٍ مع أحذية الصّليبيين وأعداء الأمّة والدّين، شراذم الخونة من الصّحوة المرتديّن، أنزل الله عليهم صنوف العذاب، وأسكنهم قعْر جهنّم، وأذاقهم ذلَّ الدّنيا قبل الآخرة.

والله إنّي كنتُ انظر إلى وجه أبي بصير الطّاهر المُشرق وأقول في نفسي: أخزا الله من يقتُلك، فوالله أحسبُ أنّ سريرَتك أنصعُ من علانيتك، ولا نزكّيك على الله..

اللّهم يا من أبْصرَ بعينه التي لا تنامُ دماءَ أوليائه وهي تسيلُ على أرضه، اللّهم أقِمْ بها خلافةَ الإسلام وأجعلها نورًا للسّالكين وناراً للمُنكرين.

اللّهم أكتُب لأبي بصير أعلى منازل الشّهداء، واجعله شفيعًا لوالديه، واجمْعنا به في جِنان الخُلْد يا ربَّ العالمين.

اللهم صلِّ وسلِّم على نبيِّنا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين... والحمد لله ربّ العالمين.

وكتبه

عبد الأعلى المضريّ



معاذ ومعوذ ابنا عفراء (٤٣)

معاذ ومعوَّذ ابنا عفراء..

صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم القائل: (ألا إنّ رحى الإسلام دائرة)، والقائل: (بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ؛ فطوبى للغرباء).

هي ذي الحقيقة في أَوْجِ وضوحِها وشدّة ظهورها: أنّه محالٌ أن تقوم للإسلام قائمة، حتى تنطلقَ من نفس النّقطة التي انطلق منها سيد خلْق الله، ونبي الملحمة والرحمة، وليس ذلك فحسب، بل ونَدُورُ في نفس الدّائرة التي دار فيها مع الحقّ والعدْل، متحمِّلينَ غربةً عاشّها الصّدر الأول، ولا بد أن يقاسيها عَجُزُ الأمة في زمان الفتح.

وقد بدت إرهاصاتُ هذا الفتحُ تلوح في الأفق منذ أمد، وبدأت أمّة الإسلام المعطاءة تُخْرِج كنوزها، وترفعُ صدى السيئة عن كاهلها، فتلتمع شخصيّة المسلم في أبهى صورة وأحلى حُلَّة، كأنها قد خُبِّئت ليوم عرسٍ تُزَفُّ فيه، في صراعٍ وسباقٍ بينّ الحق والباطل بدا لأول و هلةٍ خاسرًا في هذه البلاد كما في غيرها، انطلقت فيه ذئاب الرّوم وفرسان العجم كالسّيل الجارف، وأبعدت في السّباق ليرقص أتباعهم نشوةً وسرورًا، وهم يشربون كؤوس خمرهم فرحًا وحبورًا، ودَمَعَتْ أعين الموحدين وازداد بكاؤهم ودعاؤهم، وهم يعلمون أنهم ما راهنوا على فارسهم الإسلامي إلا لأنّ الله أخبرهم أن العاقبة لهم و: {أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ} [الانبياء: من الآية ١٠٥].



ثمّ... وفي لقطة تأريخيّة خاطفة سكت الجميع وساد الصّمت، وألقى كفّار العجم وأتباعُهم كؤوس خمرهم، أو بالأحرى سقطت من أيديهم، وتَحَجَّرت حَناجر مُغَنِّيْهم، وبَدَت الفرحة والبسمة والأمل تعلو جباه وشفاه أولئك الموحّدين، وارتفع صوت حاديْهِم، وبدأت التكبيرات ترتفع وتعلو، وفُوْجِئَ الجميع بفرسان الإسلام وقد استوى الرّكب مع العلوج، ثمّ بُهِتَ جميعهم عندما أَعْلَن حادي الجهاد عن ميلادٍ طال انتظاره لدولة الإسلام في بلاد الرافدين.

بُهت كل كافر وحاسد، وفَرِحَ كل مسلمٍ موحد، وبدأت خيل الله تَشْتَدُّ وتسرع، وفي غمار هذا السباق والنّزال أطلَّ شابّان صغيران بلغا للتوِّ الحلُم، يتقدمان الرِّهان ويَسْبقان الفرسان قائلَيْن بلسان الحال: "وعجلنا إليك ربنا لترضى"، فكان: محمد وأحمد ابنا طَيْبة.

أو كما يسمّيهما العبد الفقير وغيره: "معاذ ومعوَّذ ابنا عفراء"؛ لأنّ رُحى الإسلام دارت فكان ولابدَّ أن يشابهَ الخلفُ السّلفَ، فجاءت الصّورة مطابقة سبحان الله، في كل حدودها وأشكالها ورموزها، وتغيّرت فقط الألوان بتغير الزمان.

فما قصّة هذين الرّجلين أو الغلامين؟



قصّةٌ في الحقيقة تُذكر، إنّها قصّة الرّجولة المبكّرة، والإخلاص والفروسيّة والشجاعة، سجيّةً وطبعًا وهِبةً ومِنْحةً، وإلا فما لصغيرين مثلهما أن يقوما بما سنذكر.

نعم هما محمّد وأحمد ابنَيْ طيبة، أخَوانِ شقيقانِ من رحمٍ طاهرة، وأصل طيّب من سلالة أسد الله، وأسد رسول الله خالد بن الوليد رضي الله عنه، وحقًا ((من شابه أباه فما ظلم)).

فما أن أدرك الغلامان معنى الجهاد، حتّى تبلورت الأخلاقُ والآداب في سلوكهما، فكانا بحقّ نِعْم الغلامين أدبًا وهدوءًا، سمعًا وطاعةً لوالديهما، خدمةً و برّاً لأمهما، وكل ما يمكن أن يوصف به من كان في مثل سنّهما، إلا أنّ الغلامين وفجأة، بدءا يُلحّان على عملية استشهادية، فكان الرّفض قاطعًا: (أنكما لم تبلغا الحُلُم)، وبدأت الأيام ثقيلة بالنّسبة للأخوين، وما أن بلغ محمّد الحلم بأيام حتى سقط أسيرًا في أيدي المرتدّين، فساموه العذاب ضربًا وسبًا وشتمًا، فكان الغلام يقول لهم: (والله إن خرجت فسوف أنفّذ عليكم عمليّة استشهاديّة)، فكان من معه في المعتقل يُسكِتونه بصعوبة خوفًا عليه.

وبالفعل خرج محمّد بعد عمليّةٍ لتبادل الأسرى قام بها أبوه البطل المجاهد "أبو محمد"، ولم لا؛ فهو أحد أركان دولة الإسلام وفرسانِها، وخرج محمّد فرِحًا بنعمة الحرّية وشاكرًا لله ثم لأبيه هذا، قائلاً: (أبي إن من نعمة الله عليَّ أن أحسن الشكر وإنَّ خير ما أشكر به ربي أن أجود بنفسي، وما كنت لأعود



إلى السّجن بعد إذ نجاني الله منه وسوف أنفذ عملية استشهادية على المرتدين).

لكنّ أخاه الأصغر (أحمد) أصرَّ على أن ينفّذ قبله، فقد سجّل في كتيبة الاستشهاديين، وله أكثر من شهرين ينتظرُ دوره، وبدأت المنافسة بين الأخوين، وأقبل الصّغير العجيب أحمد على الله بكاءً ونحيباً، فلا ينام من اللّيل إلا قليلاً رجاء القَبول والحظوة بالوصول، وطلبًا لرضا ربه ورؤيته، ومجالسة نبيّه عليه الصلاة والسلام، مستغفرًا الله من ذنب لم يعرفه ومن معصيةٍ لم تسلك سبيلاً إليه، فهو لتوّه بلغ الرّشد (أربعة عشر عامًا ونصف)، وأقبل أحمد العجيب على الله، وأكثر من الدّعاء والبكاء، وكأن الولد يحمل من الذّنوب جبالا.

وبدأ الولد يرى من آيات رحمة الله ما يثبّت فؤاده ويُبكي والديه، فكان في كلّ يوم تقريبًا يرى الجنّة والحور، وفوق ذلك يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم يستيقظ ليصف رسولَ الله لوالديه، كأنك تقرأ وصْفه في كتب السّلف، ويومًا ما وصفه أمام أحد إخوان أبيه فقال: (كانت لرسول الله شيبة)، فقال الرجل: (يا أحمد رسول الله لم يكن به شيبٌ كثير، بل مات وما في رأسه إلا بضعة عشر شيبة)، فنام في اليوم الثاني حزينًا لأن ما رآه كما قال له عمه ليس رسول الله، فجاءه صلى الله عليه وسلم في منامه ونام في حجر أحمد، فأخذ أحمد يعدُّ ما في رسول الله من الشّيب وهو نائم ثم لمّا استيقظ عجل لأبيه قائلا: (يا أبتِ والله لقد عددْت اليوم الشّيب في رسول الله،



فوجدته واحدًا وعشرين شعرة بيضاء)، وسبحان الله! هذا ما عليه أكثر ومن وصف رسول الله، وأنّى لغلام مثل أحمد بمعرفةٍ دقيقةٍ كهذه برسول الله صلى الله عليه وسلم!.

وفي ليلة من تلك اللّيالي جاءته حوريّة تختالُ عنده فتخلع القلوب وتطير العقل من الرأس، فقال لها: (أنّا كلّما أراك أحكي لأمّي عنك، ولكنها لا تصدقني لم لا تعطيني دليلاً منك أريه لأمي)، فأخذت شعرةً من شعر رأسها وأعطتها له ثمَّ وضعها هو في جيبه، وفي الصّباح سألته أمّه: (ها يا أحمد، ماذا رأيت الليلة؟)، فقال: (الشّعرة)، وأسرع إلى جيبه، لكنه لم يرها، فانكسر قلبه واشتدّ حزنه، وحكى لأمّه ما جرى في الرؤيا، فطيّبت نفسه وأشفقت عليه.

وفي الليلة التالية رأى نفس الحورية، وقال لها: (لقد أعطيتني شعرةً من شعرك لكني لم أجدها)، فأخذت شعرة من شعر رأسها، وفي دليل يخلع القلوب، نفخت فيها فطارت، وأراد أحمد أن يلتقطها، فقالت له: (دعها، ستجدها إن شاء الله في المصحف بسورة الكهف).

واستيقظ أحمد وكعادة أمه سألته، فإذا به يقول: (المصحف، المصحف)، وأخذت أمه واحدًا وأبيه وهو، وقال: (الشّعرة في سورة الكهف)، وفتح هو مصحفه فوجدها بين صفحات سورة الكهف، نظرت إليها أمّه والعجَب يملأ قلبها، وكذلك دُهش أبوه.



فأخذ المصحف وذهب به إلى الأخ المسئول الشرعيّ في منطقته، يحكي له الرؤيا إلى أن وصل إلى قصّة الشّعرة، فقال: (ها هي الشّعرة إن كنت لا تصدق)، وفتح المصحف ليريه إياها، لكنه فوجئ ودون سابقة إنذار بريحٍ هبت وطارت بالشعرة من المصحف، فلم يرها الأخ الشرعيّ.

ولمّا حكى لنا أبوه الرؤيا تعجبنا منها حتى وصل إلى قصّة الريح والشعرة، فقال رجلٌ مفضالٌ كان معنا: (سبحان الله، أتدري يا أبا محمد لماذا أخذت الرّيح شعرة عروس ابنك، لأنّه لا يحلّ لصاحبك أن يراها ويحلّ ذلك لك، فما كان لك أنِ تهتك ستر عروس ابنك، وحفظ الله شعرها أن يراه غيرُ ذي مَحرم).

وصف أحمد الجنة كما رآها في المنام وصفا عجيبًا، فكان مما وصف أنه دخل بيتًا عبارة عن درّة من ذهب، ليس له باب، فقيل له: أدخل يا أحمد، فقال: من أين أدخل؟، قيل له: سمِّ الله وادخل. فوضع يده على القبة فانفتح فيها باب ودخل، وقال: (كلما أردت أن أدخل أو أخرج من مكان، فقط أضع يدي على المكان فينفتح فيه باب)، وقال: (رأيت يا أبت عجبًا في الجنّة، رأيت نهرين من حليب وخمر، لكن العجب أنهما ليس لهما ضفاف، بل تجري على سطح الأرض ولا تنساب يمينا ولا يسارا)، وقال: (كلما جيء لنا بطعام في الجنّة يكون من الطّير فإذا أكلنا جاء اللّحم فدعا العظمَ ثم الرّيشَ، ثم تطير مرّة أخرى!).



وكان من أكثر ما أثار العجب فيما روى هذا الفتى، أنه رأى يومًا رؤيا عظيمة، فيها وصفٌ لعرش الرّحمن، وهو يقينًا -وأنا أعرفه وأعرف أباه- لا يعرف شيئًا عن هكذا مواضيع، فوصَف أحمد العرش بعدما طار إليه هو والشيخ أبو مصعب والأخ يحيى أبو الحسن الشّرعي، المذكورة قصّته سابقًا في سير أعلام الشهداء، وبرهان على صدق الرّؤيا كان معهم أخ رابع كنيته "أبو أحمد"، لا يعرف الفتى ولا أبوه أو المقربون منهما اسمَه الحقيقيّ قطّ، رآه صاحبنا معهم باسمه الحقيقيّ وكنيته، حتى عندما ذكر أبوه الرؤيا لأبي أحمد، تعجّب الرّجل وقال: (سبحان الله! أسألك بالله هل تعلم اسمي قبلا؟!)، قال: (والله الذي لا إله إلا هو لا أعلمه)، وكذلك ولده أقسم على ذلك، فعلم الجميع أنها رؤيا صدق إن شاء الله.

رأى أحمد أنه طار ومن معه، ومع كل واحد منهم اثنتا عشر حورية، قال: (فطِرنا إلى أن وصلنا إلى مسافةٍ عند إحدى قوائم العرش ولم نصل الى منتهاه، فقيل لنا: نطيرُ إلى القائمة الأخرى فطِرنا مسافة طويلة)؛ يقول: (قدرتها أنا بنحو ستّ ساعات لكن من غير تعب ولا نصب)، قال : (فقيل لنا نطير إلى أعلى)، قال: (فطِرنا زمنًا طويلاً من غير تعب، حتى وصلنا إلى ياقوتةٍ زرقاء كبيرةٍ جدًا وعليها كتابة. أوّل من قرأ ما عليها الشّيخُ أبو مصعب، فما أن قرأها حتى أُغميَ عليه، وهكذا كلّ من يقرأ يُغمى عليه)، وقال: (وأنا أنظر ولا أعرف ما هو مكتوب، وماذا حدث لهم حتى جاء عليَّ الدور، فإذا مكتوبٌ عليها "عرش الرّحمن")، قال: (فما أن انتهيت من قراءتها حتّى أغمي



عليَّ، فجاءت الحور فأيقظتني، ثمّ أيقظت من معي، وقيل لنا هيا نطيرُ إلى أعلى)، وإلى هنا أعتذر عن الاستمرار، فما ينبغي لمثلي أن يعدو قدره ويحكي هكذا رؤيا، وإني أتهيّب ما زاد على هذا الحدّ، فليعذرني إخواني، وليدعوا لأحمدَ بالعلوّ والرّفعة.

دخل علينا رمضان ١٤٢٨ للهجرة، وفي السابع والعشرين منه، تقدم محمّد نحيلُ الجسم عظيمُ الاطمئنان، بشاحنة مملوءة بالمتفجرات، إلى وكرٍ من أوكار الردّة، ومنطقة لم يسْبق أن فُجّر فيها، أو نُفِّذت فيها عملية استشهاديّة، فأحالت مركز الشّرطة والردة إلى أثرٍ بعد عيْن، وكسرَ الله المرتدّين في هذا المكان، وبعد ساعات من ذلك تقدّم البطل أحمد إلى مبنىً ووكرٍ من أوكار الردّة آخر، فكبّر وفجّر نفسه وحصد أكثر من ست وعشرين مرتدًا فالله أكبر وله الحمد حمدًا كثيرًا.

ولا نقول لأمّهما (طيبة) إلا أن اصبري واحتسبي الأجر والثواب، وعلمتُ أنها طلبت هي الأخرى عمليّة استشهاديّة، إلا أن القائمين بالأمر لم يوافقوا على الطّلب، لأنّ النّساء يُمنعن إلا في ظروف ضيقة جدًا، حيث يتعذّر على الرجال القيام بمثل هذه العمليات... وفي طيبة وعزاءً لها، كتبت بعض مشاعري ولا أدّعي أنها شعر فقلت:

أمّ الشهيد

بلِّغ سلامي للعفيفةِ طيبة *** أكرِمْ بها من حرّةٍ وحسيبة



أبكتْ عيوني بالمكارم جودًا *** هل بعد نفسٍ رضيعها فتطيبه

تبغي الثّواب من الكريم جزيلاً *** ترجو دوامًا للحياة بطِيبة

كانت تحب صغيرها فتذاكرا *** كيف الفِراق ولا فراق نُصيبه

قالت بنيّ إلى الجنان ترفرف *** تلك الديار ودونها فمُصيبة

أسرع بنيّ إلى المعالي شامخًا *** إني وراءك فالحياة عصيبة

أكرم أباك فلا يراك في الشّقا *** وأخلص لربك بالرجاء تجيبه

فمضى الصغير كالشمسٍ مشرقة *** قالا وداعًا فالجنان رغيبة

وفي ختام قصتي هذه يبقى السؤال: هل قُتِل محمد وأحمد ابني طيبة وإخوانهما تحت راية عميّة باطلة كما يدّعون؟..

وهل مثل محمد وأحمد منتحرين في جهنّم، كما يدعي علماء السلاطين أو الشياطين!...

وهل ستذهب هذه الدّماء سدى، أو يخزيها الله ويخزى حملة الراية بعدها..؟!

وفي ختام مقالتي هذه أسأل الله أن لا يحرمني أجر ولَديّ محمد وأحمد، فقد بلغني أنهما كانا سعيدين بأني كنتُ يومًا ما أدرّسهما القرآن، وأسأله أن لا يخيّب ظنّهما بعمّهما، ولا يفتني بعدهما، وأن يحشرني وإيّاهما في مقعد صدق عند مليك مقتدر.



أبو حسن الصنعاني (٤٤)

من أهل اليمن ...

ليثٌ هادئٌ بطبعٍ حازم ...

غيورٌ ذو عقيدة نقيّة لم يُداهن عليها ...

اسمه أنور نجيب الشّعري، في منتصف العقد الثّالث من العُمر، دفعته غَيرته على الدّين لدخول العراق مع مَن دخلها قبل سقوط بغداد، لكنّ إيمانه الصّادق وفِطرته السّليمة منعته من البقاء لعدم وضوحِ الرّاية، وقد صحّ عنده قولُ إمام المجاهدين عليه الصلاة والسّلام: (من قُتل تحت راية عميّة فقِتلةٌ جاهليّة).

درس في مجال الطبّ كمساعد طبيب أسنان، ولكنّ قلبه ظلّ معلّقا في أرض الجهاد، ينتظرُ الفُرصة ويترصّد الأخبار القادمة من هناك، حتّى إذا ما توضّحت الرّاية، وتعالى صوتُ المجاهدين في سبيل الله بعد سقوط حُكم "البعث"، لم يستطع الانتظار أكثر، فكرّ راجعا إلى هذه البلاد، ولسان حاله يقول: {وعجلتُ إليكَ ربِّ لترضى}.

وصل العراق بين الفلّوجتين، ولما انتظم في مفارز القتال، دَهمته ملْحمة الفلّوجة الثّانية، فكان من أهلها الثّابتين الذين قدّر الله لهم الحياة، حيثُ وقع أسيراً لدى الصّليبيين، وقَضى في مُعتقلاتهم ما يزيدُ على العامين حتّى استقرّ في سجن "بادوش" في الموصل.



وهناك منّ الله عليه بالفرج، فكانَ من الذين كُسر قَيدهم في الغزوة الشّهيرة التي فكّت أسر الرّجال وحرّرت اللّيوث من القيود في سجن "بادوش"، فخرج صاحبنا كغيره يحملُ من الهمّة والعزْم أضعاف ما كان يحمل قبل أسْره، واستقرّ به المقام في مدينة سامرّاء حيث تخصّص في مجال الإسناد الجوّي بعد أن تخرّج من دورة على سلاح المدفع الأُحادي المضادّ للطّائرات، فشهد بهذا السّلاح المواقع والغزوات، وعُرف بين أقرانه بالإقدام في مواطنِ الموت، كلما سمع هيعةً أو فزعةً طار إليها يلبّي، فشهد غزوة "ربعيّ بن عامر"، وغزوتي "الزّبير" و"المتوكّل."

ثم انتقل إلى قسم "الهاون" ولازَم ذلك العمل، وتفانى فيه إلى حدّ يثيرُ العجب، وكان من صوَر ذلك أنّه يستخدم مِدفع الهاون عيار ١٢٠ ملم بدون ركيزة، وهذا أمرٌ صعبٌ جدا بسبب حجم الماسورة الكبير، ورَدّة الفعل القويّة عند القذْف، حتّى أنه في إحدى الواجبات سقَط على وجهه ثلاث مرّات من قوّة ردة الفعل، وهو يقول: (اللهم أحسن خاتمتي بالهاون).

كان أبو حسن يحملُ من الأخلاق وسلامة القلب ما يثير العجب، كثير المُسامحة لإخوانه ولا يحملُ في قلبه حقداً على أحد، وتجدُ صفاء الفِطرة ظاهراً على وجهه لكلّ من يراه، يعتني بشؤون إخوانه في كلّ شيء ويحرص على خدمتهم حتى في المطبخ، وكان كثير السّعي للزّواج والحديث عنه حتى عوّضه الله بخير ممّا كان يطلبه في الدّنيا.



تأثّر كثيراً بمقتل صديقه ورفيق دربه أبي رواحة المدني، فضاقت به الدّنيا وزاد حِرصه على نيْل الشّهادة، فأخذ بأسبابها مع زميله نسيم، حتى قال له في إحدى الغزوات (أسأل الله أن نُقتل معاً)، وحصل ما تمنّاه صاحبنا، فنال الشهادة في سبيل الله نَحْسَبه صَدَق الله فصدَقهُ، وقُتل مع نسيم وهما يقتحمانِ إحدى نِقاط التّفتيش في غزوةٍ انطلقت في ليلة وِترية من العشْر الأواخر لشهر رمضان من عام ١٤٢٨ للهجرة، فرحمه الله رحمةً واسعة وأسكنه وإخوانَه فَسيح جِنانه.

وكتبه

أبو عبد الملك



أبو زهراء العيساوي (٤٥)

المستشارُ الوزير، أبو زهراء علي العيساوي، العاملُ الهُمام، والشّهم الكريم، الشّاعر الخفي النّقي..

من مواليد مدينة الفلّوجة، عرف الحقّ والتزمه في وقت مبكّر، والتحق هو في جمعٍ من صحْبه منهم البطل أبو الحارِث العِيساوي والقائد أبو عزّام العراقيّ بالشّيخ أبي مصعب رحمهم الله جميعا، فبايعوه ولزِموا غرزَه، وتلاقَت الأنفسُ الأبيّة والهِممُ العاليةُ على هدفٍ واحدٍ؛ وهو بناء دولةٍ للإسلام، يُعزّ فيها أهلها وتُرفع فيها رايةُ التّوحيد.

كتب الله لصاحبنا من الصّفات ما أصاب بها حظّاً عظيماً من اسمه، فكانَ عزيزَ النّفس كريماً، مُقبلاً على عظائم الأمور مترفّعا عن سفاسفها، ذكيّاً فطِناً حكيماً ذو رأيٍ سديد، ما أن لقِيَه الشّيخُ الأمير أبو مصعَب حتى صار من أهل مشورته المقرّبين، فكان ممّا يعتزُّ به أبو زهراء موقفٌ لا يفتأ يذكره مع الشيخ الأمير رحمه الله، ففي إحدى مجالس الخير حيث اجتمع إخوةُ الجهاد يتناقشون أمورهم وكان صاحبنا يجلس بجانب الشيخ أبي مصعب، قام الشّيخ بنزع خاتمَه وألبسَه لأبي زهراء هديّة لم يزل يعتزّ بها ويقول: (لقد حَسدَني يومها كلّ الإخوة الحاضرين).

وأصبحَ بيتُ أبي زهراءَ مفتوحاً للمجاهدين وخاصّة المهاجرين الأوائل أمثال الشّيخ أبي أنس الشّامي والشيخ أبي محمّد اللّبناني وغيرهم من الرّعيل الأول،



فكانَ ممّن وضعوا اللّبنات الأولى في بناءِ الجماعة التي فتحت على أهل الإسلام باباً عظيمــا للخَــير، فللّــه درّهم وعلى الله أجـرُهم، ونســألُ اللهَ أن يُجزل لهم العَطاء، ويجزيهم عن الأمّة خيرَ الجَزاء.

استمر حبيبنا في درب الجهاد في سبيل الله حتّى قدّر الله عليه الأسْر، وعرِف الصّليبيون منزلته عند الشّيخ الأمير وأنّه جزماً يعلم مكان تواجده، فعرضوا عليه جائزتهم المبذولة لمن يُدلي بمكان الشّيخ، جائزة يتقاتلُ أهل الدّنيا على أقلّ من عُشرِ مِعشارها وهي خمسةٌ وعشرون مليون دولاراً، فصبر على هذا الابتلاء وذاقَ على أيديهم ألوانَ العذاب متنقّلا بينَ سجونهم حتى استقرّ به المقامُ في سجن قلعة "سُوسة" المحصّن شمال العراق..

وهناك أبَت نفسُ أبي زهراء -رحمه الله- أن ترضى بواقعِ الأسْر وتُسلّم له، فخطّط للهروب من هذا المكان الذي أحاطَه الصّليبيّون بكلّ أسباب التّحصينِ، ونجحَ بذلك بصورةٍ أذلّت عبّاد الصّليب وأغاظتهم، فأصبح بعدها على رأسِ قائمةِ المطلوبينَ لجيش الصّليب والحكومة المرتدّة.

وفي عام ١٤٢٨ للهجرة النبويّة كُلِّف من قِبل أميرِ المؤمنين أبو عمر البغداديّ ليكون وزيراً للإعلام بدولة العراقِ الإسلاميّة، فكان لها أهلاً حيث اجتمعت فيهِ صفاتُ الأديبِ الحصيف والشاعر الحكيم والعامل الهُمام الذي لا يكلُّ ولا يملّ، وعُرف عنه أنه بعد هذا التّكليف لم يفارق المسدّس جنبه في كلّ أوقاته، وقدّر الله لقائي به في منزل واحد عدّة مرّات، فأراه تعِباً مهموماً من ثقل هذه الأمانة التي وهبها كلّ وقته وتفكيره، خاصّةً في المرحلة الحرجة التي



مرّت بها الدّولة الإسلاميّة في ذلك الوقت والتي ترافقت مع حملةٍ شّرسة لضربِ إعلام الدّولة الذي قضّ مضاجعَ الإدارة الأمريكية وأحرَج جيشها في العراق.

فكان أبو زهراء لا يقرّ له قرار حتى يذهب بنفسه رغم أنّه مطلوبٌ باسمه وصورته، وكان حينها مفارقاً لأهله وأبنائه ويخاطر بخروجه الكثير يصولُ في أحياء بغداد وغيرها ليرى الإخوة ويدير أمورهم ويرفع هممهم، وكنتُ اسمعه يردّد دائما: (اللّهم إنّي أشكو إليك ضَعف قوّتي وقلّة حيلَتي وهواني على النّاس)، وأصبح بسبب نشاطه من أشدّ المطلوبين للصّليبيين وشركاتهم الأمنيّة القذرة.

رغم ذلك كلّه لم تُفقده هذه الأوضاع صفاته العالية في الكرم والشّهامة، وقد حدّثته يوماً عن حال أرملةِ مُجاهد محتاجة، فغضِب وقال: (مادامَ أنفي يشمّ الهواء فلن أدَعها تحتاج لشيء)، وتكفّل بأمرها رحمه الله رحمة واسعة.

وأمّا حبّه لإخوانه فكان كالأبِ الحَنون، يحبّهم ويسألُ عن أحوالهم، ويُمازحهم، كان طيّب المعشر، سهلاً متواضعاً لإخوانه وأحبابه، ولئِن سألتني عن صلاته فإني والله لم أرَ مِثله حين يقف بين يدَي ربّه، فتراهُ خاشعاً مرتجفاً باكياً نحسبُه والله حسيبه.

وأما همّته في العمل فلا تسأل عنها، يخرُج صباحاً ويعود ليلاً أعيَتْه المشقّة، ورغم كثرة الأغطية فإنّه يبرُد من شدّة التّعب، وهمّه أنْ تعلو رايةَ التّوحيد،



وأمنيته أنْ يرضى الله عنه، فكان يقول: (لا أريد أيّ شيء، فقط أريد أنْ يرضى الله عزّ وجلّ عنّي).

كثيراً ما يذكُر رفاقَ دربه الأوائل ويقول: (أنا لا خيرَ فيّ فلا أزالُ حيّاً وهُم قد نالوا الحُسنى)، وظلّ على هذه الحال، حتّى نصب لهُ مرتزقة (بلاك ووتر) كميناً لأسْره، فكانَ باسلاً مِغوارا آثر المنيّة على الدنيّة وأبى أن يُؤتى المسلمون من قِبله، وجاءَ دورُ المسدّس الذي لم يكن يفارقه، فقُتل على أيديهم رحمه الله تعالى وأجزل له الثّواب.

وقد دُفنَ جسدُ صاحبنا في مقبرةٍ للرّافضة، وحرص أهله على نقله بعد أن تعرّفوا على جُثمانه فكانَ لا يزالُ كما هوَ لم يعتريه شيء بعدَ أكثرَ من عام، فلا يزالُ ثغرُه باسماً وسنّه الأماميّ الذي كان يتحرّك في حياته لا يزال يتحرّك بعد خروجه منها، جسده دافئ ودمُه دافقْ،

فعليكَ رحماتٌ وبردٌ وسلامٌ من الكريمِ السّلام في جنان الخالدين، وإنْ حقّ للعينِ أن تدمع فعلى مثل هؤلاء الرجال العظام فلتبكِ البواكي..

يا فارساً ضَرب البلادَ بِعرضها *** وبطولها يرجو رضا الدّيانِ

ثبتاً جسوراً طيباً ذا شيمةٍ *** كالأسْد وثْبته في ملّة الكفرانِ

يا راكباً ظهرَ الصّعاب بهمةٍ *** يبغي جوار الواحد المنانِ

أذللتَ عُبّادَ الصّليب ومن لهم *** صاروا كعبدٍ خادم متفانِ

أنت الكريم الحرّ خَصمُك قدْ *** باء بالطّغيانِ والخُسرانِ



أبشر أبا الزّهراء دينُك قدْ عَلا *** في دولةِ الإسْلام والفُرسانِ

وكتبه

أبو عبد الملك



أبو ميسرة العراقي (٤٦)

ضحوكٌ بسّامٌ ضرغامٌ هُمام، مُحبّ للعلم وأهلِه، عُرف بدعوته للتّوحيد ومُفاصلة أهل الشّرك والتّنديد، والتّشهير بالمرجئة المُبتدعة، وكشْفِ زيغهم والردّ عليهم...

ولد رحمه الله في مدينة الكاظميّة في كرخِ بغدادَ، من عائلةٍ تعتنقُ الترفّض عقيدةً ومنهجاً، وتنتسبُ لبيتِ "السّعدي"، انتقلت عائلتُه فيما بعدُ لحيٍّ آخَر من أحياءِ بغدادَ لتستقرّ قُرب مسجدٍ من مساجِد أهل السّنة، فما لبثَ أخُونا أن التحقَ بدُروس تحفيظِ القُران، لينشأ في طاعةِ الله في ظِلال المساجدِ وأكنافِ أهل العلم وطلاّبه.

تعلّم التّوحيد وعمِل به وعلّمهُ أهلَه، فشَرح الله صدُورهم للتّوحيد كما شرح الله صدرَه، ثمّ التحَق على صِغَر سنّه بدروس الشّيخ المسند صُبحي البدريّ، فقرأ عليه: الحديثَ المسَلسل بالأولية، والأربعين النّووية، والمنظومةِ البيقونية، ومختصرَ علومِ الحديث، ونُزهة النّظر شرحُ نخبة الفِكر، والصّحيح الجامعِ للإمام البخاريّ، وكتبٍ أخرى..

واستمرّ صاحبُنا في طلب العِلم من أهله، فقرأ عليهم التّجريد الصّريح للزّبيدي، والشمائل المحمدية للترّمذي، وحضر دروساً في شرح صحيح الإمام البخاريّ، و "عونُ المعبود شرْح سنن أبي داود" وقد نالَ إجازةً عامّة بتلك المرويّات.



وقرأ في الفقه والأصول أغلب ما في كتابَي "المحلّى" و"الإحْكام في أصول الأحْكام" للإمام " أبي محمد ابن حزم" وتأثّر بمذهبه تأثّراً كبيراً، وقرأ في النّحو والبلاغة والصّرف والمنْطق والمُناظرة.

حضر دُروس مشايخ وطلبةَ عِلم آخَرين ونهل من عِلمهم، منهُم الشيخ المُجاهد "محارب أبو عبد الله الجبوري" رحمه الله وأسْكَنه فَسيح جنّاته.

لم يمنعه طلبُ العِلم وحلَقات الدّرس مِن العَمل والدّعوة والصّبر على الأذى، فقد التحَق مبكّرا بجماعةِ الموحّدين في بغداد قبل أن يترُكهم، وعمِل في مجال الدّعوة إلى التّوحيد الخالص، ومُفاصلة المُشركين، والعمل على إقامةِ مشروعِ بِناء جماعةٍ جِهاديّة..

وتمّ له ذلك، فقامَ هو ومجموعةٌ من رفاقِه بتشكيلِ نواةٍ عِلمية كخُطوة أوّلية لبناءِ جماعةٍ جِهادية، استمرّت بِضعة أشهُر ثم يقدّر الله لها أنْ تقَع في قبْضة مُخابرات طاغوتِ البعثِ "صدّام"، ولم يُفرَج عنهم حتّى قُبيل الغزو الصّليبي على العراق فخرج رحمه الله من السّجن أكثر وعياً، وأخبَر بشئون العمَل الجماعي، وأحْرص على أنْ لا يؤسر مرّة أخرى، فإنه (لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ)، ومن صدقَ اللّهَ صدقَه.

سقَطت بغدادُ بيد الغزاةِ الصليبيّين الجدد، وأقبَلت أمريكا بخيلِها ورَجِلها، ترفع آلهتها "الديمقراطية" وتحمِل النّاس على عبادتها، فاستجابَ لها خوَنة العرَب



والعجَم، وانتَفض أهلُ الإسلام ليذُودوا عن الدّين، فكانَ أبو ميسرة العِراقي من أوائِل النّافرين،

يا خَيل الله اركَبي ويا فَوارس الإسلامِ قوموا.

بهذا طافَ أبو ميسرةَ على أصْحابه، فجدّ واجتهد ونَفع الله به، وما هيَ إلا أيّامٌ والتحق بالطّليعة الأولى لجماعةِ التّوحيد والجِهاد، فكان رحمه الله مقرّباً من الشّيخ أبي مصعب ألزّرقاوي رحمه الله، وكان محبُوباً عند من عرِفَه، وكُلِّفَ بعد الإعلانِ عن الجَماعة نائباً لمسئولِ القِسم الإعلاميّ، وناطقاً رسمياً عنِ الجماعةِ على شَبكة الإنترنت والمنتديات الجِهاديّة اعزّ الله رجالها، ليلتفّ حوله الجيل الأول من المرابطين على ثغْر شبكة المعلوماتِ الدّولية.

وفي هذه الأيّام بلغ صاحبنا سن الرّابعة والعِشرين وبدأ يفكر بتكوين بيتٍ مُسلم، فاختار لذلك أختاً كريمةً من خِيرة النّساء، يصدُق عليها أنّها من حفيدات الخَنساء، فاستخارَ واستشار ومضى إلى مُراده، فخطبها وعقَد عليها ولم تبقَ إلا ليلةَ العُرس، فأراد أبو ميسرة أمراً وأراد الله له خيراً منه.

مضى صاحبُنا في درْبه راجياً عفوَ ربّه، وتعاهَد هو وثلاثةٌ من أصحابه: "أبو سُفيان حَسن الزّيديّ، وأبو عبد العَزيز، وأخٌ آخر أنسيته" على عدم الاستئسار، والقِتال حتى الشّهادة، فصدَقوا جميعاً فيما تعاهَدوا عليه نحسَبهم والله حسيبُهم، ووفّى صاحبُنا عهدَه بعد أن حاصَر الصّليبيون المِسكن الذي يجمَعه مع صاحِبه أبي عبد العَزيز، فاشتبكوا مع أعداءِ الله، وأوقَعوا فيهم



النّكاية، غيرَ أنّهم كانوا على موعدٍ مع الشّهادة، ليرتحلَ أبو عبد العزيز أولاً، ثم يلتحقُ به صاحبُنا أسدُ الأعلامِ أبو ميسَرة العِراقيّ، بعد أن أصابته شظايا قنبلةٍ يدويّة رماها أعداءُ الله عليه.

أخبرني أحد الإخوة أنّه لما كانَ في سُجون الصّليبيين، عرَضوا عليه صورةَ أبي ميسَرة العراقي مقتولاً، يقول الأخ: (والله ما رأيتُ وجهاً مثلَ وجهِه، وإنّ نُور الشّهادة لظاهرٌ عليه، فزادني الله بها ثباتاً ورَبط على قلبي. كانتْ الإصابةُ في الرّأس، والدّم نازلٌ على وجهِه، وكأنّه نائم، ومنظَرُه يُثبّت الله به الأفئدة).

تالله يا أبا ميسرةَ لقد آثرك اللهُ علَينا، واصْطفاك من بينِنا، ونَشهدُ أنّك عمِلت بما علِمت، ووفّيت بما عاهدْت، فرحِمك اللهُ رحمةً واسعةً، وأنزَلك المنازلَ العاليةَ منَ الفِردوس الأعلى من الجنّة، وجمَعنا وإيّاك في جنّات النّعيم إخواناً على سُررٍ متقابِلين..

شوقاً إليكَ تفيضُ منهُ الأدمُع *** وجوى عليكَ تضيقُ عنه الأضلُع

وكتبه

أبو عبد الملك



محمّد بنْ سعود المطيري "البتّار" (٤٧)

لله أمّـاً أنجبتـكَ، ومِن مَعين العقيـدة الصّـافية روتْـك وسـقتْك، فكنتَ ناخِـل الصّدر صدُوق اللّسان، مُحيّاك يجْلو عن النّفس همّها، ويبدّد حزنها، عرفتُك قبلَ الهجْرة بعدّة سنواتٍ شاباً تعصفُ به الدّنيا تُجاذبه حيناً ويُجاذبها أحياناً...

لكنّـك كنتَ رغم ذاكَ رجلاً تمنعُه شيمته ومُروءتـه عنْ الكثير من الـذّنوب والمعاصي، عرفتُك شُجاعاً مقداماً وفيّاً ذا تربيةٍ فريدة وفِطرة سليمة.

فِراقُك مثلُ فراق الحـياةِ *** وفقدُك مثلُ افتقاد الدِّيَمْ

عليك السلامُ فكم من وفاء *** أفارق فيك وكم من كَرَمْ

محمد بن سعود المطيري "البتار" من قرية حاذة في أرض الحجاز، صدقَ اللهَ فصدقهُ نحسَبُه ولا نزكّيه على الله..

رأتْ عينُـه الكثيرَ من الأحـداثِ والتقلّبـات، كـانَ لها الأثرُ الكبيرُ في نفسـه، ومِنْ ذلك تجربتُه في السّجن، والتي لمْ تكنْ في سبيل الله، وإنّما لشِجارٍ بينه وبينَ شـابٍّ مثلِـه قبـعَ على إثْرهـا مسـجوناً عـدّة أشـهُر، أبصـرَت عينُـه صـنوفاً من الشّباب المقصّر في جنْب الله، ولأنه رجلٌ ولِد ونشَأ في أسرةٍ صالحةٍ مجاهدة – لنـا معهـا وقفـة – كـانَ لها الأثـر البـالغُ على تكـوين شخصيّته وتفكيرِه، لـذلك وبعد هِداية الله تعلّم الفرْق بينَ الخيْر والشّر، وعلمَ فضْل الله عليه حينَ أنشأه في كنَـف هـذه الأسْـرة الطّـاهرة، حينَهـا علمَ أنّ هـذِه الـدّنيا وملـذّاتها مـاهيَ إلا



كسمادير الأحْلام ما تلبثُ أنْ تَنْقشع فلا تتمسّك منها بشيء، وحينَها أيضاً راجعَ نفسهُ جيّدا ورجعَ إلى ربّه تائباً آيباً عابداً...

الأسرة المباركة..

أسرةٌ أسّس بُنيانها أمٌّ صالحةٌ طاهرةٌ حصينةٌ رزينة، أخذَت على عاتقها تربيةَ أبناءِها التّربية الصّالحة، فلمْ يكُن همُّها أنْ يكونَ لها أبنٌ مهندسٌ أو طيّارٌ أو طبيبٌ وهو أجوفُ من الدّين ملوثٌ في العقيدة، بل كان همّها الأكبرُ غرسَ العقيدةِ الصّافية في قُلوبهم وتنشأتهم عليها، وقد وفّقها الله لذلك وعلِم صدْق نيّتها- نَحسبُها والله حسيبُها- فأكْرمها بشهادةِ اثنَين من أبناءِها؛ أحدُهم رفيقُ درْبي وخليلُ قلْبي، صاحبُ الهمّة العالية والعزيمةِ الصّادقة، (راكان أبو الوليد)، والذي قُتل على الأرجح في معارِك الفلّوجة الأولى، والثّاني البطلُ الصّنديد والمُغامر الفَريد الجَسور الذي لا يروع عندَ همّ (سامي) الاسمِ والنّفس، دخلَ العراق قبل الفلّوجة الأولى مع أخوه راكان، وبقي فيها شَهرين، ثمّ أرجَعه الإخوة إلى جزيرة العرَب لعملٍ معيّن، وسُجن هناكَ ثمانيةَ أشهُر، ثمّ عادَ بعدَها إلى العراق وبقي فيها فتْرة قليلة، نَجا فيها من قصفٍ استهدفَ المنزلَ الذي كانَ يسكُنه، أنْجاهُ اللهُ ليومٍ مشهودٍ، وعادَ بأمرٍ من الإخوةِ إلى الجزيرة وبقي فيها أيضاً فترةً قليلة، شارك فيها إخوانه هناكَ في بعضِ الأعمال، وقدّر اللهُ له الأسْر من جديد هو وأخوهُ الأكبرُ (صالح)، فبدأ يفكّر بالهروبِ من السّجن من أوّل يومٍ دخل فيه، وبعدَ دارسة لثغراتِ السّجن خطّط لذلك، وبالفعل تمّ لهم مّا أرادوا، ويحدّثني سامي أنّه كانَ على يقينٍ بالله أنّه سيتمكّن منَ الهرَب، وقد



هدّد مديرَ سجْن "علشية" الخبيث (أبو تركي) بالقتْل إذا قدّر الله إخراجه، مع العلْم بأنّ مثلَ هذا التّهديد الصّريح قد يَزيد من قضيّته تعقيداً، لكنّه كانَ على يقين بأنّ اللهَ سيمكّن له ويُيسّر عليه، وممّا قال لي أنّه كان يكتُب اسمه على جُدارن السّجن ويقول (تذكّروا أبو تُراب المطيريّ).

وبعد أنْ منّ الله عليه بالخروجِ مكَث في الجَزيرة معَ مجموعةٍ من الإخوةِ الفارّين من السّجون، وكانَ أميرُهم الأخ المجاهد (محمد الجليدان) رحمَه الله، وشكّلوا خليّة للعمل في الجزيرة ولم يكتُب الله لهم طُول البقاء فاصطفاهُم الله تعالى للشّهادة رحمهم الله جميعا..

وبعد مقتلهم نفَر بطلُنا محمّد إلى أرضِ الرّافدين، واستقرّ في ولاية الشّمال وبدأ العمل كإعلاميٍّ ميدانيّ، وفي أوّل أيّامه وقَع في كمينٍ للمُرتدّين في أحد أحياءِ الموصل، فاشتبَك هو ورفيقه معهُم وأُصيب بعدّة طلَقات في رِجله، وما لبِث أنْ شفاهُ الله ثمّ عادَ إلى عمله، وبعدَ دخوله بشَهرين حصل أوّل لقاءٍ بيني وبينَه في الصّحراء، وكنّا في ضيافة أمير الشّمال الشّيخ أبي قَسورة المغربيّ رحمه الله، وحينَ رأيتُه حمَدت الله كثيراً على فضْله فكانَ لقاءً حميماً تأثّر كلّ الحاضرين به، ومنذُ ذلكَ اليوْم ونحْن مترافقَين إلى ما قبْل مقْتله بأُسبوع، حيثُ خرج من موقعنا إلى موقعٍ آخرَ تعرّض للمُداهمة والحِصار فاشتبَك معهم وقُتل مقبلاً غير مدبر عليه رحمة الله.

كانَ يتمنّى منَ الله أنْ يُقاتل الطّواغيت في جزيرةِ العرب، وكانَ من أشدّ النّاس كُرها لهم.



حمَل بين أضلعه قلباً صافياً نقيّاً، فما في قلبه ينسل على لسانِه الطّاهر، كانَ رحمه الله منْ أعفّ النّاس لساناً وعيْناً، صاحبَ حياءٍ شديدٍ، صدوق القَولِ والعمَل، سخيّاً معطاءً، مهتمّاً بالمسائل الأمنيّة كثير الاطّلاع عليها، يحبّ تعلّمَ كلّ شيءٍ يفيدُه في ميدانه، فكان بارعاً في استخدام الحاسب الآلي كما كان مُتقناً للتّزوير وقد فَتح الله على يده الكثيرَ من الأمور التي لا تزال إلى يومِنا هذا ونحن نَنْعم بها..

والآن يا محمّد يا حبيب القلْب: نَمْ قريرَ العيْن مُرتاحاً، فلا فزعَ بإذن الله بعد اليوم، ولا همٌّ ولا نصَب، نَمْ أيّها الطّاهر الزّكي نومةَ العرُوس، فلقَد كنتَ على وشْك الزّواج في هذه الدّنيا، لكنّ الله سُبحانه أرادَ لكَ غيْر ذلك، أبْشر والله فإنّي أحسَبُك ما خرجْت من ديارك لدُنيا أو مَتاع، ولكنّك ابتغيتَ وجهَ الله وإعلاء كلمته، فأسألُ المولى الغنيّ الكريمَ البرّ الرّحيم أنْ يُعطيك خيرَ ما أعطى شهيداً في سبيله، وأنْ يجعَل قبْرك روضةً من رِياض الجِنان.

وداعاً يا أكرمَ الرّجال ولكن إلى لقاءَ، والله إنّ فراقَك صعبٌ وبُعدُك لا يُطاق، ولكن هذه حالُ الدّنيا لا تدومُ على حال..

سيبقى لكم في مضمر القلب والحشا *** سريرة ود يوم تبلى السرائر

تصبّري يا أمّةُ المكلومة، فأنتِ مدرسةُ الصّبر، أثبتي فلقد أحزنتيه في آخر اتّصال له بكُم، لقدْ رأيتُه بعدها وعرفتُ ذلك من وجهِه، وقال لي (لعنةُ الله على الطّواغيت، وجعَل الله فَقْرهم في قُلوبهم، وأشغَلهم بنُفوسهم)، فيا أمّ صالح



قد كان محمّد يذكر دائماً ثباتكِ وصبركِ فاستمرّي فالأعمالُ بالخواتيم، وما هذِه الدّنيا إلا متاعٌ زائلٌ زائفٌ لو نفَعت أحداً لنفعت الملوك من قبلِنا فأينَ هم الآن؟.

أسألُ الله أنْ يُفرغ عليكِ صبراً ويربِط على قلبِك ويثبّتك...

وكتبه

عبد الأعلى المضريّ



عبدُ العَزيز بنْ عَتيق العَتيق "أبو صهيبٍ النّجدي" (٤٨)

نحنُ اليومَ أمامَ فارسٍ عالي الصّوت واضح البصْمة، صاحب فضلٍ وجودٍ وخيرٍ بلا حُدود، تقيّ خفيٍّ صابرٍ مُصابر، إنّه المُقبل على الشّهادة أبو صهيبٍ النّجدي، أكْرمه الله بخيرِ ما يُكرم عبادَه..

هو عبدُ العَزيز بنْ عَتيق العَتيق، وبحقّ فقد كان عزيزاً بدِينه عتيقاً بمنهجه، من مَواليد مدينة (الزّلفي) عام ألفٍ وأربعمائة وثلاثة للهجْرة، كانَ أكبرَ إخوته سنّاً، شديدَ البِرّ بوالدَيه، له مكانةٌ خاصّة عندَهم، ورغمَ كثْرة الشّهوات والشّبهات المحيطةِ به في وطنِه، إلاّ أنّ نورَ بصيرتِه أضاءَ له طريقَ الحقّ، فسلَكه بعزْم الرّجال وصبْرِ الجِبال، ولمْ يكُن ممّن جعَل الدّنيا أكبر همّه ومبلغَ علْمه، فقدْ أتْته الدّنيا وهي صاغِرة، وبَدا لهُ المستقبل فيها مُشْرقاً منْ أكثرِ من جهة، فهوَ خرّيجُ كلّية الحاسِب الآلي، وضالعٌ ضلوعَ الكُهول في علمِ التّحرير والإخراجِ والإعلام بشكل عامّ، والكثيرُ من القرّاء والمنْشدين في مدينة (الرّياض) يعرفونه جيداً، لكن أنّى لرجلٍ غيورٍ شهْم أنْ يفكّر في المُستقبل الدّنيوي، وهوَ يرى حالَ أمّته وقد تسلّط عليها أراذلُ الأمم وأشرارها، فسخِروا منْ دينِها وأهانُوا سيرةَ نبيّها، ودنّسوا كتابَها وانتهَكوا عِرضها، وسرَقوا مالها واحتلّوا أرضها، كيف يفكّر في مستقبلٍ مزعومٍ وهو الحافظُ لقوله تعالى: {قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ



اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ}.

حاشاه رحمه الله أنْ يفكّر وقد علِم أنّ القاعِدَ في هذا الزّمان إمّا أنّه من أهل الأعذار، أو فاسقٌ سُلبتْ غيرَته وكرامتُه، وعندها علِم هذا الموفّق أنّ الـمُستقبل الحقيقيَّ الـمُوصِل إلى دار الخُلود هو الطّريق الذي سلَكه خيرُ البشَر، المؤيّدُ بالوحْي عليه الصّلاة والسّلام، فسارَ فيه دونَ تردّد أو وجَلْ، وكأنّي به رحمه الله وهو يضَع قدمه على هذا الطّريق، فيراهُ مليئاً بالأشْواك، مخضّباً بالدّماء، قليلٌ سالِكوه كثيرٌ شانئوه، وقد شمّر واتّزر ولبِس جلد النّمر، يصيحُ بأعلى صوته: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ}،

وقدْ بحَّ صوتُه وهو يُعيدُها ويكرّرها لعلّ اللّهَ أنْ يفتح بها آذاناً صُمّا وقلوباً عُمياً.



وصلَ رحمه الله إلى أرضِ النّزال وساحةِ الرّجال بعد إعلانِ الدّولة بفترةٍ وجيزة، وقد اخبَرني منْ نسّق دُخوله أنّه كانَ يُلحّ على المجيء مُنذ فترة طويلة.. وبدأ مِشواره في خِدمة هذا الدّين العظيم، فحمَل سلاحاً شديدَ الفتْك بالغَ التأثيرِ، ذالكم هو سلاحُ الكلمة والبيان، فانضمّ لركبِ الإعلاميّين وكانتْ له بصماتٌ واضحةٌ، وقدّم كلّ خِبراته في هذا المجالْ، واستطاع نقل الإعلام إلى صورةٍ أكثر تألّقاً وجمالاً حتى أصبحَ مِلْء السّمع والبصَر.

كان رحِمه الله مَوْطن ثقة وحبّ أمراءِه وإخوَته، فقد منّ اللهُ عليه بلقاءِ مؤسّس دولةِ الإسلام حفيدِ رسولِ الله ﷺ الشيخِ الإمام أبي عُمر البغدادي رحمه الله، ووزيرِ حربِه الشيخِ الصّنديد أبي حمزةَ المُهاجر، والشّيخ الحَنون أبي قسورةَ المغربيّ، والكثيرِ من قادةِ الجهاد في العراق، وكتب الله له حبّاً في قلوبِهم وثناءً على ألِسنتهم، وهوَ والله أهلٌ لذلكَ نحسبُه والله حسيبُه.

تعرّض رحمه الله كغَيره منْ إخوَته إلى ابتلاءاتِ الطّريق ومِحنه، فقدْ نجا عدّة مرّات منْ قصفٍ استهدفَ منزلَه وإنزالاتٍ مُحكمةٍ لقتلِه أو أسْره، فيخرُج منها بعزيمةٍ أشدّ رُسوخاً وثباتٍ قلّ نظيرُه،

تنقّل في مُعظم ولاياتِ دولةِ الإسلام، وقد رافق في كثيرٍ من أوقاتِه الشّيخ مُحارب الجبوريّ وميسرةَ الغريب رحمهما الله، فكانَ لهُما أثرٌ كبيرٌ في حياته وشخصيّته.



امتازَ رحمَه الله بطولِ الصّمت والحياءِ والكرَم الشّديد، صاحبُ سرٍّ يطمئنُّ القلبُ له، لا يعرِف المستحيلُ أو اليأسُ إلى قلْبه سبيلاً، ولم أذكُر في يومٍ من الأيّام التي عشْتُها معه والتي قاربَت ثلاثَ سنيْن، ولم أفارقْه فيها سوى أيّام قليلةٍ لم أذكر أنّي طلبتُ منه شيئاً فعجِز عنه، بل إنّه كانَ يأتي به بصورةٍ أجملَ ممّا رسمتُ في مخيّلتي وجالَت به فكْرتي..

حتّى جاء اليوم الذي قدّر الله لهذا الفارس أن يترجّل، حيث قُتل رحمه الله في إحدى المكاتب الإعلاميّة لولاية الشمال بعد مواجهةٍ مع المرتدّين..

آه يا أبا صُهيب، لقَد كنتَ بحقّ حِزام ظهرٍ وعِصابة رأس أتعبْت منْ بعدَك، يا رفيقَ الدّربِ وأنيسَ الغُربة، يا منْهلاً شربتُ منه ولم أرويْ عطَشي لِعُذوبة موْرده ونقاءِ مصدَره، هل حقّاً أذنَت شمسُك بالمغيب، هل حقّاً ترجّلت عن جَوادِك أيّها الفارسُ العجيبْ، أيّها الشهّم النّبيل، لقد تركَ رحيلُك في قلبي فراغاً لا يسدّه أحدْ، وسيبْقى خيالُك يُطاردني في كلّ لحظاتِ حياتي، ولو كنتُ ممّن يقرِض الشّعر لأكثرْتُ القوافيْ في رثاءك، فلقَد والله قدّمت لإخوانِك خيراً سننعُم به سنينَ عديدة، وكنتَ ممّن تركَ في أرض الجهادِ صدقاتٍ جارية وعلماً يُنتفع به.

أسألُ الله أنْ يجمعني بكَ في الفِردوس الأعلى منَ الجنّة، وأنْ يمنّ على والدِك وإخوتِك وأهلِ بيتِك بالهِداية والرّشاد، فما زلتُ أذكرك وأنتَ تلهجُ بالدّعاء لهم وتطلبُه منّا، وأسألُ الله أنْ يكونَ دمُك نوراً يُنير لمنْ تُحبّ طريقَ الخيْر والسّداد، وناراً تحرقُ أعداءَ الله عزّ وجلّ، فلقد عرفتُك والله شديدَ الولاءَ



لأولياءَ الله، شديدَ العَداء لأعدائه، وإنّ دمَك الذي أرخصْته في سبيلِ إعلاء كلمةِ الله سيكونُ وقوداً لنا في معركتنا، ولنْ نخونَ أيّها الأبرار دمائكُم الزّكية، فأنتُم السّابقون ونحنُ اللاّحقون، لقد أظهر لنا قتلُكَ أيّها الصّنديد مدىْ كذِب وجُبن المرتدّين والرّوافض المشركين، فقدْ أبيْتَ أن تُعطي الدّنية في الدّين، وقاتلْتهُم حتى قُتلتَ قائماً عزيزاً مُقبلاً غيرَ مُدبر، فرحمَك الله رحمةً واسعةً، وأسكنَك فسيحَ جنّاته.

بحقٍّ كُنت بدراً مشعّا وشمساً ساطعةً بدّدت بنورها ظُلْمة اللّيل الكالحة...

سيَذكرُني قَومي إذا جدّ جدُّهم وفي اللّيلة الظّلماء يُفتَقدُ البدْر

وكتبه

عبد الأعلى المضريّ



ياســر بن فيصل درويش المقدسيّ "أبو ثابت الشّامي" (٤٩)

نُبحر اليَوم في محيطٍ هادئٍ ثائر، ثابتٍ متحرّك، جمَع من الصّفات ما يحيّر النّاظر ويُسرّ الصّديق ويُشوّق السّامع.. إنّه بطل المشاهد وليث المعامع، السّابق للهجرة والجهاد أبو ثابت الشّامي رحمه الله..

هو ياسر بن فيصل درويش، المقدسيّ الأصل، السّوري المولد، من مواليد عام ١٤٠٢ للهجرة، لم يكُن هذا الصّنديد الجريء قد تجاوز الثّلاثين من عمُره حين ترجّل عن جَواده، لكنّ عقْله أرجحُ من عُقول كثير من الكُهول.

من أسرةٍ صالحةٍ مُجاهدة، فثلاثةٌ من إخوته قُتلوا في العراق وهو رابعهم، كانَ صاحب عقيدةٍ سليمة ورجولة وشهامة قبل هِجرته، متزوّجٌ في بلاده وله طفل، منّ الله عليه بالهجْرة قبل غزو بغداد، ثم رجع إلى بلاده لعملٍ معيّن ثمّ عاد إلى العراق مع بداية الجهاد، والتَقى بالشّيخ أبي مصعب رحمه الله ورافَقه وأُعجِب الشّيخ به وبشجاعَته، وبعد فترةٍ من الزّمن كُلّف بقيادة مدينةِ القائم عسكريّاً، فأحْسَن قيادتها وكانت الفتْرة عصيبةً والمعاركُ فيها كرٌّ وفرّ، وأعداءُ الله من الصّليبيين وأذنابهم وضعوا ثِقلهم في هذه المناطق؛ لعلمهم بخُطورة وحساسيّة جغرافيتها، وكان رحمَه اللهُ ومجموعةٌ من الإخوة -منهُم شقيقُه- همْ طليعة الـمُجاهدين في تلكَ المدينة، وقاموا بأعمالٍ أبْهرت العدوّ وصاروا مع إخوانهم السدّ المنيع في وجه العمليّات العسكريّة الكُبرى التي شُنّت على القائم -كعمليّة الرمح وغيرها-.



وكانَ بطلُنا رحمه الله في مقدّمة هؤلاء وأميراً على المنطقة، وبقيَ يُقاتل فيها حتّى انسحب الإخوة ولم يبقَ في المدينة سوى ستّة رجالٍ كانَ هو أحَدهم، لم يخرُج منها حتى جاءه الأمر بذلك.

ثمّ عمِل بعدها في عدّة مدن، فقَد عرِفته مُدن العراقِ من شِمالها إلى جَنوبها، ومنْ شرْقها إلى غرْبها، يصُول ويجُول حتّى استقرّ لفتْرة من الزّمن في الرّمادي..

ومن الطّرائف أنّه كانَ ذات يومٍ جالساً مع الأمير العام للأنبار الشّيخ المجاهد جرّاح - رحمه الله، فدخل عليهم أحدُ القادة العسكريّين وأراد جرّاح أنْ يُعرّف هذا الأخَ بأبي ثابت، فقال له: (هذا الأخ أبو ثابت المتحرّك)، كنايةً عن كَثرة تِجواله وتنقله..

ثمّ أصبَح أميراً عسكرياً للأنبار، ولم تكن معركةٌ من المِعارك الكبيرة في الأنْبار إلاّ كانَ مشاركاً ومؤثراً فيها، حتّى امتلئ جسده بالجُروح والحُروق، ولم تزدْه الأيّام إلا خِبرة وثباتاً، وحينَ اشتدّت موجةُ الخيانةِ بعد إعلان دولة الإسلام، أُمر أن يتوجّه -رحمه الله- إلى ولاية صلاح الدين، حيثُ عُيّن أميراً عسْكرياً عليها، خاضَ حينها أشْرس المعارك مع المرتدّين، وأدار الولاية في وقتٍ عصيبٍ جداً إدارة عسكريّة ناجحة، وقد جَمع أعداءُ الله حدّهم وحديدَهم، فكانتْ الحالةُ في ذلك الوقت بحقّ حالةَ اختبارٍ وتمحيصٍ للصّف، بلْ كانت من أشدّ مراحل الجهادِ في العراق، وبحمد الله فقد ثَبت أولياءُ الله وأظْهروا بسالةً حار فيها أعداءُ الله، ولا زالت آثارُه إلى يومِنا هذا..



وبعدها انتقل البطلُ إلى الموصل، وتسلّم مهمّة غيرَ عسكريّة، فاستغل فُرصة الفراغ الذي قد يتوفر له في طلب العِلم الشّرعي وحِفْظ القرآن، فحفِظ مُعظمه وتعلّم من العُلوم الشّرعية ما جعل منْ يُقابله يتعجّب من سِعة إدراكه وقوّة استحضاره، وقد ألهمَه الله قوّة في الحِفظ وسرعةً في الاستيعاب.

كانَ رحمه الله مدرسةً في كلّ شيء، فلا يُجارى في العُلوم العسكريّة والحربيّة، ولا يُجادل في النّحو أوِ البلاغة، ولا يُناقَش في الفقْه أو العقيدة، فقَد كانَ بحقٍّ منهلاً للواردين، وكانَت لنا في المنْزل معه دوراتٌ مُختلفة في شتّى العُلوم، ابتداءً بالأمور الأمنيّة والعسكريّة مروراً بالشرعية والإدارية وغيرها.

كانَ رحمه الله يجُول بينَ منازلِ الإخوة يوجّههم ويحرّضهم، فكانَ الأخ الكبيرَ النّاصح المشفق عليهم، وقد آتاه الله بسْطة في الجسم، فكلّ من رآه يظنّه أكبر من عمره.

وظلّ صاحبنا موضِع ثقة أمراءِ الجهاد الّذين مرّوا على العراق، كالشّيخ أبي مصعب الزّرقاوي وأبي أنس الشّامي وأبي محمد اللّبناني وأبي عمر البغداديّ وأبي حمْزة المهاجر وأبي قَسورة المغربيّ رحمهم الله جميعاً، كما كانَ موضعَ ثقةِ أمير المؤمنين وقرّة عُيون الموحّدين الشّيخ أبي بكرٍ البغداديّ أطالَ الله في الإسلام بقاءه.

سألتُ هذا الجَبل ذاتَ يومٍ، ماهو الموقف الذي له أثرٌ كبير في نفسك ولا زلت تذكره؟، فقال: حينَما كنتُ في صلاح الدّين، كانَ هناكَ أخٌ مهاجرٌ اسمه



أبو عبد الله، وكانَ من أهلِ الجزيرة العربيّة، ويظهَر من تعامُله وشهامته أنّه من أهلِ الصّحراء، وقد سلّمته إحدى مفارز التّجهيز والتّفخيخ، وذاتَ يوم حينَما كنتُ أسيرُ على إحدى الطّرق القريبة من سامرّاء، رأيتُ سيّارته آتيةً من بعيد، فأشرْتُ إليه بالوقوف، لكنّه مرّ من أمامي ولم يقِف بلْ نظَر إليّ وسلّم بيده وهو على سُرعته، وحينَها علمْت أنّ هناك شيئاً ما، فتركتُه ثمّ توقّفت عندَ أحد المحلّات وتركتُ سيّارتي وجئتُه بسيّارة أخرى لألحقَ به فرأيته ترجّل ووقف كأنّه يريد أن يشتري من صاحِب المحلّ، فذهبتُ إليه وسألْته: ماالخبر؟، قال لي: إنّ هذه الطّائرة لها أكثرُ من ستّ ساعاتٍ وهي تحُوم فوقَ سيّارتي، وقد ذهبتُ إلى أماكِن بعيدةٍ في الصّحراء وهي تتْبعُني، وكأنّها معلّقة بسيارتي. فقلت له: أترُك السيّارة. فقال لي: أنا حالياً لم أقابلْ أيّ أخٍ، ولم أذهَب لأي مكان حسّاسٍ أو مضافة، لأنّي على يَقين بأنها ستتعرّف على هذه الأماكن، وقد قرّرت أنْ أذهبَ بهم إلى مكانٍ كنتُ أخلَيْتُه قبلَ أكثر من شهر، وسوف أنتظرُهم هناك.

قلت له: هذا غيرُ صحيح. فقال لي: إذا تأخّرت معك في النّقاش أو التّفكير أكثر من ذلك فسوف أُلحق ضرراً بك وبالإخوة؛ فأعداءُ الله لا شكّ أنّهم حالياً سيأتون إلى هنا إما بالمروحيّات أو بالآليّات، وليس هناكَ وقتٌ كافٍ بالنسبة لي.. ثم عانقني وقال: سلِّم لي على الإخوة وسامحوني.



وسلّمَني الأموال التي كانَت معه، وخلَع ساعة يده وقلمه وحتّى سِواكه، ولم يُبقِ معه سوى سلاحه الشّخصي وملابسه، ثمّ خرج بالسيّارة مسرعا.. وحينَما انصرف، رأيت الطّائرة وهي تتبعُه ثمّ بدأ يتوارى عني..

وكانَت لحظات لا يستطيعُ أبلغُ الأدباء أن يعبّر عنها... ولم ألْبث طويلاً حتى رأيتُ رتلاً من الصّليبيين تُسانده المِروحيّات متوجّهين إلى مكانه، حينَها علمتُ بأنّ ما توقّعه وتمنّاه قد حانَ بالفِعل، ومنْ بعيدٍ سمعتُ صوتَ قصفِ المِروحيّات... وتراءى لي وهو ينتظُر أعداءَ الله وهم يأتون إليه..

فأيّ قلبٍ يحملُه هذا الرّجل وأيّ إيثارٍ وأيّ شهامة..!

ومنَ الغدِ قرّرت الذّهاب إلى مكانِه وحْدي، فرأيتُ ما يفتّ الكبد ويقطّع القلْب، رأيتُ مكانَ معركةٍ وكأنّها بين جيْشَين وليست معَ رجلٍ شبه أعزل.. والله إنّ رجالنا من أعجبِ أهلِ الأرض!، كيفَ وضعَ اللهُ المهابةَ منهم في قُلوب عدوّهم، لقد علموا أنّه وحيدٌ وليسَ معه أحدْ، فكيف لو كانوا اثنين؟..

[الاثنان..! سَلْ عنهم تِكريت ومجلِسها.. والعِشرين سَلْ عنهم منهاتن وتوأمها، هؤلاءِ هم رجالُنا وفُرساننا.. وبهم تفْخَر الرّجال وتُزين المجالس بذكرهم].

يقول أبو ثابت.. رأيتُ أبا عبد الله وهو مضرّجٌ بدمائه الّتي لا زالت تقطُر دافئة.. وظُروف رصاصاتِ سِلاحه تُخبر عنْ فِعله وعزّة نفسه..



حَملْته وأخذْته في سيّارتي وواريَتُ جسَده في الثّرى.. نظرتُ إلى الدّنيا وقد أصبحت في عيني أحقرَ منْ جناحِ البعوضة... والله لقَد علّمني أعظَم درسٍ في حياتي.

رحمكما الله يا أبا عبد الله ويا أبا ثابت.. إذاً هذا هو الموقفُ الّذي أثّر بالرّجل الصّنديد المقاتل، وإنّه والله لموقفٌ يُشرّف التاريخ أنْ يسطّره في صفحاته عن سيرة هؤلاء الرّجال.

نعود إلى أبي ثابت ..

لقدْ كانَ من نِعَم الله عليّ أن أكرمَني بمُرافقته والعملِ معه آخر خمسة أشهرٍ من حياته جرَت فيها أحداثٌ كثيرة، أقلّها كفيلٌ بكشفِ معدن الرّجال، ولا زلْت أتذكّر نصائحَه ومواقِفه.

بقِينا مُتلازمَين حتّى جاءَ اليومُ الموعودُ والقدَر المِحتوم الذي لا مناصَ عنه، فبعدَ أنْ نجا هذا الصّنديد منْ عشراتِ المعارك والقصْف المكثّف، وخرَج من أضْيق المناطق حصاراً، يأتيه موعده على غير قصد من العدوّ وغيرَ معرفةٍ به، فقد اشتَبك مع دوريّة استوقفته وشكّت في أمره فقُتل رحمه الله..

نعم قُتل زينةُ الرّجال، وأسدُ النّزال، بعدَ أنْ كانَ يخوضُ المعاركَ وهو يقولُ لصحبه: أظنّ هذه آخرَ معركةٍ أخوضُها، يخرُج منْ هذه الأهوال سالماً معافاً ليُقتل في ميدانٍ آخرَ لم يكن في الحُسبان فسبحان الله، هذا هو الأجَلُ لا تعْلم متى وكيف يأتيك..



وبعدَ طولِ جِلادٍ ومُقاتلة، ترجّل فارسٌ من أشْرس فُرسان العراق، وأكثَرهم إحاطةً وخبْرة بالأرضِ والمجتمع، حوى صدرُه العديدَ من العُلوم، ولم يترك مجالاً إلاّ قدّم له ونصح فيه، وكانَ له أثرٌ كبيرٌ في غزوات الأسير المباركة.

لله أنتَ أيّها الرّاحل المكثر من كلّ خير، ما مِن مكانٍ في هذه البلاد إلا ويشهدُ لك. سَلْ عنه البصرةَ وزاخو ومندلي والعكاشات تنبيك عن فتى الحُروب وكهلِها ومسعر نارِها وقاتِل أرضِها، حسَن الوجْه جميلَ الطّلة بهيّها، لا يُبالي بملْبسٍ أو مأكلٍ أو مجلس، يتكيّف معَ الظّروف كيفما كانت، شهمٌ غيورٌ كريمٌ مؤثرٌ صابر.. والله إنّ الصّفات تتزاحمُ حين تأتي سيرتُك، فما مِنْ صفةٍ يحبّها الرّجال المؤمنون إلاّ وأجدُها فيكَ بارزةً مستوفية..

أيّها الشّهم العزيزُ، لقد علّمتني الأيّام أن يكونَ قلبي كالصّخر وعيني كالورق..

فلو كنت أبكي من فراق صبابةٍ *** لأذريت عيني دمعة لا ألامها

ولكن لي عيناً كتوماً بمائها *** جموداً بماء الناظرين انسجامها

ولكنّي حينَ أذكرك وأذكر وقفاتِك العظيمة ورأيكَ السّديد ونُصحك الرّشيد، وأذكُر يوم كنّا مًصبحين قبل يومٍ من مقْتلك ونحنُ نسيرُ في يومٍ شديدِ الحرّ قلتَ لي إنّك تشعُر بالدّوار والجَفاف، وكنتَ حينَها صائماً فقلتُ لك: لمَ لا تُفطر وقد وافق يوم صومِك عملٌ شاقّ. فقلتَ لي: إنّك تشعُر بأنّ الصّوم يطهّر عملَك ويزكّي نفْسك، فتشعُر وأنتَ صائمٌ بالقُرب منَ الله والارتباط



الوثيقِ به، وخُصوصاً إذا رأيتَ النّاس في الشّوارع وهم يأكلون هائمون ومشغولون في مشاغِلِ دُنياهم... يا الله! ...

أبا ثابت، لقد حُقّ لأمّك وأبيكَ وزوجِك وبنِيك أنْ يتباهَوا بكَ ويرفعوا رُؤوسهم فوالله لو كنتَ في أمّة تعرفُ حقّ رجالها لكانَ ذكرُك بينَ النّاس غيرَ ذلك، ولما بقيتَ في دائرة الطّب العدليّ أكثرَ من أُسبوع والصّليبيّون يمنَعون الاقترابَ منك، ثم تُؤخذ وتُدفن في مكانٍ لا يعرفُك فيه أحد ..

آهٍ يا غريباً ويا شريداً ويا شهيداً ويا حبيباً لقد تركَ رحيلُك في قلْبي لوعةً لا تَسكُن إلا بلقاك.. حسْبُك -إن شاء الله- الذّكر في الملأ الأعلى وهو ما أرخَصْت روحَك لأجله.

ولكنني أبكي بعين سخينة *** على جلل تبكي له عين أمثالي
فراق خليل أو شجى يستشفني *** لخلة أمر لا يقوم لها مالي
فيا كبدي حتى متى القلب موجع *** بثكل حبيب أو تعذر إفضال

فيا ربّ إنّي أحتسبُ عندَك أنّ عبْدك هذا قد قال لي في يوم من الأيام إنّه يحبّني فيك وقد رحَل إليك، فاللّهم اجمْعني به في الفِردوس الأعلى منَ الجنّة مع النّبيين والصّديقين والشُهداء والصّالحين، وحَسُن أولئك رفيقًا.

اللّهم اجْزِه خيرَ ما جَزيتَ شهيداً في سبيلك يا رب العالمين...

وكتبه

عبد الأعلى المُضريّ



حسين مطشر الزيدي "أبو صهيب الأنصاري" (٥٠)

البطل الهمام، والفارس الضرغام، أبو صهيب الأنصاري، حسين مطشر الزيدي، المولود في رصافة بغداد غرة عام ١٣٩٩ هـ، شجاعٌ شهمٌ، يتحلّى بأخلاق الفضلاء، ويتزين بلباس الكرماء، يأمر بالعدل والمعروف في السرِّ والعلن، وينهى عن الفحشاء والمنكر بالتي هي أحسن، يمّم وجهه -بعد أكثر من عقد- صوب ربوع ديالى ليستقر بعقر دارها.

دخل العدو الأمريكي أرض العراق، وكان يُكنّ لهم أشدّ العداء، ويغلي صدره حقداً عليهم كأي مسلم سويٍّ غيور على دينه وأرضه وعرضه، وبقيَ قرابة العامين وهو من خيرة المناصرين لمشروع الجهاد وأهله الأبرار؛ الذين سطّروا أروع ملاحم النصر والاستبسال في ولاية العز ديالى، فيهتزُّ فرحاً بانتصاراتهم، ويعتصر ترحاً بتأخره عن لحاقه بالقافلة المباركة.

نفض عنه غبار ذل القعود مع الخوالف مطلع عام ١٤٢٦ هـ، ، فأزاح من طريقه عقبات: {حُبِّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ} وعلم بل وأيقن أن: {ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ}.

فأول ما طلبَ من المجاهدين بعد تنظيمه معهم، أن ينفذ عملية استشهادية ضد المحتل الصليبي الغاشم، ويكون مهر الحور العين هو تفخيخ عجلته الـ"لاند كروز" الخاصة به، حينها التقى به قائد المجاهدين في المنطقة، وبفراسة المؤمن



الكيس الفطن قلّب القائد بصرَه بالفارس الزيدي، وتكلم معه عن أسباب انضمامه لهذا الطريق الشاق؛ فأعجبته الإجابة وحسن القصد، وشرف الغاية.

فأقنعه الأمير بأن يرجئ تنفيذ العملية الاستشهادية، وليلتحق بإحدى معسكرات التدريب ضمن الولاية، ولينتظر حتّى يحكم الله في أمره، فالمسلمون بحاجة إلى حياته أكثر من تضحياته، لِما رأوا بعد تخرجه من دورة التدريب من خبرته في الدنيا وشجاعته ونباهته وفطنته مع صلابة جذعه وقوة تحمّله؛ وحركته الانسيابية السريعة؛ وانتباهته الخاطفة ولفتته الجارحة، وصبره على صعاب الأمور، وطاعته للأمير، وبالفعل توافرت فيه صفات وسمات "القوي الأمين" ليتسنّى له أن يعمل بمفارز الدفاع الجوي، وبعدها ليقود أبرز السرايا الأمنية التي أقضت مضاجع الكفر والردة على أرض الرافدين الحبيبة.

رافق "أبو عكاشة الجزائري" قاضي الولاية لأيامٍ عديدة، يتنقّلون من شرقها لغربها، ومن شمالها إلى أقصى جنوبها، يسعرون الحرب ويحرضون المؤمنين ضد الغزاة الغاصبين.

انتُدِب ليجاهد على أرض ولاية صلاح الدين عام ١٤٢٩هـ فأبلى بلاءً حسنا، وأنكى بأعداء الملة أيما نكاية، فسرّت ضرباته المؤمنين، وغاظت المرتدين والكافرين، فاجتز بساعده المبارك رؤوساً لفراعنة الأمة، بعد أن عاثوا بالأرض الفساد، ونجّسوا برجسهم البلاد، وساموا العباد أشد العذاب.



أصيبَ، ثم اعتقل بعد حين، وأوذيَ في التحقيق ولم يقرّ بأي شيء، فثبت بقلبٍ وعزيمةٍ تذوّب الجبال، ولم يمكث في الأسر سوى بضعة أشهر، فعاد إلى أرض النزال، ومصنع الأبطال، ليقارع الغزاة الغاصبين وأذنابهم ومطاياهم.

وبالرغم من عملياته الجهادية الموفقة والمسدّدة، كان كل يوم يتقدم بطلب إلى أميره لينفذ عملية استشهادية، ولكنه يلقى الجواب بالتأجيل لخبرته المتراكمة ونشاطه المتواصل.

زار أحد أقربائه في سجون المرتدين، وبعد أن سمع منه ما يجري للمسلمين من عذابٍ وتنكيلٍ، خرج من المقابلة وفؤاده متمزّق، وعينه تفيض بالدمع حزنا على حال المستضعفين خلف القضبان، وتمنّى بكل جوارحه تنفيذ عملية، فكان رحمه الله كثيرا ما يجول فكره وخاطره بأحوال الأمّة وضعفها وهوانها على الناس، ويتمنّى أن يُقتل لتحيا أمّةٌ من بعده.

فاجأه أميره ذات يومٍ بأنه قد سمح له بتنفيذ عمليته الاستشهادية التي كان ينشدها، فسُرَّ بذلك أبو صهيب وبدت الفرحة على أسارير وجهه، واستعد لها وشد مكان الحزام الحزامين.

في وقتٍ كان المجاهدون المرابطون يعدّون عدتهم وعتادهم، ويجيّشون جيشهم لغزو أحد أكبر مقرات الصحوات العفنة جنوب ولاية ديالى.

فالتمس من أميره المشاركة معهم في الغزوة، وقال "متبسما": ستكون هذه الغزوة -بعون الله- مقدمة بسيطة للعملية الاستشهادية، وبالفعل امتشق



الليوث لأمة الحرب، وساروا براية التوحيد نحو ذلك المقر الذي كان كقلعةٍ من التحصينات، فهم جبناء لا يقاتلون الأسود إلا في قرىً محصنةٍ أو من وراء جُدر، حالهم أشباه رجال؛ ولا رجال.

فتح المجاهدون النار، بعد الوصول لحصنهم، وأمطروهم بوابلٍ من زخات الرصاص، واقتحموا ذلك الوكر النتن، وقتلوا به من قتلوا من قادة ومنتسبين، وفرّ منهم مَنْ فر بذلّ وصغار، وكان من بين القتلى أحد أبرز العملاء للجيش الأمريكي، وألدّهم خصومةً للمسلمين، وأجرأهم على حرمات الله.

وبعد أن انحاز المجاهدون من المكان، فُتحت عليهم فوهات النار من إحدى الثكنات القريبة من الوكر، أصيب جرّائها أخونا الأنصاري بجروحٍ خطيرة، وبقي في مكانه ولم يتمكن من التحرك، وكمن بسلاحه إلى أن جاءته شرذمةٌ من فلول المرتدين، فاشتبك معهم وقتل منهم ثلاثة جنود، وفاضت روحه الطاهرة، نحسبه والله حسيبه، مقبلا غير مدبر، مودّع الدنيا بحقيبتين من الملابس له ولأهله، عاش فيها متنقلا من حيٍ لآخر، ومن ولايةٍ لأخرى، متاعه على كاهله يبتغي الموت مظانّة.

قُتل وفي رقبته دَينٌ استقرضه لأهله يوم كان في الحبس، والحمد لله قد تكفّل أحد المرابطين الميسورين بفكاك دينه من بعده.



وكان استشهاده لخمسٍ وعشرين ليلة خلون من جمادى الأولى في العام ١٤٣٢ هـ، أي قبل استشهاد الشيخ النبيل أبو عبد الله أسامة بن لادن بثلاثة أيام فقط،

نسأل الله أن يجمعهما في علّيين مع الأنبياء والشهداء والصدّيقين، وحسُن أولئك رفيقاً.

هنيئاً لك يا ابن الثلاثةِ والثلاثين عاما، في عمر أهل الجنة أُخِذت منا، حياة قصيرة وعمل مديد، وكأنك تعرّف الناس بنفسك متباهياً:

و"الروم" تعلمُ و"الروافض" أنَّني *** فرَّقتُ جمعَهُم بطعنةِ فيصلِ

هنيئاً لك أبا صهيب: عشت غريباً وقتلت شهيداً بإذن الله.

وكتبَ **أبو سهيل الأنصاري**



ماجد عيسى الجبرين العنزي "أبو طلحة الحفراوي" (٥١)

صاحبُ الهمّة العالية، والنّفس الطّاهرة الخفيّة، التي لم تعرف الكلل أو الملل في ذات الله ..

العابد الزاهدُ، الشّاب المهاجر المجاهد ماجد عيسى الجبرين العنزي المعروف بأبي طلحة الحفراوي...

من شباب جزيرة رسول الله ﷺ، ولد في الرابع عشر من شعبان لعام ١٤٠٥ للهجرة، ونشأ في أسرةٍ صالحةٍ لينمو في أجواءٍ هيّأهُ الله فيها لأمرٍ عظيم، فعُرف بين أقرانه بحُسن الخُلُق والحرصِ على صِلة الرّحم وبرّ الوالدين، لكنّ حبّ الجهاد ملأ فؤاده وملك عليه حياته، فما أنْ فتح الله أبوابه في العراق وحانت الفرصة قريبةً بعد الغزو الصّليبيّ حتى نفرَ بلا تردّد، وهنا ظهر معدن الرّجل وبانَ صِدْقه وإخلاصُه، إذ لم يترك باباً للهجرة والنّفير إلا طرقه واقتحمه، فأدّت محاولته الأولى به إلى سجن المخابرات سيّء الصّيت المعروف بفرع فلسطين عند النّصيريّة بسوريا، فسُجن سنة كاملة قبل أن يُسلَّم إلى حكومة آل سعود، ليقضي في سجونها سنةً أخرى وثلاثةَ شهور قبل أنْ يُفرّج الله كربته..

ولم تكد أموره تستقر حتى نفرَ مرةً أخرى بعد شهر فقط من إطلاق سراحه برفقة صاحبه ورفيق دربه فارس الشهادة أبي يوسف، البطل الغائر في إحدى موجات غزوة الأسير على مقرّ الأدلّة الجنائية ببغداد.



ويقدّر الله أنْ يُقبض عليهما هذه المرّة أيضاً من قبل حرس آل سعود بمنطقة عرعر على حدود العراق ويُسجن كرّةً أخرى، وفي هذه المرّة كان خروجه صعباً بعد أن ثبُتت إدانته بجريمة نُصرة إخوانه المسلمين ونيّته المعلنة في قتال الأمريكان، تلك التّهمة التي مُلئت بسببها السّجون من العلماء والدّعاة والمجاهدين في دولةٍ تزعم أنها حاميةٌ لحمى التّوحيد.

كانت سيرةُ صاحبنا في السّجن عجيبة، حيثُ عُرف بشدّة بغضه للحراس وإعلان عداوته لهم والبراءة منهم وإظهار ذلك بلا خوفٍ، وكان يؤمّ المصلّين ويدعو علناً على طواغيت آل سعود أمام سجّانيه، فصار ذلك سبباً آخر للخير فتح الله به عليه حينَ قضى أوقاتاً كثيرةً في خلوةٍ مع ربّه بمحاجر الحبس الانفرادي، حفظ فيها القرآن وبعض المتون الشرعيّة.

وحوّل الله محنّة الشّاب الأسير إلى منحةٍ وخيرٍ لجميل صبره وصدعه بالحقّ واحتسابه، فكان حريصاً على ألا يُضيع دقيقة من وقته دون أن يستفيد منها، ويقول: (آخر شهرين من سجنتي فتح اللهُ سبحانه وتعالى علي بالدعاء، فقمت أتجاهل كلّ شيء، حيث تركت المشاجرة مع المرتدين أو التّصادم معهم ولجأت إلى الله عزّ وجلّ، وكنت على يقين أنّ الله سوف يُخرجني).

كان يقينه هذا يزداد مع أنّ زملائه وسجّانيه لم يتركوا مناسبةً إلا ذكّروه فيها بأنّ خروجه هذه المرّة صعبٌ إن لم يكن مستحيلاً، ولكن أنّى لليأس أن يتسرّب إلى هذه النّفس المعلّقة بربّها، وفعلاً منّ الله عليه بالفرج وخرج بعد سنتين وثمانية شهور قضى كثيراً منها في الحبس الانفرادي، ولكن إلى أين؟..



فبعد فترة قصيرة صار مطلوباً لداخلية آل سعود، وظلّ مطارداً حتى يسّر الله خروجه إلى بلدٍ مجاورٍ في صندوق سيّارة، وهناك أمضى تسعة شهور تقريباً متوارياً مطلوباً للأمن، قضاها يسردُ الصّوم ويقوم اللّيل ولا ينام إلا بعد الفجر، ولا يضيع دقيقة من وقتِ منْ يُجالسه إلا ويحرّض على النّفير والهجرة لأرض الجهاد، حتى يسّر الله له دخول العراق في رجبِ عام ١٤٣١.

وبعد وصوله مباشرةً والتحاقه بمن سبقه وانضمامه لدولة العراق الإسلاميّة طلب من أميره تنفيذ عمليّة استشهاديّة، لكن رُفض طلبه، وأصرّ على هذا الأمر رغم الرفض المتكرّر لحاجة الإخوة إليه في مواطن أخرى، فكان يقول: (إنّي أخشى على نفسي وأدعو الله أن يثبّتني)، وكان يُكثر من الدّعاء وطلب الشّهادة والاستعاذة بالله من الفتن.

عُيّن أغلب وقته بعد الهجرة في كتيبة الحدود بولاية الشّمال، وكان ذا خصالٍ جميلة جمعها الله في نفسه الطّيبة وجسمه النّحيل، ومن أظهرِها ذِلّتُه وشفقته على المؤمنين وعزّته وغِلظته على الكفّار، شارك في معظم الغزوات التي حصلت ضمن كتيبة الحدود، وكان له دورٌ كبير في تثبيت المهاجرين الجدد الملتحقين بالكتيبة ورفع معنويّاتهم، فكان يستقبلهم ويخدمهم ويثبّتهم ويحرّضهم ويرغّبهم ويشرح لهم طبيعة المنطقة وناسها وطبيعة المعركة وما يحتاجه المقاتل المهاجر للعمل في الدّولة الإسلاميّة، فصار شعلة من نشاط لا يكاد ضوئها يخفت.



عرف قيمة طلب العلم وتأثير ذلك في مجتمعٍ قلّ فيه العلماء والدّعاة وكادت فِطَرُ النّاس فيها أن تنحرف، وحرص بشدّة على ملئ جزءٍ من هذا الفراغ وإيصال ما يستطيعه من هذه العلوم إلى إخوانه ممّن حوله وإلى عامّة النّاس ليرفع الغشاوة عن أعينهم، ويفتح عليهم أبواب الخير التي أوصدها شياطين الإنس والجن، فكان كحامل المسك لمن جالَسَه، ومن نشاطه في هذا المجال تأليف الكتيّبات القصيرة ونشرها على النّاس في المنطقة التي يتواجد فيها، فكان ممّا كتبَ "رسالةٌ في العقيدة" و "رسالةٌ في الطهارة والصلاة" ورسالة بعنوان "الخير كل الخير في العمليات الاستشهادية"، نسخها بأحجام صغيرة كمطويّات أو كتيّبات جيب، كما سجّل بعضها بصوته ليعمّ نفعها ويسهل نشرها..

كان صاحبنا قبل دخوله للعراق بفترة قصيرة رأى رؤيا، يقول عنها: (كنت أركض في أرض العراق ومعي اثنين أو ثلاثة من الإخوان، فقلت في نفسي الحمد لله إنّني في العراق، ثمّ قلت والله لأسجدنّ فسجدتُ، ثم دعوتُ: اللّهم لا تُرجعني إلى أهلي)، ونحسب أنّ الله استجاب دعوته فبشّره بتلك الرؤيا..

وكان يوم الرّحيل وهو مرابطٌ في مفرزةٍ من أربعة مقاتلين رصدوا دوريّة للمرتدّين فلم ينسحب لقلّة العدد والتجهيز، بل اختار وأصحابه المواجهة ومفاجأة العدو، وتمكّنوا من تدمير عجلة "همر" وقتل أربعة من المرتدّين وأصابوا آخرين قبل أن ينسحبوا وقد استقرّت طلقةٌ في كتف أبي طلحة لم يُفلح أصحابه في إيقاف نزيفها، حتى فاضت روحه -رحمه الله- بعد أن رسم



الله على وجهه ابتسامةً مطمئنّة لا تُخطِئها العين ولا يعرف معناها إلا أصحاب هذا الطّريق،،

وكان ذلك يوم الجمعة الموافق ٢١/ شعبان/ ١٤٣٢ للهجرة..

رحل صاحبنا قرير العين بصمتٍ بعد أنْ نالَ مبتغاه، وترجّل بهدوءٍ بلا صخبٍ ولا ضجيج بعد عامٍ حافلٍ بالعلم والعمل والنّكاية في أعداء الله، فلم يعرف بحاله إلا اللهُ ثمّ من شاء من خلقه وثلّةٌ من أصحابه ملأ رحيله وألمُ فِراقه قلوبهم حُزناً وعيونهم دموعاً، رحل ولسان حاله:

مناي من الدنيا علوم أبثّها *** وأنشرها في كل باد وحاضر

دعاء إلى القرآن والسنن التي *** تناسى رجال ذكرها في المحاضر

وألزم أطراف الثغور مجاهداً *** إذا هيعة ثارت فأول نافر

لألقى حمامي مقبلاً غير مدبر *** بسمر العوالي والدقاق البواكر

كفاحاً مع الكفار في حومة الوغى *** وأكرم موت للفتى قتل كافر

فيا ربّ لا تجعل حمامي بغيرها *** ولا تجعلني من قطان المقابر

فاللّهم أكتُب لأبي طلحة أعلى منازل الشّهداء، واجعله شفيعاً لوالديه واخلفهم في هذه الدّنيا خيراً، واجزهم عن المجاهدين على حُسن الإنبات والتّربية خير الجزاء، واجمعْنا به في جِنان الخُلْد يا ربَّ العالمين.

وكتبه

أبو عبد الملك



لا تنسوا إخوانكم من الدعاء







مُؤَسَّسَةُ صَرْحِ الْخِلَافَةِ